



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا

فرع الأدب

# الصورة البيانية في أحاديث الخبيب

( دراسة بلاغية موضوعية في الصحيحين )

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد

الطالبة / جواهر زعبي محمد الزهراني

الرقم الجامعي / ٤٢٤٨٠٠٢٥

إشراف

الدكتور / محمد علي فرغلي الشافعي

العام الجامعي ١٤٢٧ / ١٤٢٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# إهداء

إلى مَنْ كان كلامه نبض هذه الدراسة وروحها التي تثبت فيها أنفاسها . إلى الحبيب المصطفى محمد بن

عبد الله ﷺ . إلى أمتي الإسلامية عسى الله أن يصلح أمرنا ويرفع شأننا . إلى الدين أقاما في حب الله

وحب رسوله ﷺ . وأقاما في حب البحث والدراسة منذ الصغر . إلى زوج قدّم لي العون وذلّل لي

العقبات ، ولأبناء اقتطعت من حقهم الشيء الكثير ، ولكل مَنْ كان له فضل عليّ من صغير أو كبير .

# شكر وتقدير

الشكر والعرفان لله أولاً وأخيراً على فضله بتيسير سيرتي في هذا الباب الفاضل من العلم الشرعي ، ثم لمن كان له فضل التربية والتعليم ومَنْ كان له فضل التوجيه والإرشاد ، ومَنْ كان له فضل المؤازرة والمساندة ولكل مَنْ سَهَّلَ لي سبيل البحث والدرس فجزاهم الله أحسن الجزاء وجعلهم من الذين لهم ( الحسنَى وزيادة ) .



## ملخص الرسالة

العنوان : " الصورة البيانية في أحاديث الغيب . دراسة بلاغية موضوعية في الصحيحين " الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد الأمين وبعد : فقد كان منهج الدراسة المنهج الاستقرائي الذي جمع بين الجانبين البلاغي والموضوعي ، وأثمر هذا المنهج في تسهيل الورود إلى ينابيع الفيض النبوي النبوي . وجاءت الدراسة في ثلاثة فصول : - الفصل الأول : وتضمن أحاديث الغيب الدنيوي وفيه ست مباحث : المبحث الأول : بدء منذرات الساعة في الظهور . المبحث الثاني : تمام الدائرة الدينية ثم بدء تباعد أطرافها . المبحث الثالث : بدء الإنزياح الديني والخراب الدنيوي . المبحث الرابع : ظهور أصناف من الضلال . المبحث الخامس : حال الإمارة في آخر الزمان . المبحث السادس : اقتراب العهد الأخروي ونزول أولى آياته . الفصل الثاني : وتضمن أحاديث الغيب الأخروي وفيه ست مباحث : المبحث الأول : من أهوال العرض والحساب . المبحث الثاني : الميزان الأخروي . المبحث الثالث : رؤية الله والجسر والشفاعة . المبحث الرابع : الحوض . المبحث الخامس : من أحوال الجنة وأهلها . المبحث السادس : من أحوال النار وأهلها . الفصل الثالث : وتضمن مبحثين الأول : خصائص الصورة البيانية . والثاني : وظائف الصورة البيانية . وقد سبق هذين المبحثين تعريف عام عن أركان الصورة البيانية التي ظهرت في النبوءات الغيبية كثرة ورودها ، وبروز دورها الفاعل في أداء المعنى . (( التشبيه ، الاستعارة ، الكناية )) . ووجدت الدراسة أن تشبيه المعنوي بالحسي هو خيط جامع رابط بين النبوءات - دنيوية وأخروية - لتستطيع النفس أن تعيش ذلك الخبر ويتيقن القلب وقوعه . كما وجدت الدراسة أن الألفاظ النبوية ، والتعبيرات الإشارية ، والأسلوب الإلقائي المحمدي كانت من عوامل ثراء الصورة البيانية النبوية الغيبية .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## Summary of Study

**Title of Study** : Semantic image in unknown sayings. Objective Semantic Study in Al Sahehyen.

Thanks to Allah the God of all prayers and salam to his messenger Muhammad the honest man.

The Method of the study was analytical one that link between semantic and objective side. This method help in receiving resource of Prophetic Predictive Effusiveness. The study layout on three chapters :

\* **Chapter One** : It include life unknown saying which was divided in six sections :

- First Section : Appearance of signs of Day of Judgment.
- Second Section : Completing of religious circle and separating of its parts.
- Third Section : Starting of Religious moral demoralization and life destroying.
- Fourth Section : Appearance of classes of aberrance.
- Fifth Section : The state of Emarah in the End of Life.
- Sixth Section : Nearness of Day of Judgment and relevance of it's emergence signs.

\* **Chapter Two** : It include unknown saying of Day of Judgment which was divided in six sections :

- First Section : The Terror of Day of Judgment.
- Second Section : The balance of Day of Judgment.
- Third Section : Viewing of Allah, the bridge and Shafaah.
- Fourth Section : The Basin.
- Fifth Section : Conditions of people of Paradise.
- Sixth Section : Conditions of people of Hell.

\* **Chapter Three** : It include two sections : First section : About the Semantic image properties. The Second Section : About the Functions of Semantic images. The two sections precession by general definition about the nooks of semantic image which was find it is very lot in unknown predictions and the appearance of it's effective role in giving the meaning. (simile, metaphor, personification).

The study found that physical and non physical simile is collective part that link between predictions ( Life – Day of Judgment) so as the self can realize that news and the heart sure of it's happen. The study also found that the Prophetic words, singes expressions and Muhammad rthymic style were factors of richness of unknown prediction semantic image.

\*\*\*\*\*

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين منزل القرآن العظيم بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله الأمين أفضل صلاة وأتم تسليم وبعد .

فإن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم قد وقفت دونه العقول ، وقصرت عنه الأفهام ليكون حجة بالغة على بلاغة العربية وفصاحتها التي كان يتباهى بها أصحابها قبل نزوله . ثم كانت البلاغة النبوية قبساً من نور الله أضاء به وجه البيان العربي عامة .

وقد شاءت الرحمة الربانية أن تكون لي مع سنة الحبيب المصطفى صحبة تضيء دربي بحمد الله ومنته فكان موضوع هذه الدراسة الصورة البيانية في أحاديث الغيب . دراسة بلاغية موضوعية في الصحيحين. بتوفيق من الله ثم بتوجيه من الأستاذ المشرف – حفظه الله ورعاه – وقد بدت ميزات الموضوع مجملة في عدة نقاط ، أولاً : كونه متعلقاً بأمور عقيدية لا بد من الإيمان بها والتصديق بخبرها. ثانياً: كونه برهاناً للعقل البشري في كل زمان ومكان على صدق النبي محمد ﷺ .

ثالثاً : خصوصية النبأ الوارد في الحديث الغيبي لكونه حدثاً لا تستلهمه البراعة الذهنية البشرية وإنما هو وحي السماء .

رابعاً : إبراز أهمية التصوير البياني في نقل المعاني مع خصوصية البيان النبوي .

خامساً :- اتصاله اتصالاً مباشراً بالتراث النقدي القائم على البلاغة العربية عامة وعلم البيان خاصة .

والبحث في هذا الموضوع عظيم النفع بليغ الأثر محمود العاقبة لاتصاله الوثيق بل لنبعه من مصدر ديني تشريعي جاء تالياً في الأهمية كتاب الله عز وجل وكانت البنية الأساس التي ارتكز عليها البحث وقامت عليها الدراسة هو النبوءات النبوية الغيبية – دنيوية وأخروية – مستقاة من كتابي البخاري ومسلم والصحيحين اللذين ( قال عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية : ( ليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن). ( ١ )

ثم كانت للبحث بعد ذلك كتب أخرى عضدت مسيرة الدراسة ، وساندت قوامها البحثي والإيضاحي حتى استقام عودها وأينعت ثمارها وفي مقدمتها :

١- عمدة القارى شرح صحيح البخاري للعيني .

٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي .

٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد العظيم آبادي .

وكان الحديث الغيبي – دنيوي وأخروي – قطب الدائرة البيانية الذي دارت حوله وفيه عناصر الصورة البيانية من تشبيه ومجاز وكناية وتتبعته هذه الدراسة في تحليل لفظي معنوي في آن واحد إذ إن الصورة

(١) المختصر الوجيز في علوم الحديث - محمد الخطيب - ص ١٣٤ .

البيانية في الحديث النبوي ليست زخرفاً لفظياً ولا تحسيناً ظاهراً بل إنها لتمتزج بالمعنى امتزاجاً لا يمكن معه فصل أحدهما عن الآخر . فكان الحديث الغيبي خير من رعى الكيان البلاغي عامة ودعمته ببنياتها وبنائهم . إذ جاءت النبوة الغيبية — دنيوية — وأخرية — ( في تصوير رائع معجز لم يقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء .. بل تجاوزها إلى المماثلة النفسية حين أضفى عليها حياة شاخصة ، وحركة متجددة فانقلب المعنى الذهني هيئة أو حركة وتجسدت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد ) .<sup>(١)</sup>

وكان اللون البلاغي البياني في الأحاديث الغيبية — دنيوية وأخرية — قسيم الخبر في بث النبوة فاعليتها التحذيرية والتبشيرية وقد اجتهدت الدراسة — قدر ما يسر الله لها — في عرض اللون البلاغي من حيث :- ١- عمق الدلالة البلاغية الموضوعية .

٢- الإضافة اللفظية والمعنوية التي أضافها إلى السياق .

٣- ربط اللون البلاغي بالخبر الوارد ارتباط القلب بالجسد .

٤- بيان الفضل الوارد في تعدد روايات الحديث التي تصحبها إضاءات بيانية تجديدية موضوعية .

والنبوءات دنيوية وأخرية بما تضمنته من إنذار وتحذير وترغيب وترهيب لم تعر من جمالياتها المعنوية في الإيحاء والتركيب والبناء اللفظي والمعنوي والمقال البياني البلاغي . ولا تتضح علامات هذا الجمال تتبين أنواره إلا عزائم قد ثنت صدورهما عن حب الدنيا والتعلق بشيء منها إلا شيئاً يقرب إلى الله عز وجل من ذكر وعمل صالح . ولذلك فإن النبوءات هنا لن تحرك ساكن القلوب المريضة ولن ترفع عناد العقول الجاهلة حتى تشفى القلوب وترجع العقول ؛ وهنا تبدأ أنوار تلك النبوءات تلج مداخل الإنسان في انسياب تسري منه في الروح والجسد معاً حياة لا تطأطأ رأسها لزينة الحياة الدنيا ولا تسلم جوارحها إلى سباقات الكسب الدنيوي الزائل ، وإنما تقف بذلك الجسد وتلك الروح على أهبة الاستعداد لحياة هي المستقر ولا قرار ولا طمأنينة للروح إلا بهذا كما أن لا قرار ولا سكن للجسد إلا بهذا . وإذا اكتمل هذا فيهما فنستطيع أن نقول هنا بأن هذا الإنسان قد أدرك الحقيقة النبوية ووعاها ، بقلب سليم ونفس مطمئنة ، وعقل مستنير بنور الإيمان الذي لن يهديه إلا إلى الحق المبين .

ولما كانت النبوءة دعامتها تقوم على خبر غيبي موحى به كان استدراج العقول لتدبرها ، واجتذاب القلوب لتقبلها يحتاج إلى دعم إيماني قوي راسخ ثابت يفك عُقد الحصار الذهني ، ويزيل عن القلوب ماران عليها من الضلال عن الحق قال تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا

أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [ البقرة - ٢٥٧ ] . وقال

<sup>(١)</sup> المشاهد في القرآن الكريم — حامد صادق قنبي — ص ٣٧٣ .



تعالى : ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ [ الحاقة – ١٢ ] . وإذا وعت الآذان وفقحت القلوب وأبصرت البصائر والأبصار فحينئذ تقع النذر والبشائر موقعها من النفس والقلب .

والأعمال درجات وأساسها الإيمان ومن أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه ، فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان ، ومتى كان الأساس وثيقاً حمل البنيان واعتلى عليه ، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه ، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت ، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد ، فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه ، والجاهل يرفع في البناء من غير أساس ، فلا يلبث بنيانه أن يسقط قال تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم {

[ التوبة – ١٠٩ ] . فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان ، فإذا كانت القوة قوية حملت البدن ودفعت عنه كثيراً من الآفات ، وإذا كانت القوة ضعيفة ضعف حملها للبدن ، وكانت الآفات إليه أسرع شيء .

وهذا الأساس أمران : صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته ، والثاني : تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه <sup>(١)</sup> .

والنبوءات الغيبية ليست أخباراً تقصر عن فهمها الأفهام ولا أنباء تنطرق إليها من بعيد أو قريب شارات الغموض والاستغلاق . ذلك أنها خطاب علوي عالمي، وإنما الشأن في معرفة الكلام ( ومعرفة الكلام أشد من المعرفة من كل صناعة وأغمض وأدق وألطف ، وتصوير ما في النفس ، وتشكيل ما في القلب ، حتى تعلمه وكأنك مشاهده : وإن كان قد يقع بالإشارة ، ويحصل بالدلالة والإمارة ، كما يحصل بالنطق الصريح ، والقول الفصيح . فلإشارات أيضاً مراتب ، وللسان منازل ، ورب وصف يصور لك الموصوف كما هو على جبهته لا خلف فيه ، ورب وصف يربو عليه ويتعداه ، ورب وصف يقصر عنه <sup>(٢)</sup> .

وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب ، والتمكن في النفوس ، ما يذهل ويبهج ، ويقلق ويؤنس ، ويطمع ويؤيس ، ويضحك ويبكي ، ويحزن ويفرح ، ويسكن ويزعج ، ويشجي ويضطرب ، ويهز الأعطاف ، ويستميل نحوه الأسماع ، ويورث الأريحية والعزة ، وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجوداً . وله مسالك في النفوس لطيفة ، ومداخل إلى القلوب دقيقة ، وبحسب ما يترتب في نظمه ، ويتنزل في موقعه ، ويجري على سمت مطلعته ومقطعه ، يكون عجيب تأثيراته ، وبديع مقتضياته ، وكذلك على حسب مصادره ، يتصور وجوه موارده .

<sup>(١)</sup> الفوائد – للعلامة الإمام شيخ الإسلام ابن عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي – المعروف بابن قيم الجوزية – ص ١٦١ .

<sup>(٢)</sup> إعجاز القرآن – للإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني – ص ٣١٢ .

( الكلام ينبئ عن محل صاحبه ، ويدل على مكان متكلمه ، وينبه على عظيم شأن أهله ، وعلى علو محله ) (١)

وهذا هو النبأ النبوي الموحى به إليه ﷺ ، لم تزل تتعاقب عليه أقلام الدارسين ، وتتوارثه قلوب العباد الصالحين ، فتجني منه في كل آن ثمراً يؤكد صدق النبع ، وقوة الأصل ، الذي لن تزال عطاياه تتجدد بتجدد البحث والتعاهد له بدوام التدارس والتعاش .

ويقف علم البيان من البلاغة العربية وقوف الجزء من الكل الذي لا يحيا بدون بقية الأجزاء لكن الخصوصية تبرز في كل جزء وتمده بالطاقة التي تجعله فاعلاً في البقية . وهذه هي النقطة الفاعلة التي تثبت الحيوية في التركيب وكان عمل هذه الدراسة في الجانب التطبيقي الذي يشد أزر الجانب النظري ويسقي بذور قواعده وأصوله .

وكان عنان هذه الدراسة ملزماً بخصوصية الخبر وخصوصية القائل وملزماً قبل ذلك بالنظر إلى الحديث قيد الدراسة – أنه ضمن رسالة سماوية هي خاتمة الرسالات وقائلها هو خاتم المرسلين وأنها النذير الذي لا يخفت صوته حتى قيام الساعة ، والمبشر الذي لن يزال حتى تلتقي كل نفس باليقين وإذا كانت النبوءات الغيبية – دنيوية وأخروية – قد تناولتها الدراسة بالبحث والكشف والبيان فهي ترفعها عن التفكيك التحليلي الذي يحيلها ألفاظاً شتى ومعان متفرقة اجتمعت في قالب البلاغة بعد اجتهاد وإعادة نظر . وذلك أنها ليست نصوصاً نظرية ولا مقطعات شعرية ، فلها من التفرد ما يمتاز به عن ذلك وإنما نحاول أن نبصر من خلال دراستها معان عتاً مستترة ، تطمئن بها القلوب ، وتستتير بها العقول .

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمه ، فكانت المقدمة خبراً مركزاً عن موضوع الرسالة وخصوصيته ، ثم كان التمهيد استضاءة بأقوال علمائنا القدامى والمحدثين في ميدان البحث البلاغي المختص بالصورة البيانية في البلاغة العربية مع مراعاة أن ينتهي إلى تعريف للصورة البيانية يقوم على أساس من العقيدة الإسلامية التي هي أس الحديث موضوع الدراسة بل أس قائله ﷺ . وقد ضم التمهيد بذلك مبحثين :

الصورة البيانية عند البلاغيين القدامى .

– الصورة البيانية عند البلاغيين المحدثين .

(١) إعجاز القرآن – للإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني – ص ٣٤٥ – ٣٤٦ .

الفصل الأول وعنوانه ( الصورة البيانية في أحاديث الغيب الدنيوي ) وفيه ستة مباحث :

- بدء منذرات الساعة في الظهور .
- تمام الدائرة الدينية ثم بدء تباعد أطرافها .
- بدء الإنزياح الديني والخراب الدنيوي .
- ظهور أصناف من الضلال .
- حال الإمارة في آخر الزمان .
- اقترب العهد الأخروي ونزول أولى آياته .

الفصل الثاني وعنوانه ( الصورة البيانية في أحاديث الغيب الأخروي ) وفيه ستة مباحث :

- من أهوال العرض والحساب .
- الميزان الأخروي .
- رؤية الله والجسر والشفاعة .
- الحوض .
- أحوال الجنة وأهلها .
- من أحوال النار وأهلها .

الفصل الثالث (خصائص الصورة البيانية ووظائفها )

- ١- خصائص الصورة البيانية وفيها :-
  - أ- وضوح الصورة ويتبين ذلك من خلال عدة نقاط .
    - غلبة التشبيه على غيره من روافد الصورة البيانية .
    - دقة اختيار المشبه به .
    - الاستعارة القريبة .
    - الكناية المألوفة .
  - ب - سهولة الألفاظ .
  - ج - التكامل الموضوعي البلاغي بين الصورة البيانية وسياقها .
  - د - التشارب بين بلاغة البيان النبوي وروحانية الوحي بالغيب .

٢- وظائف الصورة البيانية وفيها :-

- أ- تقريب حقائق الغيبات إلى الأذهان .

ب- تفصيل ما اجملته الصورة القرآنية من حقائق وصور غيبية .

ج- الترغيب والترهيب .

د – التأثير الوجداني ( النفسي ) .

الخاتمة وتضم ما توصل إليه البحث من نتائج .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

## التمهيد

الصورة قالب يحتوي مضمون الفكر ويتشكل حسب حاجة الإبانة عن حاله ، فنتلون تبعاً لذلك القوالب الفنية البلاغية للصورة • وهي لبنة أساس في التواصل مع المتلقي أيأ كان العمل الأدبي شعراً أم نثراً • وتلعب دوراً حيويأ في إشعال وميض التفاعل مع ذلك العمل •

وهي بديع اللغة الناطق وحالها المبين عما اختبأ في جوهر الفكر ؛ فهي قلم الشعور ، القلم الناقل المبين عن خزينة قد لا تتضح اطروحاتها إلا بواسطة التصوير الذي يلقي على المعنى هالة من التساؤل المثير الباعث على التتبع والترقب والاستنتاج •

ونجد ( أن العقلية العربية ، تناولت الجوانب العامة للصورة بالدراسة والتمحيص مستبينين العلاقات الداخلية للجمل والفقرات ، وباحثين بالنقد ما يربط الكلام من وشائج معنوية ، وكلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني في ذلك هو الجني الداني والباب العالي الذي كان نقطة ارتكاز التقت عندها مناهل الفكر العربي قبله حول البيونة عن تلك العلاقات واكتشاف ما تنتجه من هيأت مختلفة للكلام )<sup>(١)</sup>

( وإن كنا لا نجد فصولأ خاصة في مؤلفات علماء البلاغة العرب ، تعنى بدراسة الصورة وتخصص لها ، ولكن ذلك لم يمنع من إيراد لفظة الصورة كبديل مرئي للأفكار الذهنية ، وكان الاهتمام منصبأ أساسأ عند القدماء على التشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل )<sup>(٢)</sup>

( وكانت الصورة تأخذ مكانها البارز في المفاضلة بين الشعراء وهذا ما تشير إليه الانتقادات الموجهة إلى الشعراء في كتاب مثل ( الموشح ) ، أو تمييز لطبقة أو لشاعر في كتاب ( طبقات فحول الشعراء ) ، بل إن ناقداً بارزأ مثل ابن رشيق قد أقام منهج كتابه ( قراضة الذهب ) على أساس الصورة الشعرية مقراً من بادئ الأمر أن السرقات لا تقع إلا فيها ، وأن المفاضلة لا تقوم إلا على أساس منها )<sup>(٣)</sup>

وقد بدأت الدراسات البلاغية ظهورها في مؤلفات العلماء القدماء عناصر تضمها أبحاث العلوم الشرعية واللغوية ثم أخذت تتسع وتخصص لها مؤلفات في كتابات الشعراء والأدباء والنقاد وتمحورت تلك البدايات حول قضايا كان اهتمامها يصب في جانب البلاغة القرآنية أولاً والشعر ثانياً .

(١) دراسة في البلاغة والشعر – محمد محمد أبو موسى ، ص ٩١ •

(٢) الصورة الفنية في شعر حسان بن ثابت ودلالاتها الحضارية ، عبير عليوه ، ص ٦٠

(٣) الصورة والبناء الشعري – محمد حسن عبد الله – ص ١٧

وإن كان الاهتمام بالبيان العربي عامة لم يكن بدعاً في التأليفات المختلفة التي أخذت تظهر منذ القرن الأول الهجري ( فالعرب من أكثر الأمم معرفة لقدر البيان وإدراكاً لخطره بل وإحساساً بأثره واستجابة له ، فكم من بيت من الشعر رفع وضعاً أو وضع رفيعاً )<sup>(١)</sup> .

ومن القضايا التي كثر النقاش حولها وكانت تربة خصبة أثمرت انتاجاً جيداً في بحث الصورة البلاغية عامة والبيانية خاصة قضية اللفظ والمعنى وخصوصية الصورة البيانية جاءت من توارد أساليبها بكثرة في البيان القرآني والسنة المطهرة مما أضفى عليها هالة من التبجيل والتكريم جعلها في مقدمة المباحث المعنى بها ومن أولويات الدراسة البلاغية المتخصصة .

ويرى د . جابر عصفور ( أن ثلاث بيئات كان لها الدور في توضيح الأصول الأولى لمبحث الأنواع البلاغية للصورة الفنية : بيئة اللغويين وبيئة المتكلمين وبيئة الفلاسفة من شراح أرسطو بوجه خاص وهذه البيئات حددت مجرى البحث في الأنواع البلاغية للصورة )<sup>(٢)</sup>

( وقد أدرك العرب خطر الخلق الأدبي فانتهوا بالمزية كلها إليه وجعلوه المعيار على نظم جديد للكلام أو صورة غير مسبوقة من صور التشبيه أو الكناية أو الاستعارة والمجاز عرف بها وعرفت به واختصوه بها ونسبوا إليها فأصبحت كالماركة المسجلة أو حق الاختراع في هذا العصر إذا أخذها أديب غيره رموه بالسرقة واتهموه في أدبه وموهبته )<sup>(٣)</sup> . يقول الأمازي في امرئ القيس : ( ألا ترى أن العلماء بالشعر احتجوا في تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصي وبالحوش والطيور وأول من قال قيد الأوابد وأول من قال كذا وكذا فهل هذا التقديم إلا من أجل معانيه )<sup>(٤)</sup>

( كما تنبه النقاد العرب القدماء برويتهم الثاقبة وذوقهم الصافي إلى خصائص اللغة الشعرية وأبانوا عنها في تراثهم النقدي فهي لغة مجازية تتباعد عن التقريرية والمباشرة ومكتفة حافلة بالدلالات الثرية وموحية ترمز إلى المعنى وتشع بلا حدود )<sup>(٥)</sup> .

(١) أسلوب الدعوة في القرآن – عبد الغني بركه – ص ٦٣ .

(٢) الصورة الفنية – جابر عصفور – ص ٩٩ .

(٣) النقد والدراسة الأدبية – حلمي مرزوق – ص ١٢٦ .

(٤) الموازنة للأمازي – ج ١ – ص ٤٢١ – باب في فضل أبي تمام .

(٥) نظرية الشعر – عبد الفتاح عثمان – ص ١٠٣ .

( وفي تراثنا الأدبي دراسات كثيرة عن إعجاز القرآن وهذه الدراسات تعتمد اعتماداً كبيراً على فهم أصحابها للأساليب العربية والصور البيانية والسمات الفنية التي اتسمت بها الآداب القديمة ولذلك كانت دراساتهم لهذا الجانب قائمة على هذا التراث الفني المتصل بخصائص هذه اللغة وطرانقها في التعبير )<sup>(١)</sup> .

ويمكننا أن نقول أن جذور الاهتمام بالناحية التصويرية في العبارة الأدبية العربية قد بدأت بالدراسة البلاغية في كتب الإعجاز القرآني منذ مجاز القرآن لأبي عبيدة الذي أعقبه عدد من المؤلفات التي حفلت بوميض مشرق أضاء طريق الدراسة الواسعة للصورة مثل كتاب ( تأويل مشكل القرآن ) الذي تحدث فيه عن الاستعارة والمجاز وأعقبه كتاب ( النكت في إعجاز القرآن ) و ( بيان إعجاز القرآن ) . وتعتبر دراسة الرماني من أبرز الدراسات في تأصيل معنى التشبيه والحديث عن بلاغته . وكان التشبيه من أولى المباحث المتصلة بالصورة الشعرية التي حظيت باهتمام النقاد .<sup>(٢)</sup>

ويرى بعض الدارسين ( أن أبا سليمان الخطابي ( ت ٣٨٨ هـ ) سبق عبد القاهر الجرجاني إلى إدراك الترابط بين اللفظ والمعنى فقال في رسالته عن بيان إعجاز القرآن : ( ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما زهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ) .<sup>(٣)</sup> والبلاغة عند الرماني ( إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ) .<sup>(٤)</sup>

كما درس بعض الباحثين نظرة عدد من العلماء القدماء حول مفهوم الصورة وإن لم يرد في رسائلهم موضع دراسته مصطلح الصورة الشعرية وإنما عالجوا هذا المعيار النقدي من خلال التركيز على أداتين من أدوات الصورة هما: الاستعارة والتشبيه .<sup>(٥)</sup>

وقد تتبع عدد من الدراسات الحديثة مفهوم الصورة في التراث النقدي القديم ورأت أن هذا المفهوم قد عالجتة الدراسات العربية القديمة في أبواب متفرقة من المؤلفات المتعددة كالتشبيه والاستعارة والكناية ... الخ وكانت هذه الدراسات تتاولاً تفصيلاً لماهية الصورة دون تعبير صريح يجمع تلك الأجزاء ،

(١) الأدب الإسلامي - محمد حسن بريغش - ص ١٨١ .

(٢) النقد الأدبي الحديث - محمد الشنطي - ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٣) قضايا ودراسات في النقد - كيلاني حسن سند - ص ١٧٦ .

(٤) النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني - ٢٩٦ - ٣٨٦ هـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني - ت : محمد خلف الله أحمد - د. محمد زغلول سلام .

(٥) النقد في رسائل النقد الشعري - حسين علي الزعبي - ص ١٤١ .

ولعل من أولى القضايا النقدية التي اهتم بها القدماء وأثمرت نتائجاً يانعاً حول مفهوم الصورة هي قضية اللفظ والمعنى يقول العتابي :

( الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح ، وإنما تراها بعيون القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخراً ، أو أخرت منها مقدماً ، أفسدت الصورة وغيّرت المعنى ؛ كما لو حوّل رأس إلى موضع يد ، أو يد إلى موضع رجل ، لتحولت الخلقة ، وتغيّرت الحلية ) (١) .  
والعبارة السابقة تكشف عن تلاحم البنية التركيبية بين اللفظ والمعنى واتحادهما في إنتاج كيان متكامل متجانس .

ثم كانت عبارة الجاحظ : ( ... فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير ... ) (٢) ركيزة اتخذ عدد من الباحثين منها منطلق السير البحثي في جذور ذلك المصطلح ووجوده في الذهنية العربية . وتنازعت الآراء والتفسيرات تلك المقولة حول اهتمامه باللفظ دون المعنى إلا أن بعض الدراسات انتهت إلى أن لفظ الصورة في عبارة الجاحظ السابقة إنما عني به صياغة المعنى والتعبير عنه بأسلوب أدبي رفيع .

ولم تكن تلك الركيزة العظيمة التي أقام عليها الجاحظ رأيه إلا صباغة ذهنية تشربت العلم والأدب معاً فخلصت إلى تلك النتيجة ، ولا أحسب تلك الذهنية إلا تغلغلت في خبايا الدرس الأدبي العربي عامة والشعري خاصة حتى نفذت منها إلى اللباب .

والجاحظ حينما قال إن الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير ( كان يعني ما يقول لأن هناك الكثير ممن يقولون الشعر ولكن ليس هناك الكثير ممن يجيدونه ويبدعون فيه فالشاعر الذي يستطيع أن يبرز معانيه ويضعها في صور رائعة بما يضيفي عليها من خيال جذاب بحيث يؤثر شعره في النفوس ويلق بها يكون شاعراً فناناً مبدعاً وبعبارة الشاعر الذي لا يجيد ولا يبدع يكون صانعاً فقط ) (٣) .

( إن الجاحظ عندما طرح فكرة التصوير في مواجهة النظرة اللغوية إلى الشعر ممثلة في أبي عمرو الشيباني كان يطرح لأول مرة في النقد العربي فكرة الجانب الحسي للشعر وقدرته على إثارة صورة بصرية في ذهن المتلقي وهي فكرة تعد المدخل الأول للعلاقة بين التصوير والتقديم الحسي للمعنى ) (٤)

(١) الصنائع - الكتابة والشعر أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري - ص ١٦١ .

(٢) الحيوان . تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . ت عبد السلام محمد هارون - ج ٣ - ص ١٣٢ .

(٣) النظرية النقدية - هند حسين طه - ١٦٦، ١٦٧ .

(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب - جابر عصفور - ص ٢٥٨ .



وجاء بعد الجاحظ ابن قتيبة ليشهد البيان العربي تفتق ذهنية عربية جديدة لها طابعها المتميز في الحكم والتقييم وانطلقت تقديراته من المعجزة الخالدة – القرآن الكريم – لتضع حقيقة الميزان التقييمي للعبارة وما ينشأ عن تركيب ركنيها – اللفظ والمعنى – من براعة ودقة في إخراج المقصود .  
( وحسبك أن تقرأ مقدمة كتابه مشكل القرآن فسترى فيها شاهداً بيناً على ذلك المدى الواسع الذي بلغه البيان العربي في مدرسة القرآن الكريم التي كان خير وريث لثروتها البيانية هو ابن قتيبة الذي يقول : ( وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه فمنها الاستعارة والتمثيل .. والكناية والإيضاح ... ) وفي هذه المقدمة نرى أن أبواب البلاغة بفنونها الثلاثة من معان وبيان وبديع قد تكاملت وتميز بعضها عن بعض وإن كان ابن قتيبة يسمي جميع ذلك المجاز وأن هذه المدرسة قد أنضجت هذه الفنون وأخرجتها بيئة المعاني واضحة الصور ولما تجاوز النصف الأول من القرن الثالث )<sup>(١)</sup> .

( ويكتاب البدیع انتقل النقد إلى طور جديد هو طور العناية بالصورة وتوجيهه إلى دراسة الشكل وقد كان أكثر الجهد محصوراً في نقد المعاني والأفكار والإشادة بقوتها وفخامتها )<sup>(٢)</sup> .

( وكان ابن المعتز يعني بزخرف التصوير في شعره عناية شديدة وهو ليس التصوير الذي يستغله أبو تمام في التعبير الرمزي عن أفكاره العميقة ولا التصوير الفلسفي الذي يمزج بنوافر الأضداد ولا التصوير الحسي الذي يحلله أبو تمام إلى أصباغه من تجسيم وتدبيج وتشخيص إنما هو تصوير لا يحتاج تأملاً عميقاً صبغ من أصباغ التصوير ولكنه ليس صبغاً معقداً ولا مركباً ونقصد صبغ التشبيه )<sup>(٣)</sup> .

وممن أسهم في الدراسة النقدية واختص الشعر بوافر من جهده العلمي ابن طباطبا الذي أدلى بدلوه في خضمّ البحث البلاغي وعدّه عبد الفتاح عثمان من النقاد الذين أدركوا ( أن غاية الشعر هي تحقيق المتعة الجمالية للمتلقي وإثارة مشاعره للفعل عن طريق تأثير هذه المتعة الفنية واستشهد على ذلك بقوله : فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى الحلو اللفظ التام البيان المعتدل الوزن مازج الروح ولاءم الفهم وكان أنفذ من نفث السحر وأخفى ديبياً من الرقى وأشدّ إطراباً من الغناء فسل السخائم وحل العقد وسخى الشحيح وشجع الجبان )<sup>(٤)</sup> .

(١) البلاغة بين عهدين – محمد نايل – ص ٦٣، ٦٤ .

(٢) دراسات في نقد الأدب العربي – بدوي طبانة – ص ٢٦٩ .

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي – شوقي ضيف – ص ٢٦٧ .

(٤) نظرية الشعر – عبد الفتاح عثمان – ص ٣٠٩ .

( والصورة لدى قدامة هي الشكل الذي يصب فيه الشاعر أفكاره المجردة ومعانيه كما يفعل \* النجار في مادة الخشب والصائغ في مادة الفضة)<sup>(١)</sup> . فهو يرى ( أن المعاني كلها معرضة للشاعر إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية والشعر فيها كالصورة وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة )<sup>(٢)</sup> . واهتمام قدامة في عبارته يصب في قالب الجودة الفنية والتعبير الأدبي للمعاني حميدة كانت أم ذميمة إذ المعاني في حقيقتها موجودة وإنما يثبت فيها الحياة نسيج التعبير والأداء .

( وإذا كان هذا الرأي يجعل الصورة هي الشكل الذي تصب فيه الأفكار والمعاني فإن هذا الشكل ليس مفرغاً من المضمون إذ لا قيمة للشكل مفرغاً من محتواه الفني وقدامة نفسه قد أكد تأكيداً واضحاً على خطر المعاني وقيمتها وعموميتها بالنسبة للشاعر فكل ما في الحياة معانٍ شعرية يعرض إليها الشاعر ما دام قادراً على إخراجها وتصويرها )<sup>(٣)</sup>

( وقد أخذ الأثر البلاغي في النقد العربي بعد قدامة يتنامى كثيراً ويطغى على معظم الكتب والمباحث النظرية فيه ويتجلى هذا الأثر بوضوح في كتاب الصناعتين لأبي هلال )<sup>(٤)</sup> .

ويعتبره بدوي طبانة من مدرسة الجاحظ ( التي تذهب إلى تصنيع الأدب وإلى أن الصياغة والأسلوب كل شيء في الأعمال الأدبية ومجال التفاوت بين الأدباء ولكنه يعتبر كلام أبي هلال فيه كثير من السعة والتفصيل والتوضيح للفكرة وضرب الأمثلة لتأييد الرأي وذلك ما نفتقده في رأي الجاحظ )<sup>(٥)</sup> .

أما الأمدي فقد كان ( يهتم بالمستوى اللغوي القريب الواضح والذي تستخدم فيه الصور المجازية استخداماً معقولاً فلا تنجح في الخيال واعتبر عبد الفتاح أن مثل هذه النظرة إلى اللغة الشعرية تفقدها أهم عناصرها وهو الإيحاء والتشخيص وعلل تمسك الأمدي بالواقع اللغوي القريب وتركيزه في التعريف على لغة الشعر بأنه رد فعل للاتجاه الجريء الذي سار فيه أبو تمام بغوصه على المعاني الغريبة واستخدامه للألفاظ الوحشية وجراته على اللغة باستعمال تراكييب جديدة ولجؤه إلى الاستعارات التي لم تؤثر عن العرب القدماء )<sup>(٦)</sup> .

(١) الصورة الفنية في شعر حسان بن ثابت - عبير عليوه - ص ٦٢، ٦٣

(٢) نقد الشعر - قدامة بن جعفر - ص ١٩ .

(٣) الصورة الفنية في شعر حسان بن ثابت - عبير عليوه - ص ٦٢، ٦٣ .

(٤) فصول في النقد العربي - محمد خير شيخ - ص ٤٠ .

(٥) البيان العربي - بدوي طبانة - ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٦) نظرية الشعر - عبد الفتاح عثمان - ص ٣٠ ، ٣١ .

ويتردد مصطلح الصورة عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابيه كعنصر أساس في عملية النظم التي أفرد لها دلائله في حين تناوله في الأسرار بشكل تفصيلي لعناصر الصورة البيانية . وعباراته التي ترد فيها ذلك المصطلح كانت خلاصة ذهنية فريدة استقرأت ما سبق ونفذت إلى جديد أرسى دعائم الصورة البيانية خاصة والبلاغة العربية عامة . والنظم عند الشيخ هو الصياغة والتصوير عند الجاحظ وإنما الشأن عند الجرجاني والفضيلة لمعنى المعنى بينما يراها الجاحظ في الصياغة .

يقول الشيخ : ( أن النظم صنعة يستعان عليها بالفكر ويستخرج بالروية فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس ألبمعاني أم بالألفاظ ؟ فأى شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك ) (١) .

ويقول في معنى المعنى ( فإذا رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة للمعاني أو يجعلون المعاني كالجواني والألفاظ كالمعارض ، فاعلم أنهم يصفون كلاماً قد أعطاك المتكلم أغراضه منه من طريق معنى المعنى فكنى وعرض ومثل واستعار ثم أحسن في ذلك كله وأصاب ) (٢) .

والشيخ في نسبه الفضيلة لا ينظر إلى اللفظ والمعنى فقط وإنما يعد أن هناك عنصراً ثالثاً هو لب الفضل وأس المزية وهو الصورة التي تتبع مزاياها في الأسرار فأبان عن شرف المعنى الذي تبثه الصورة في المعنى وأكد ذلك بشواهد منها قوله : ( فتأمل بيت أبي تمام وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعاً عن البيت الذي يليه والتمثيل الذي يؤديه .. ثم أتبعه إياه :

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرف العود

وانظر هل نشر المعنى تمام حلتها وأظهر المكنون من حسنه وزينته .. إلا بالبيت الأخير وما فيه من التمثيل والتصوير ) (٣) .

ثم تحدث الشيخ عن أسباب تأثير تلك الصور البيانية وأن مرد ذلك إلى أن : ( أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكني وأن تردها في الشيء تعلمها إياه

(١) دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - ص ٥١ .

(٢) المصدر السابق - ص ٢٦٣ .

(٣) أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - ص ١١٩ .

إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالإضطرار والطبع لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكرة في القوة والاستحكام (١) .

ويضع الشيخ مقاييس المزية في تقدير الصورة وإنزالها منزل الفضيلة والحسن فيقول : ( فرهان العقول التي تستبق ونضالها الذي تمتحن قواها في تعاطيه هو الفكر والروية والقياس والاستنباط .. وإنما الصنعة والحدق والنظر الذي يلفظ ويدق في ان تجمع أعناق المتناورات والمتباينات في ربه ) ثم اشترط الشيخ في ذلك الجمع أن :

( تصيب بين المختلفين في الجنس شبيهاً صحيحاً معقولاً وتجد للملاءمة والتأليف السوي بينهما مذهباً وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك من حيث العقل والحدس في وضوح اختلافهما من حيث العين والحس ) (٢) .

والشيخ الجرجاني ( لا يقصد بالمعنى ما يحدده المعجم اللغوي للفظ من دلالة ولكنه يقصد به شيئاً أبعد من هذه الدلالة المعجمية وأقرب رحماً بالدلالة المجازية وهو لذلك يرى أن المعنى ينقسم إلى قسمين أصلي وفرعي ويقصد بالمعنى الأصلي المعنى الحقيقي الذي يحدده المعجم اللغوي للفظ ، أما المعنى الفرعي فهو ما يتفرع عن المعنى الحقيقي من دلالة مجازية وهو ما يطلق عليه اسم معنى المعنى وفي رأيه أن جمال الفن التعبيري لا يرجع إلى المعنى الحقيقي ولكنه يرجع إلى المعنى الفرعي أو معنى المعنى ) (٣) .

والصورة البيانية في رأيه معنى منمق أو مضمون في حلية جمالية أنيقة وهي روح الفن التعبيري وسر جماله . وعدد من ألوان الصورة البيانية ألواناً عدة كالتشبيه والاستعارة وغيرها وتناول كل لون منها بالدراسة للكشف عن خصائصه الفنية وتأثيره الجمالي في الفن التعبيري (٤) .

أما حازم القرطاجني ( فقد كانت أسس الصورة لديه هي العالم الخارجي والمعاني التي تحصل في الذهن والألفاظ التي تنقل هذه الأشياء إلى المتلقي وخلص إلى أن الصورة هي محصول الأقاويل الشعرية بتصوير الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثيلها في الأذهان ) (٥) .

ثم أبان عن طرق العلم باستثارة المعاني من مكانها واستنباطها من معادنها فقال ( ولاقتباس المعاني واستثارتها طريقتان : أحدهما تقتبس منه لمجرد الخيال والفكر والثاني تقتبس منه بسبب زائد على الخيال والفكر ) (٦) .

(١) أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق - ص ١٤٨ ، ١٥١ .

(٣) دراسات في النقد العربي - عثمان موافى - ص ١٨٠ .

(٤) المصدر السابق - ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٥) الشعرية - أحمد الحسين - ص ٢٢ .

إن الشاعر فيما يرى حازم ( يتأمل صور العالم المختزنة في ذاكرته ويلاحظ النسب القائمة بينها على نحو يمكنه من تشكيل صور فنية جديدة ويتأمل مخزونه الثقافي من نظم أو نثر أو تاريخ أو مثل فيحاول ملاحظة نسبة جديدة بين أجزائه تساعد على استغلاله وإعادة تشكيله في صورة جديدة ) (٢) .

( ولعل أول محاولة تستقرئ صورة من الصور النمطية في القصيدة العربية في شعر ما قبل الإسلام وترصدها وإن كانت لا تقدم تحليلاً أو تفسيراً لها هي محاولة الجاحظ حين يقول : ( ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش وإذا كان مديحاً وقال كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا أن تكون الكلاب هي المقتولة وقد تناول النقاد المحدثون الصورة التي أستقرأها الجاحظ ورصدها على ضوء المعطيات العلمية لهذا القرن من دراسات نفسية ومكتشفات أنثروبولوجية ونقوش وأساطير قديمة عربية وسامية ) (٣) .

وفي دراسة للشنطي عن الخصائص الفنية للشعر الجاهلي تحدث عن ضروب من ( التصوير البياني والتصوير التعبيري والتصوير القصصي ) (٤) ( فالأفكار عند امرئ القيس تتلاحق في صفوف من التشبيهات حتى تستتم هذا الفن من التصوير وكأنما القصائد برود يمانية ) (٥) .

( واستطاع أن يوفر لصوره عنصر الجمال الفني الذي تلهمه القريحة ويشيع في جوانبه الذوق الفكري ، واستعماله الملائم للألفاظ يساعد على خلق جو حلو سائغ يسهل تقبل الصورة والإحساس الجمالي برونقها وفهم ما وراءها من دلالات ) (٦) .

( ولا نصل إلى أواخر العصر الجاهلي عند زهير وأضرابه حتى نجدهم يعقدون في هذا الجانب الفني من التشبيه بما يودعون فيه من ضروب مهارة كثيرة ) (٧) .

( وكان الخيال سراً من أسرار إبداع زهير الفني في الصورة الشعرية فقد اعتمد عليه في إبراز الصورة وكشفها وتوضيحها وإظهارها مستخدماً في ذلك أنماطاً بلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية .... ) (٨) .

(١) منهاج البلاغاء وسراج الأدباء - أبي الحسن حازم القرطاجني ص ٣٨ .

(٢) الصورة الفنية - جابر عصفور - ص ٦٠ .

(٣) المنهج الأسطوري - عبد الفتاح محمد - ص ٩١ .

(٤) في الأدب العربي القديم - محمد الشنطي - ص ١٢٢ . التصوير البياني ما يقصد به التشبيه والاستعارة . أما التصوير التعبيري فيقصد به الوصف المشهدي .

(٥) الفن ومذاهبه في الشعر العربي - شوقي ضيف - ص ١٤ ، ١٥ .

(٦) الصورة الفنية في شعر امرئ القيس - سعد الحاي - ص ٣٢٦ .

(٧) الفن ومذاهبه في الشعر العربي - شوقي ضيف - ص ١٧ .

(٨) الفكرة والصورة في شعر زهير - فتحية العقدة - ص ١٣٠ .

ويمكن القول أن الصورة في الشعر العربي القديم مرت بأطوار أهمها <sup>(١)</sup> :

- ١ - البناء التراكمي للصورة حيث تتكدس الصور داخل القصيدة عبر سلسلة من التشبيهات والاستعارات والكنائيات خصوصاً لدى امرئ القيس وأضرابه •
- ٢ - البناء التكاملي حيث يقدم المشهد في صورة لا تتضح أبعادها إلا بالتأمل عناصرها •
- ٣ - أخذت الصورة تغوص في الدقائق الحية التي تكشف عما وراءها من ملامح نفسية خصوصاً عند ابن الرومي •
- ٤ - انتقلت الصورة على يد أبي تمام نقلة جديدة إذ بدت الاستعارة أكثر تعقيداً وبدت الصورة ذات أصباغ تحكي ألوان الطيف •

( وتقف بعض الدراسات الحديثة عند حقيقة أن خير من أفاد في النقد العربي من عقد الصلة بين الشعر والفنون التصويرية هو عبد القاهر الجرجاني وهو في رأيه متفق مع الجاحظ في جوهر فكرته لكنه يذهب أبعد منه ، فيحمل عبد القاهر على من وقفوا عند المعنى في عمومهم عند حكمهم على الشعر غير معتدين بالصياغة والنسج .  
ثم يعلل عبد القاهر لرأيه بأن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه ) .<sup>(٢)</sup>

وعن الصورة في النقد العربي الحديث فقد ( تتبع د . عبد القادر الرباعي بداية ظهور دراسات عربية للصورة الشعرية ووجد أن أول هذه الدراسات بدأت تظهر في مجلة المجلة المصرية منذ النصف الثاني من القرن العشرين في شكل بحوث ومقالات ذكر منها : بحوث د . محمد غنيمي هلال في الصورة الشعرية في المذاهب الأدبية ، وبحوث د . عز الدين إسماعيل حول تشكيل الصورة الشعرية . واعتبر كتاب الصورة الأدبية للدكتور مصطفى ناصف أول كتاب في العربية يخصص لدراسة الصورة وقد ظهر عام ١٩٥٨ م )<sup>(٣)</sup>

والصورة بوصفها وسيلة لنقل التجربة الشعرية ينبغي أن تكون صوراً إيحائية لا تقريرية وأن تتأزر هذه الصور مع بعضها لتنتقل التجربة نقلاً فنياً صادقاً وهذا يقتضي أن نميز بين نوعين من الصور في القصيدة :

- ١ - صور عقلية تقريرية مهمتها عقد العلاقة الجزئية بين المشبه والمشبّه به فتقف عند المعنى الحرفي دون أن تتجاوز التصريح إلى الإيحاء .

(١) النقد الأدبي الحديث - محمد صالح الشنطي - ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ •

(٢) دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده - محمد غنيمي هلال - ص ٥٠ •

(٣) في تشكل الخطاب النقدي - عبد القادر الرباعي - ص ١٥٣ ، ١٥٤ •

٢- صور إيحائية ممتدة لا تكتفي بالوقوف عند مجرد التشابه بين مرئيات أو مسموعات ، لكنها تتجاوز الشكل العام لتربط التشابه بالشعور السائد عند الشاعر .<sup>(١)</sup>

والصورة الشعرية الحقيقية هي تلك التي تثير انفعالا وتحرك فكراً .<sup>(٢)</sup> وأهم ما يميز الشعر في كل اللغات مادته التصويرية .<sup>(٣)</sup> وهي أحد عوامل خلوه التي تجذب إليه المفكرين والأدباء والنقاد .<sup>(٤)</sup> ( وهي التركيب اللغوية المحققة من امتزاج الشكل بالمضمون في سياق بياني خاص أو حقيقي موح كاشف ومعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية )<sup>(٥)</sup> .

<sup>(٦)</sup> أن الصورة إضاءة كبرى تشتمل النص كله فحين تجتمع اضاءات القصيدة كلها ، المنبعثة من تشبيهاتها وكنائياتها واستعاراتها ورموزها ، تبرز الصورة في شكل إضاءة كبرى ، تفصح عن معناها الشعري الشامل . ولن يكون هذا المعنى الشعري الشامل حينئذ إلا رؤيا الشاعر . وبذلك يكون مفهوم الصورة عند أحمد الطريسي لا يختلف عن مفهوم اللوحة في الرسم الفني ، فكما أننا لا نستطيع إطلاق مصطلح اللوحة على أحد عناصرها المكونة لها ، كذلك لا يمكن أن نطلق مصطلح الصورة على أحد عناصرها المكونة للعمل الشعري . فكل العناصر البلاغية وغير البلاغية الواردة في النص ، بشكل منفرد تسهم بشكل عام في عملية بناء الصورة ، على أساس أن كل عنصر يعمل بطريقته الخاصة ويضيء زاوية من زوايا هذه الصورة )<sup>(٦)</sup> .

والصورة الشعرية آلية من آليات الكتابة ذات أهمية وتكتسب أهميتها من أن الشعراء وجدوا فيها مادة طيبة تمكنهم طواعيتها من تحريكها خارج مفاهيمها السائدة وتغيير تركيبها بجمع ما لا يجتمع من العناصر وربط علاقات مستحيلة بين عناصر متفارقة مكنت الشعراء بتفارقها من اختزال الكون ونزع أقنعتهم وبالتأكيد ما كان ذلك أن يتم لو لا القفزة التي أحدثوها خارج الحسية والنظرة الأفقية واستبدالها بالنظرة إلى الكون نظرة مقطعية عمودية كشفت عن حركته العميقة فصارت كوناً من الأحاسيس والمشاعر كوناً مفارقاً جموده إلى حيويته وأحادية النظرة ومحدوديتها إلى تعددها واتساعها .<sup>(٧)</sup>

(١) وحدة القصيدة في النقد الحديث - بسام فطوس - ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) الشعر في عهد المرابطين والموحدين - محمد مجيد السعيد - ص ٣٥٧ .

(٣) الصورة الفنية في شعر النياس أبو شبكة - عصام موسى - ص ١١ .

(٤) الصورة الشعرية عند ابن خفاجة - بسيم عبد العظيم - ص ٢٣٨ .

(٥) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ص ٩١٠ .

(٦) النص الشعري - أحمد الطريسي - ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٧) الخطاب الشعري العربي الحديث - جودت كساب - ص ١٤٥ .

ويرى بعض الباحثين أن النقاد المحدثين في نظرتهم إلى الصورة الشعرية وصلتها بالناحية البلاغية يسيرون في اتجاهين مختلفين أحدهما يصل الصورة الشعرية بالنواحي البلاغية المختلفة – والثاني يفصل بينهما<sup>(١)</sup> .

ومن النقاد العرب المحدثين الذين يشيدون بهذه الصلة د. عز الدين إسماعيل . فهو يرى أن البلاغة الجديدة بلاغة الصورة الشعرية تعد أوسع نطاقاً وأخصب من مجرد التشبيه والاستعارة وإن أفادت منهما فليس بين الصورة والتشبيه والاستعارة جفوة فقد يصل التشبيه أو تصل الاستعارة في بعض الأحيان إلى درجة من الخصب والامتلاء والعمق إلى جانب الأصالة والإبتداع بحيث تمثل الصورة وتؤدي دورها<sup>(٢)</sup> .

وهي جميع الأشكال المجازية وتكون من عمل القوة الخالقة والاتجاه إلى دراستها يعني الاتجاه إلى روح الشعر كما عبّر بذلك إحسان عباس<sup>(٣)</sup> . ولا يشترط فيها المجازية عند د. محمد هلال فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال وتكون مع ذلك ، دقيقة التصوير دالة على خيال خصب<sup>(٤)</sup> . وهي خلق جديد لعلاقات جديدة في طريقة جديدة من التعبير<sup>(٥)</sup> . هي كمجاز قيمة إنسانية عالمية ولا تقتصر على شعب بعينه أو فرد<sup>(٦)</sup> .

والصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرهما من وسائل التعبير الفني . والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني ، أو يرسم بها صورته الشعرية لذلك يتصل الحديث عن الصورة الشعرية ببناء العبارة<sup>(٧)</sup> .

( والنقد الإسلامي الحديث وإن لم يهضم كل الهضم نظرية الصورة عند القدماء ، فإنه قد حاول أن يستفيد من تلك التركة القوية بعض الاستفادة ، وحاول أن يتجاوزها بالاعتماد على بعض المعطيات العلمية المعاصرة ، وقد تجلّى ذلك في دراسات الإمام الشهيد سيد قطب الذي حاول أن يبرهن على أن التصوير في القرآن هو المعادل الموضوعي للتصور العقائدي الذي يعمل الأسلوب القرآني على توصيله

(١) الصورة الفنية في شعر حسان بن ثابت – عبير عليوه – ص ٧٢ .

(٢) الشعر العربي المعاصر – عز الدين إسماعيل – ص ١٢٤ .

(٣) فن الشعر – إحسان عباس – ص ٢٠٠ .

(٤) النقد الأدبي الحديث – ص ٤٣٢ – محمد غنيمي هلال .

(٥) صور من الشعر الاجتماعي في العصر العباسي – ضيف الله سعد الحارثي – ص ٩٠ .

(٦) شعراء السعودية المعاصرون التاريخ والواقع – أحمد كمال زكي – ص ١٩٢ .

(٧) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – عبد القادر القط – ص ٣٩١ .



وعلى حد تعبيره فإن الصورة كفاء الأغراض والموضوعات ، وأن القرآن يعبر بالصورة المحسنة عن المعنى الذهني ، كما تجلّى ذلك في حرصه على دور السياق والتناسق بين الصور في جمال الصور الأدبية (١).

واعتبر د. رحمانى ( أن حديث القدماء عن الصورة كان موجزاً ولم يكن مستهدفاً الواقع والخيال إلا عند بعض المتصوفة مثل ابن عربي ليأتي إلى دراسة بسام ساعي من زاوية المعادلة الشعرية بين عنصرين ابتدائيين من عناصر الشعر وهما الواقع والخيال . والواقع عند بسام ساعي هو الواقع في التصور الإسلامي الذي يشمل الواقع المادي والواقع الغيبي بدليل قوله تعالى ﴿ وإنه لحق مثلما أنكم تنطقون ﴾ (٢).

فالصورة الشعرية التي ينتجها خيال إسلامي يتعانق فيها الغيبي بالحسي والمادي بالروحي وتلك هي واقعيتها بل تفتقد صفة الواقعية كلما ضحت بجانب من جانبي التصور. أما الصور التي ينتجها خيال يستند إلى أي تصور آخر فهي إما أن تكون مغرقة في الروحانيات لدرجة التصوف وهذا غير واقعي وإما أن تغرق في الماديات وهذا لا واقعية فيه (٣).

( إن ارتباط الأدب الإسلامي بالرسالة يقتضي تعاملًا خاصاً مع الأداة الفنية بعدها وسيلة من وسائل التبليغ والإصلاح بما في ذلك الصورة بل لعل الصورة من أبرز تلك الأدوات لما تنهض به من دور فعال في التوصيل . وأن الأثر الذي تحدثه الصورة الفنية وثيق الصلة بنفوسنا وعواطفنا وتوجهاتها وأفكارنا ونموها وأرواحنا وسموها .

ويظل الإحساس بالمتعة والجمال في الصورة الأدبية محصور الطاقة محدود الفعالية إلا إذا حرك في داخلنا البحيرات الراكدة وأشعل النيران الخالدة فانطلقنا إلى مواقف جديدة وبدأنا الرحيل إلى آفاق وعوالم أكثر حيوية ودفناً .

والصورة الأدبية نسيج تتضافر من أجل تحقيقه عناصر مختلفة كلها عوامل ضرورية لحياة النص الأدبي (٤).

(١) النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق . أحمد رحمانى- ص ٣٨٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٧ .

(٣) المصدر السابق - ص ٣٧٩ .

(٤) المصدر السابق - ص ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧٦ .

وفي مجال دراسة الصورة في النقد الغربي الحديث اعتبر د. عبد القادر الرباعي دراسة كارولان أول دراسة تهتم بهذا الشأن وتخص به تأليفاً (١٩٣٥) وكانت الدراسة تتعلق بأهمية الصورة ودراساتها عند شكسبير ثم جاءت دراسة (ادوارد) ١٩٤٦م ودراسة كلمن ١٩٥١م. وكانت تلك الدراسات مكملّة لعمل كارولان في دراسة الصورة عند شكسبير (١).

وكانت كارولان قد عرفت الصورة بأنها الكلمة الوحيدة التي تشمل التشبيه والاستعارة (٢).

ويرى كلاً من رينيه وأوستن ( أن كلمة الصورة تعني في علم النفس إعادة إنتاج عقلية ذكرى لتجربة عاطفية أو إدراكية غابره ليست بالضرورة بصرية ) (٣).

( و لويس وهو أحد أبرز نقاد الصورة الإنجليز يرى أن الصورة هي : رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة . ويرى ريتشارد أنها أثر خلفه الإحساس ) (٤).

( أما زعيم مدرسة التصويريين عزرا باوند فقد جمع في رأيه بين الجانبين العقلي والعاطفي حيث يرى أن أجود أنواع الصور تلك التي تقدم تركيبة عقلية وعاطفية في لحظة من الزمن ) (٥).

ونصل إلى أن مفهوم الصورة الفنية قديم في تراثنا البلاغي ، إذ عرفوا طابعها الحسي وقدرتها الإنزياحية وإيحائها ، وإن كان قد عرف المصطلح المحدد في وقت متأخر إذ عني أسلافنا بجزيئات الصورة الفنية تحت عناوين متعددة التشبيه والاستعارة ، الكناية ، التمثيل ، المجاز ، الصياغة ، وأبدوا نظرات جيدة . ولا بد من الإشادة بما ارتأوه ذلك لأن النقد الحديث اليوم وفي أوروبا يعرف الصورة بهذه الأنواع البلاغية التي أجلاها البلاغيون العرب وعرفوا قدرها . يقول فرانسوا مورو : ونحن نتمكن هنا من استخدام لفظة صورته بمفهومها الخاص في المعجم البلاغي حيث يعني هذا المصطلح عدة نماذج من الصور كالتشبيه والاستعارة والتورية إذا باستطاعتنا أن نقترح تعريفاً أولياً للصورة : الصور بالمعنى الأسلوبية هي تجسيد لعلاقة لغوية بين شيئين .

(١) في تشكل الخطاب النقدي - عبد القادر الرباعي ص ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ .

(٢) الصورة الفنية في شعر الشماخ - رزوق يوسف - ص ١٧ .

(٣) نظرية الأدب - رينيه ويليك - أوستن وارين ص ١٩٤ .

(٤) الصورة الفنية في شعر ظافر حداد - عبد الغفار عبد العزيز عبد الغفار عطيه - ص ٣ .

(٥) الصورة الفنية في شعر ظافر حداد - عبد الغفار عبد العزيز عبد الغفار عطيه - ص ٤ .

ومعلوم أن العرب وصلوا إلى هذا التعريف فالعلاقة اللغوية هي المجاز أو عناصر المشابهة وفهم الصورة من خلال النوع البلاغي صار معروفاً حتى في أوروبا كما درست الصورة الاستعارية لشكسبير<sup>(١)</sup>.

وقد قامت دراسات عدة حول ما يميز الصورة في القديم والحديث وكانت نتيجة الدراسة غالباً تصب في قالب التقييم الجزئي للصورة القديمة فما هو د. محمد عفيفي ينتهي إلى أن المقاييس البلاغية فرضت عليها إطاراً محدداً تسير فيه من الأدوات البيانية والإيجاز وعدم نقلها لمشاعر الشاعر. في حين يرى الصورة الحديثة تبث كل ما افتقدته تلك القديمة بل تزيد عليه<sup>(٢)</sup>.

وربما كانت هذه الدراسة من ضمن الدراسات التي سارت في ركب دراسة د. عز الدين إسماعيل حينما قال : بأن الصورة القديمة تحوطها ثلاث صفات لا تكاد تبرح مادتها حتى تحليلها نقداً حرفياً وتعبيراً شكلياً بسبب نزوعها الحسي نحو الأشياء. بينما يرى أن الصورة الحديثة تغمرها الحيوية وإن كانت حسية إلا أن هذه الحسية في رأيه مخالفة لحسية الصورة القديمة يقول : ( الصورة القديمة تتصف بثلاث صفات لا تفارقها ، الحسية والحرفية والشكلية ..... )<sup>(٣)</sup>.

( وإذا كان تقييم العمل الفني ينبغي أن يتم من خلال النظر إلى الصورة بوصفها لبنة في بناء فإنه يمكن الحديث عن نوعين من الصور:

١- الصور النامية وهي التي تسيطر على الألفاظ ويتسع مدارها بطول تأملنا لها وتهبنا إشعاعات وطاقت ورؤى كلما عاودنا قراءتها .

٢- الصورة الثابتة وهي التي تحددت أبعادها ووقف نموها وسيطرت عليها الألفاظ وظلت ذات مدلول اشاري واحد جعلها أشبه بالتقرير البحث )<sup>(٤)</sup>.

ويوافق د. بسام د. محمد الشنطي حيث يرى أنه ( توفر في القصيدة العربية وخصوصاً في نماذجها المتميزة قدر من الإيحاء والظلال النفسية التي خرجت بالمعنى عن محدودية الإشارة إلى أفق الدلالة ولا يعني هذا أن الشعر العربي القديم على إطلاقه نأى عن المعنى التقريري ولكن النماذج الرفيعة منه ظلت بعيدة عن الإفصاح المباشر )<sup>(٥)</sup>.

(١) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ص ٩٣ .

(٢) النقد التطبيقي والموازنات - محمد عفيفي - ص ١٦٩ .

(٣) الأدب وفنونه - عز الدين إسماعيل - ص ١٣٩ .

(٤) وحدة القصيدة في النقد العربي القديم - بسام قطوس - ص ٣٨ - ٣٩ .

(٥) في النقد الأدبي - محمد الشنطي - ص ٤٥٥ .

وقد عالج النقد القديم قضية الصورة الفنية معالجة تتناسب مع ظروفه التاريخية والحضارية فاهتم بالتحليل البلاغي للصورة القرآنية وتمييز أنواعها المجازية وركز على دراسة الصورة الشعرية عند الشعراء الكبار أمثال أبي تمام والبحتري وابن المعتز وتنبه إلى الإثارة التي تحدثها الصورة في المتلقي والتفت نوعاً ما إلى الصلة الوثيقة بين الصورة والشعر وكانت الصورة تفرض نفسها على وعي الناقد القديم أثناء بحثه القضايا الأساسية التي شغلته مثل الموازنة والسراقات كما كانت الصورة تفرض نفسها عليه في محاولته تتبع ما حققه الشعراء من اختراع وابتكار وابتداع.<sup>(١)</sup>

وما زالت الأذهان تكد وتجتهد في معالجة مفهوم الصورة في النقد العربي منذ ما يقارب نصف قرن وتظهر دراسات مختلفة تتنوع في اتجاهاتها في تناول المفهوم وتتباين تبعاً لذلك تعريفاتهم وتتفاوت درجات تحديدهم لوظيفتها وأهميتها و تتعاقب في أبحاثهم مناهج عدة تبرز زوايا متعددة للصورة كل منها حسب رؤيته ومذهبه. ومع كل الجهود البحثية المبذولة في مجال الصورة الفنية بشكل عام والصورة الشعرية بشكل خاص نجد أن معظم الدراسات وصلت إلى تصورات شتى ولم تثبت قاعدة أساس تقرر عليها إحدى تلك الرؤى. لتبقى بعد ذلك الصورة رهن التطور المذهبي والتقدم الذهني عند كثير من الدارسين ونتيجة لهذا التباين والتعدد ولجلال النصوص التي تهتم بها هذه الدراسة وابتعادها عما وصمت به الإبداعات الذهنية عند الشعراء وفستت به حيناً آخرأ من التراسل واللاوعي وغيرها من الصفات التي لا تليق بالذات النبوية المحمدية •

ولما كانت هذه الدراسة تعني بالبحث عن خصائص بلاغية بيانية في أحاديث الغيب وكانت تعني في الوقت ذاته بما يتضمنه الحديث النبوي من فكر وكان هذا القول صادراً عن لا ينطق عن الهوى وكان قوله وفعله انبثاقاً عن تصور امتلك خصوصيات معينة كانت تجسيدا لما في القرآن من معان وأساليب . وكان القرآن والسنة منطلق حضارة إسلامية بدأت بالنص إذ بثتها آيات الذكر الحكيم وأقوال الرسول الكريم في الحياة الإنسانية عامة والإبداعات الذهنية خاصة فإن المفهوم الذي ستأخذ هذه الدراسة جسراً تصل به إلى دقائق التركيب في الحديث الغيبي وكيفية كشفه عن مضامين خصبة أنبتتها العبقرية المحمدية هذا المفهوم لمصطلح التصوير سيكون على اعتبار التصور العقدي وفاعلية دوره في الإنتاج الفكري •

ثم لما كانت خطة هذه الدراسة قد حددت نهج سيرها بالاختصار على التعبير البياني في البلاغة العربية فإن المسيرة البحثية هنا ستعتمد تعريفاً يختص بالألوان البيانية ليكون محور المناقشة والاستبيان

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب – جابر عصفور – ص ٨٠، ٧

والاستدلال في الحديث • وكنا قد وجدنا في النقد العربي القديم من عد الصورة البيانية خاصة سرّاً بلاغياً وغاص في ثراء تلك الصورة مستخرجاً لآلى أثرت النقد العربي بصفة عامة •

ورأى ( أن التشبيه والتمثيل والاستعارة أصول كبيرة كأن جلّ محاسن الكلام – إن لم نقل كلها – متفرعة عنها وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها )<sup>(١)</sup> • وعلى ذلك يمكننا القول أن الصورة البيانية هي ( المحصلة الفنية التي تتجلى في إفراغ وسائط أو فنون البيان من تشبيه واستعارة وكناية لأداء المعنى بطرق مختلفة ، يصل إلى الملتقي فيجعله مدركاً وواعياً لتفاصيل هذه المحصلة الفنية )<sup>(٢)</sup> •

وذلك باعتبار ( أن التفسيرات الأدبية سواء بالنسبة إلى الناحية الجمالية أو بالنسبة إلى النواحي الأخرى الباطنية ، تقوم على التصور )<sup>(٣)</sup> •

وسيكون هذا التعريف خلفية تبرز من خلال تتبع أجزاءها جداول الفيض البلاغي في لونه البياني لتكون تلك الأجزاء كلفائف الحرير الضامة بين طياتها لؤلؤة فريدة لا تبدو إلا بعد بحث وترقب وإعمال فكر وشحذ بصيرة . وبما أن الصورة التي قام عليها أس هذه الدراسة هي الصورة البلاغية البيانية خاصة فإن الدراسة وإن طرقت باب المناقشة والبيان فإنها ستحفظ للنص خصوصيته وللقائل تفردّه وسترعى قيام الصورة البيانية في الأحاديث النبوية بناء على نوعها وأهميتها ووظيفتها والطبيعة السياقية التي وردت فيها والحقيقة التي حملتها .

(١) أسرار البلاغة • عبد القاهر الجرجاني – ص ٢٧ •

(٢) الصورة البيانية في الحديث النبوي • فالح حمد الحمداي – ص ٣١ •

(٣) النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق • أحمد رحمانى – ص ٢٠٢ •



# الصورة البيانية في أحاديث الغيب الدنيوي

## توطئة

الإيمان بالغيب مرتبة تعلو بها نفس الإنسان وتصفو بها سريرته وتعانق بها روحه ريحانة اليقين بالقدر الإلهي ، والقدرة الربانية ، في خلق ما لا نعلم وإيجاد ما لا ندرك .

وإذا كانت العبادة والقرب من الله زاد الروح وغذاء النفس ، فإن ارتكاز الإيمان بالغيبات في تلك الروح هو ما يبعث فيها النماء لتضرب بجذورها في قيعان الجنة ، وتتيقن أنها في يوم ما ستري جنى غرسها ، وتلمس حقيقة ذلك الوجود بحواسها وبصيرتها .

كما أن في الإيمان بالغيب انطلاقة روحية وجسدية تعمّر هذا الكون بالذكر لله والخلافة في أرضه فتتوازن نوازع النفس ما بين الروح والجسد ، وتحل به طمأنينة الغد المرتقب في عالم لا تكدر صفوه الشبهات ، ولا صخب فيه ولا تعب . ﴿ منكبين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً ﴾ \* ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً \* ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً \* قواريراً من فضة قدروها تقديراً \* ويستقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً \* عينا فيها تسمى سلسيلاً \* ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبهم لؤلؤاً منثوراً \* وإذا رأيت ثمر رأيت نعيماً وملكاً كبيراً \* عاليهم ثياب سندس خض واسهبوق وحلوا أساور من فضة وسقاهم زهراً باطهوراً \* إن هذا كان لكرم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴿ الإنسان (١٣-٢٢)

( والإيمان بالغيب ركن من أركان الإيمان إذ يشمل الغيب الإيمان بالبعث والحشر والجنة والنار والملائكة إلى آخر تلك الغيوب التي حدث عنها الإسلام في القرآن الكريم وفي حديث الرسول ﷺ ، ولما كان للإيمان تلك الأهمية الكبرى في سياق المنظومة الإسلامية جاءت البلاغة النبوية معنية بتجلية هذا الجانب العظيم ) (١)

وقد جاءت النبوة في أحاديث الغيب تربية نفسية وذهنية بأفكارها المستقبلية الوقوع ، لتوقع في القلوب أولى منازل الرهبة والأهبة والاستعداد لليوم الآخر . وإذا كانت سبل البيان العربي متعددة وطرانقه متنوعة في النقل والإعلام والخبر والاستخبار والإبداع ، وكان لكل سبيل فرائده وامتيازاته ؛ فإن الأساليب البلاغية البيانية لها مع هذه الخصيصة خصائص أخرى تقوم من البيان العربي عامة مقام

(١) من توجيهات الأستاذ المشرف .

القاعدة والأس من البناء ، لا تنفصم عراها ولا تنقضي عجائبها . كيف وهي من أساليب البيان القرآني الذي قضى الله بعلوه وخلوده . والأسلوب البياني بعناصره التشبيهية والمجازية والكنائية إحدى رؤى البيان التي حظيت منذ وقت مبكر بقداسة العقلية العربية وإكبارها لها وإجلالها لعناصرها .

وإذا كان البيان يعني ( القدرة على تصريف الصورة البيانية في صياغات متعددة بحسب تعدد أحوال المتكلمين ، أو بحسب مقتضيات أحوال المخاطبين في المواطن المختلفة في السياقات المتعددة ) <sup>(١)</sup>

فإن النبوءة النبوية تقع في القمة من هذا ، فهي معان موحى بها إلى النبي الكريم ﷺ وإن جاءت ألفاظها وتراكيبها على لسان محمد الأمي في سياقات تقرب تلك المعاني إلى العقلية البشرية وتقدمها لها في قوالب البلاغة المصطفاة المختارة ، لتظل حية دائمة الحيوية والتجدد في أذهان المؤمنين في كل عصر ومكان .

و أحاديث الغيب عامة جزء من السنة النبوية التي تقوم بها أسس العقيدة ، وتبنى عليها منارات الإيمان . وهي في موضوعها تتضمن خيطاً عاماً يشد الوثاق بينها ، من حيث وقوعها المستقبلي وحقيقتها الكائنة في حين ما ، وتتفرع فيما تنطوي عليه من خبر إلى دنيوية وأخروية . وفي أحاديث الغيب الدنيوي خاصة تتكشف الأسرار وتتفق المعاني عن ومضات تشي بخطر الحدث وعظمه ، والمتدبر في المعنى وأسلوب وروده يجد أن حقيقة تمثيله وثبوت وقوعه ينطق بهما : الوحي والبلاغة النبوية في اتساق يبدد ظلمات الجهل بالأحداث المنذرة بوقوع الطامة . وإذا كانت العناية الإلهية قد أحاطت تلك النبوءات ورصدت فيها مقدمات الانقلاب الكوني ، وعظائم الحدث الدنيوي ؛ فإن البلاغة المحمدية وقد اصطفتها الرحمة الربانية قد نقلت تلك النبوءات ، وأبلغتها عبر إشعاعات البيان العربي عامة وركائز البلاغة البيانية خاصة ( في أسلوب لا يضطرب به الضعف ، ولا تزييله الحكمة ، ولا يجافيه الصواب ، بل يخرج رصيناً غير متهافت متسقاً غير متفاوت ، لا يغلب على النفس التي خرج منها بل تغلب عليه ، ولا تسترسل به المخيلة بل يضبطه العقل ، ولا يتوثب به الهاجس بل يحكمه الرأي ، تراه على استواء واحد في شدة وقوة واندماج وتوثيق ) <sup>(٢)</sup>

وجاءت أحاديث الغيب حاملة حقائق سابقة لعهد وقوعها و كان عرضها بالتصوير قد ساعد في تثبيت حقيقتها وكشف معالم يستبين منها المؤمن اليقين الإيمان بحوادث الدنيا المؤذنة بنهايتها ، والمؤكد

(١) أساليب البيان والصورة القرآنية محمد إبراهيم شادي ١٥

(٢) الادب في عصر النبوة والراشدين صلاح الدين الهادي ١٢٦



حتمية الوعد الرباني ، وصدق القول النبوي ، فكانت بوابة تعبر منها القلوب مطمئنة إلى جسر الثبات على الحق ، وهي في ذات الوقت منبه لتستيقظ القلوب الغافلة وتنبو العقول الهائمة .

ونتيجة لورود كلمتي الغيب والفتن كمرتكزين أساس في الأحاديث الغيبية تتبعنا تعريفهما في عدد من المصادر فالغيب : ( الشك ، وجمعه غيابٌ وغيوبٌ . والغيب كل ما غاب عنك " يؤمنون بالغيب " أي يؤمنون بما غاب عنهم ، مما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر البعث والجنة والنار . والغيب : ما غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب ، ويقال : سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه . وقد تكرر في الحديث ذكر الغيب وهو كل ما غاب عن العيون ، سواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل . والغيب ما اطمأن من الأرض وجمعه غيوب ، وغيابة كل شيء قعره ، كالجب والوادي وغيرهما وفي التنزيل العزيز " في غياطة الجب " (١) .

والغيب : ( مصدر أقيم مقام اسم الفاعل ، كالصوم بمعنى الصائم ) (٢) .  
( والغيب في كلام العرب : كل ما غاب عنك وهو من ذوات الياء ، يقال منه : غابت الشمس تغيب ) (٣) .  
( والمراد بالغيب مالا يدرك بالحواس مما أخبر به الرسول ﷺ صريحاً بأنه واقع أو سيقع مثل وجود الله ، وصفاته ، ووجود الملائكة ، والشياطين ، وأشرار الساعة ، وما استأثر الله بعلمه . والإيمان بالغيب هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي فإذا آمن به المرء تصدى لسماع دعوة الرسول وللنظر فيما يبلغه عن الله تعالى فسهل عليه إدراك الأدلة ، وأما من يعتقد أن ليس وراء عالم الماديات عالم آخر وهو ما وراء الطبيعة فقد راض نفسه على الإعراض عن الدعوة إلى الإيمان بوجود الله وعالم الآخرة كما كان حال المادييين وهم المسمون بالدهريين الذين قالوا : ﴿ ما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [ الجاثية ٢٤ ] ، وقريب من اعتقادهم اعتقاد المشركين ولذلك عبدوا الأصنام المجسمة ، ومعظم العرب كانوا يثبتون من الغيب وجود الخالق وبعضهم يثبت الملائكة ولا يؤمنون بسوى ذلك ) (٤) .

( " فتن " الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار . من ذلك الفتنة ، يقال : فتننا أفتن فتننا . وفتنت الذهب بالنار ، إذا امتحنته . وهو مفتون وفتين . والفتان : الشيطان ) (٥) .

(١) لسان العرب لابن منظور - ج ١١ - ص ١٠٥

(٢) التفسير الكبير - فخر الدين الرازي - ج ٢ - ص ٣١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ج ١ - ص ٢٠٨ .

(٤) التحرير والتنوير - الطاهر ابن عاشور - ج ١ - ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس - ج ٤ ص ٤٧٢

( والفتن : إحراق الشيء بالنار كالورق الفتين أي المحترق ، وقوله تعالى : ﴿ يوم هم على النار يُشْون ﴾ أي يحرقون . وكان أصحاب النبي ﷺ يفتنون بدينهم ، أي يعذبون ليرتدوا عن دينهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ والفتنة : العذاب . والفتنة : أن يفتن الله قوماً أي يبتليهم ) .<sup>(١)</sup>  
( وجماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد ) .<sup>(٢)</sup>

( والفتن بكسر الفاء جمع فتنة وهي : المحنة ، والفضيحة ، والعذاب ، ويقال : أصل الفتنة الاختبار ، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه ، ثم أطلقت على كل مكروه وآل إليه ، كالكفر ، والإثم ، والفضيحة ، والفجور ، وغير ذلك ..... ) .<sup>(٣)</sup>

إن الصورة البيانية في حديث الغيب الدنيوي ركيزة تقوم بها البنية الإيمانية بالغيب الذي أخبر عنه الرسول ﷺ ، وإذا كانت تمر على قلوب الغاوين الغافلين فلا تردهم عن انحراف ، ولا تمنعهم من ميل ؛ فإنها لتنهز معاقل الدسائس والمكائد عند المنافقين فتكشفها ؛ لتنتهي عند المؤمنين برداً وسلاماً بحقيقة كائنة . وتتضمن أحاديث الغيب الدنيوي بياناً نبوياً كريماً عما بدأت تنفرج عنه نهايات الزمان ، وما أخذت ملامحه تلوح في الأفق من انكسار الخط الدنيوي ، وتغيير مساره ، لتبدأ الحياة الدنيا خطاها نحو النهاية ، وتتسابق الأحداث لتأخذ كل منها مكانها في هذا الخط فتدلي بدلوها في طي الطريق وابتلاع ما يمكن من زخارف الحياة ومن انغمسوا فيها . ومن هذه الأحاديث ما كان التعبير فيها تصويراً بيانياً عرض به المصطفى ﷺ الخبر عرضاً فنياً تقريبياً يلمس القلوب ويحرك العقول في بيان محمدي سما به الأدب الرباني وعلت به سمات الوحي الإلهي .

وهذه البلاغة المحمدية كانت إبلاغاً بما هو كائن من الأمور الدالة على تزلزل كيان الدنيا واهتزاز جوانبها ليكون بدء الإذن الفعلي لانقضاء الأجل فيها . والأحاديث التي تضمنت الصورة البيانية في الإخبار الغيبي الدنيوي تنقسم إلى ست ركائز تقوم كل منها بدور فاعل في إخراج النبوة حول تقارب

العهد الأخروي الذي كانت بعثته ﷺ أولى علاماته وهي :

١ - بدء منذرات الساعة في الظهور .

(١) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي - ج ٨ - ص ١٢٧ .

(٢) لسان العرب لابن منظور - ج ١١ - ص ١٢٥ .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود - للعلامة أبي الطيب محمد شمس الدين - ج ٧ - ص ٣٠٥ .

- ٢- تمام الدائرة الدينية وبدء تباعد أطرافها .
- ٣- بدء الانزياح الديني والخراب الدنيوي .
- ٤- ظهور أصناف من الضلال .
- ٥- حال الإمارة في آخر الزمان .
- ٦- اقتراب العهد الأخروي ونزول أولى آياته .

## ١- بدء منذرات الساعة في الظهور

١- عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : ( بعثت أنا والساعة كهاتين ) قال : وضم السبابة والوسطى . (١)

في إخبار الرسول ﷺ السابق عن الساعة نبوءة عن اليوم الآخر وكأنها التوأم الذي لم يشاركه في الرحم ولا عاش معه فترة من الزمن فكانت البعثة المحمدية وبعث اليوم الآخر كالقسيما ، محمد ﷺ كانت بعثته إلى الخلق مبشراً ونذيراً وفي اليوم الآخر كانت بعثته الإرهاصات بتقارب العهد الدنيوي وفك زمام الحياة الدنيا لتأخذ بطرفه نذر الأجل الدنيوي يتقلب في عرصاتها حتى تشاء القدرة الربانية أن تضع الدنيا أحمالها وتسلم إلى الرب قيادها . وهذه النبوءة تشد الوثاق بين البشارة والإنذار فبعثة محمد ﷺ بشارة الهداية ونذير الغواية ، ثم إن الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر .

( قال القاضي عياض : يحتمل أنه تمثيل لمقاربتهم وأنه ليس بينهما إصبع أخرى كما أن لا نبي بينه وبين الساعة ويحتمل أنه لتقريب ما بينهما من المدة كنسبة التقارب بين الإصبعين تقريباً لا تحذيراً ) (٢)  
( فالتشبيه في هذا الحديث جمع بين السهولة والواقعية حيث استخدام الرسول ﷺ إصبعيه لتقريب المعنى إلى أذهان السامعين ، فالمشبه هو : هيئة العلاقة بين بعثه وبين قيام الساعة والمشبه به : هيئة العلاقة بين الإصبعين السبابة والوسطى ، ووجه الشبه : وثوق العلاقة بين الأمرين وشدة الارتباط بينهما وانعدام الفواصل ، إذن التشبيه يصور للمسلمين هذه العلاقة الوثيقة بين بعث الرسول و بين قيام الساعة ، وهذا التصور يقوم به المشبه به على أفضل وجه ، فأى شيء أوثق علاقة وأشد ارتباطاً من إصبعين متجاورين في يد واحدة ، فالمسافة بينهما قريبة .....جد قريبة ) . (٣)

إن للتركيب اللغوي في النبوءة السابقة أثراً واضحاً في الأداء الموضوعي والبلاغي معاً ، وذلك في اختيار الفعل ( بعثت ) الموحى بالوجود السابق للشيء وإنما كان البعث تجديداً وإبرازاً ، ومجيئه بصيغة الفعل المبني للمجهول التي أذابت كل الحواجز الشكية ليعرج الفكر الصافي في سماء الفطرة النقية، ويتأمل كيفية المشيئة الربانية وسير القدر الإلهي حتى بلغت الأمور مبلغها الذي تثوب بعده إلى خالقها .  
والتركيب اللغوي يفتح باب التأويل بما يقوى به المشهد البياني وذلك بالإيحاء والتقرير اللذين يمدان عناصر التصوير بمدد من التأكيد والتلازم الحدثي ، وكل ذلك ينتظم في سياق مقنع لا تملك النفوس

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي ( باب قرب الساعة ) ج ١٨ ص ٢٩٠

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين محمد بن علي بن محمد بن علان ص ٣٢٣

(٣) من توجيهات الأستاذ المشرف

المطمئنة أمامه إلا انحناء إكباراً وتصديقاً ومن مزايا التركيب اللغوي في هذا السياق – أيضاً - الإسناد إلى الضمير في الفعل وتأكيده مما أضاف هالة من اليقين أحاطت بالنبوءة وأضاءت جنبات الصورة التشبيهية التقريرية . كما أن للإشارة هنا دوراً بارزاً في التأكيد وإضافة بيان إلى بيان .

( فالصورة الإشارية لغة حقيقية حركية يقوم بها المبدع جامعاً بين التوصيل والإيحاء ، فقد دخلت الدراسات الأدبية وصارت ترصد في الإبداعات الأدبية ، ولنا في القرآن الكريم الشواهد الوفيرة على هذه الجمالية مثل قوله تعالى : ﴿ وأحيط بشمة فاصبح يقلب كفيه على ما أفتق فيها وهي خاوية على

عروشها ﴾ [الكهف ٤٢] ، وقوله عز وجل : ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾ [الفرقان ٢٧] . وتتضمن

هذه الآيات وأمثالها إشارات يمكن أن نقول : إنها صور حركية تكني عن مشاعر خلفها ... وكان عليه الصلاة والسلام ينسجم مع ما يقوله ويتلاحم معه ... فإذا ذكر القلب أشار إلى صدره ، وإذا ذكر رضاع الطفل وضع سبابته في فيه ، وتلازم الأصابع عنده كان يعني الاقتران ، فضلاً عن تغيير جلسته ، ليؤكد أهمية الموضوع وشأنه الجلل ... ) . (١)

والحديث بأكمله كناية عن قرب اليوم الآخر وأن أحداثه قد بدأت تظهر ، وعلاماته بدأت تتكشف وأن الدنيا قد آذنت بالزوال واستعدت للارتحال .

قال تعالى : ﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾ . [الحج (٧)] .

وقال تعالى : ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها للجزى كل نفس بما تسعى ﴾ . [طه (١٥)]

٢- عن زينب بنت جحش : أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول : ( لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ) وعقد سفيان بيده عشرة قلت : يا رسول الله ! أنهلك وفيينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث . (٢)

كان الحديث السابق إنباء عن قرب الساعة عموماً ببعثة الرسول ﷺ وفي هذا الحديث أخذت تظهر علامات الساعة تباعاً بعد البعثة . حيث ورد في هذا الحديث الخبر عن بدء الفناء الدنيوي الذي أذن الله به ببعثة المصطفى ﷺ فكانت النبوءة تبياناً لما علمه بصرأ وبصيرة عن فتح جزء من ردم يأجوج ومأجوج وهم الذين أخبر القرآن عنهم قال تعالى : ﴿ قالوا يا إذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً أتون من ربي الحديث حتى إذا ساء بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال أتوني

(١) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف . أحمد ياسوف ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي . ( باب اقتراب الفتن وفتح روم يأجوج ومأجوج ) ج ١٨ ص ٢١١ .

أنفخ عليه قطر فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له تقبلاً قال هذا مرحمة من مربي فإذا جاء وعد مربي جعله ذكاً. وكان وعد مربي حقاً ﴿٩٤-٩٨ الكهف﴾ .

والسياق التحذيري الذي وردت فيه الصيغة البيانية في الحديث يوحى بجلل الأمر الذي بدأت سراياه تدك معازل الحياة الدنيا لشدة زمام النفوس التي لعبت بها الشرور ولينبذ عن الأجساد ما أثقلها من رغائب وشهوات وترفع عنها ثقله الطين وتزول وطأته عندئذ يدرك الإنسان حجم الخطر وعظم المصائب .

والنبوءة السابقة كانت رؤياً للنبي ﷺ نبأه بها العليم الخبير ورؤياً الأنبياء حق ، وابتدأه عليه الصلاة والسلام الخبر بالتنبيه المؤدي إلى التحذير يدل على عظم الخطب وجلال الأمر ، وأسبقية عبارة ويل للعرب جاءت لتقذف الرعب في القلوب وتضرب بجذور الويل في جنباتها ولتجمع فيها قواها حتى تأخذ استعدادها وتعد عتادها لما هو آت فقد اقتربت الساعة وانشق القمر وتقديم الشر على الفعل كان خصوصية في التركيب أشربت النفوس لهيب الخطر وألقت عليها قبساً من نور النبوة المهداة .

وبدأت العبارة النبوية الخبر بالفتح في ذلك الحجاب الذي كان يحجز تلك الأمم ويرد شرورها حيث أخذت تتحلل لبناته لتنتهي ببيان مقدار تلك الفرجة وتقرير ذلك الأمر بالصورة البيانية التشبيهية يزيد المعنى قوة ووضوحاً والعبارة كاملة تصوير بياني تقريبي بدأ بالإثارة وانتقل إلى الخبر لينتهي إلى تقرير الحقيقة وبيان حجمها .

( قوله ) ( ويل للعرب ) ( لفظ ويل مثل ويح إلا أن ويلا يقال لمن وقع في هلكة يستحقها ، وويحاً يقال لمن لا يستحقها ، وأراد بالعرب أهل دين الإسلام وإنما خص بذكرهم لأن معظم شرهم راجع إليهم .  
قوله ) ( من ردم يأجوج ومأجوج ) الردم : السد الذي بيننا وبينهم وقال الكرمانى : يقال إن يأجوج ومأجوج هم الترك وجرى ما جرى ببغداد منهم<sup>(١)</sup> ، وقال العيني : الترك ما لهم ردم والردم بيننا وبين يأجوج ومأجوج وهما من بني آدم من أولاد يافث بن نوح عليه السلام .  
قوله ) ( وعقد سفيان تسعين أو مائه ) وفي رواية خلق بإصبعه الإبهام والتي تليها ، وفي لفظ عقد سفيان بيده عشرة ، وفي حديث أبي هريرة وعقد وهيب بيده تسعين ، المراد التقريب والتمثيل لا حقيقة التحديد .  
قوله ) ( إذا كثر الخبث ) بفتح الخاء والباء الموحدة فسروه بالفسوق كلها أو بالزنا خاصة ) ( ٢ )

(١) الذي جرى ببغداد كان من هولاكو من أولاد جنكيز خان الذي قتل الخليفة المستعصم بالله العباسي وأخرب بغداد في سنة ٦٥٦ هـ /  
(٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني المتوفي سنة (٨٥٥ هـ) ج ٢٤ - ص ١٨١ .

وجاء في المفهم ( أن قوله : ويل للعرب من شر قد اقترب ) تنبيه على الاختلاف والفتن والهرج الواقع في العرب ، وأول ذلك قتل عثمان ولذلك أخبر عنه بالقرب ، ثم لم يزل كذلك إلى أن صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة ( أوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ) قال ذلك مخاطباً للعرب ، ولهم خاطب أيضاً بقوله : ( إنني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر ) ، وقوله ( مثل هذه ) وحلق بإصبعيه : الإبهام والتي تليها ( هذا إخبار وتفسير من الصحابة التي شاهدت إشارة النبي ﷺ وهذا تقريب في العبارة والحاصل أن الذي فتحوا من السد قليل وهم مع ذلك لم يلهمهم الله أن يقولوا : غداً نفتحه – إن شاء الله تعالى – فإذا قالوها خرجوا والله أعلم . وقوله ( إذا كثر الخبث ) قال القاضي : العرب تسمى الزنى خبثاً وخبثته وهو أحد التأويلين في قوله تعالى ( الحيثيات للخبيثين ) [ النور – ٢٦ ] ، وقيل هو الفسوق والفجور . (١)

قوله (( ويل للعرب من شر قد اقترب )) هذه الصورة المفزعة تشهد بمبلغ الأسى والحزن الذي كان يختلج في صدر النبي ﷺ لما يلحق العرب من كوارث ومصائب لا تعد ولا تحصى ، وقد أشار الرسول ﷺ إلى تلاحق الفتن وتتابع النكبات على العرب بكناية لطيفة هي ابتداء انتقاب السد (- سد يأجوج ومأجوج -) وهو السد الذي يحجز وراء تلك الأقوام المتوحشة التي إن خرجت أهلكت الحرث والنسل ، فهو إذن تشبيه للفتن التي تحصل للعرب والمسلمين بالبلاء الذي يكون وراء خراب ذلك السد وما يتولد على أثر الخراب من أضرار فادحة تلحق بالناس الآمنين ) . (٢)

في قوله ﷺ : ( من شر قد اقترب ) شبه الشر بما له صفة الاقتراب ( الإنسان ) بجامع الحركة في كل ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاقتراب ثم اشتق منه اقترب على سبيل الاستعارة المكنية.

وتتمثل في قوله ﷺ : ( فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه )

صورة بيانية تشبيهية تقوم أركانها على :

المشبه : ما حدث في ردم يأجوج ومأجوج من فتح .

المشبه به : ما أشار إليه ﷺ بيده .

أداة التشبيه : مثل .

وجه الشبه : الشكل وإحداث فجوة فيما يكون مغلقاً .

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٥٧٨-٦٥٦ هـ / ج ٧ - تحقيق : محي الدين ديب مستو - يوسف علي بدوي - أحمد محمد السيد - محمود إبراهيم مزال ص ٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨ .  
(٢) من كنوز السنة - محمد علي الصابوني - ص ٤٥ .

الغرض من التشبيه : بيان مقدار تلك الفتحة الحادثة في ردم يأجوج ومأجوج . وتقريب تلك الحال وتقديرها . وهذا تشبيه مرسل مجمل .

والصورة البيانية في قوله ( مثل هذه ) قامت على ركائز سياقية أضافت إلى فاعليتها البيانية في الإيضاح والتأثير فاعلية الإنذار والتحذير ، ومن تلك الركائز : ورود كلمة استيقظ التي تدل على حدوث أمر ما جعله ﷺ يستيقظ ، ثم في قوله ( لا إله إلا الله ) الذي أضاف إلى السياق صبغة تنبيهية أكدت بقوله ( ويل للعرب ) ليتقرر الأمر بحدث جلل في قوله ( من شر قد اقترب ) والذي جاء الفعل فيه بصيغة الماضي الجازم بوقوع الحدث . وتعاونت مع مؤثرات السياق الإشارة التي بينت المقدار وأضافت إلى الصورة التشبيهية عنصر التأكيد .

وذلك في قوله ﷺ : ( مثل هذه ) . ( وللإشارات والحركات والأفعال دلالة عميقة في إيضاح المعاني وترسيخها في النفس ، ودارس الحديث النبوي يرى من ذلك الشيء الكثير الذي يدل على اهتمامه البالغ ﷺ بوسائل الإيضاح في تعليم أمته وشغل الحاسة مع العقل ) . (١) ( وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان ) . ( ٢ )

٣- عن أسامة : أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة / ثم قال : ( هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم ، كمواقع القطر ) . (٣)

ونتابع في هذا الحديث خبراً غيبياً عن أحداث تقع للأمة بعد وفاة الرسول ﷺ ، والصورة البيانية في هذا الحديث نهض بها التشبيه الذي اختص مواقع القطر دون المطر عموماً ، وهذا الوقع أدل في الإعلام من حيث بيان الأثر؛ إذ أن وقع القطرات لن يخطئ موقعه ولن تنحرف مسيرته ، يعضده ما سبقه من قول المصطفى ﷺ ( خلال بيوتكم ) فهذا التعبير يفتح باب الدلالة على عموم تلك الفتن وشمولها ، فهي لا تنتظر معبراً ولا تعبر طرفاً وإنما تجوس خلال البيوت . وتركت العبارة النبوية آثار هذا الوقع مفتوحاً لتأول المعاني حسب الأحداث بعد أن ألقت الضوء على دعامتين يمكن بهما تبين الحدث وتصور مدى خطره ، وتتمثل تلك الدعامتين في تساؤله ﷺ وتشبيهه وقوع الفتن بمواقع القطر ؛ فعلى هذين القطبين تقوم نبوءة هذا الحديث وعلى محاورهما تدور تأويلات الحال الكائنة .

وصيغة الجمع للفتن قابلها جمع كلمة بيوت لتدل على تعددها وعمومها ، كما أن كلمة خلال تكشف قناع الفتنة الذي تتستر به حتى تدب في البيوت دبيب النمل وتنشر فيها البلاء والشرور وتتفشى من عواقب

(١) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف - أحمد ياسوف ص ٣٩٨ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق - ج ١ - ص ٢٧٣ .

(٣) صحيح مسلم شرح الإمام محي الدين النووي باب نزول الفتن كمواقع القطر ج ١٨ ص ٢١٦ .



ذلك ما لا تحمد عقباه من المحن والرزايا التي تنخر في جسم الأمة الإسلامية وتضعف قواها . والسؤال في الحديث جاء للتشويق والإثارة بما أخبر به من حدث ؛ فتلك الرؤية سواء كانت معنوية أوحى بها إليه أم أن الخالق جلاها لبصره حتى عاينها بصرأ وبصيرة تلك الرؤية هي لب البيان النبوي في هذا الحديث. إذ استحالت إلى صورة تقريبية تشبيهية لتتمكن العقلية البشرية من مخاطبتها ومعايشة وقع مقالها ووقع مصابها وهي رؤية نبوية مستقبلية ولا بد أن تجد موقعها في ذات المؤمن . ولن تزال تلك الفتن تزلزل الضعاف حتى تزل بهم الأقدام وتهوي بهم الآثام في جذب المعصية وقطع الكفر وقسوة الغفلة عن الدين.

( قوله ( على أطم ) بضمّتين وهو الحصن والقصر .

قوله ( خلال بيوتكم ) أي أوساطها ، و قيل خلال النواحي .

قوله ( كمواقع القطر ) المطر .

والتشبيه في الكثرة والعموم لا خصوصية له بطائفة وفيه إشارة إلى الحروب الجارية بينهم كقتل عثمان رضي الله عنه ويوم الحرة - بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء - وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ .<sup>(١)</sup>

( وقوله ( إنني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم ) مواقع : جمع موقع ، وهو موضع سقوط الشيء ووقوعه ، خلال : بمعنى بين ، وهو خبر عن أنه رأى مواقع الفتن وعابنها ، وقد نص في الخبر على أنها تأتي من قبل المشرق وقد وجد كل ذلك كما أخبر عنه ﷺ فكان ذلك من أدلة صحة نبوته ورسالته ، ظهرت بعد وفاته ) .<sup>(٢)</sup>

( أطم : جمعه آطام ، ومعنى أشرف : علا وارتفع ، والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم أي : أنها كثيرة وتعمم الناس لا تختص بها طائفة ، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل وصفين والحرة ومقتل عثمان ومقتل الحسين رضي الله عنهما وغير ذلك ) .<sup>(٣)</sup>

( اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان كان بها ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك ، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك ، وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم لأنه إذا وقع في أرض

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري . للشيخ الإمام العلامة . بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني . المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ج ٢٤ - ص ١٨١ .

(٢) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم . للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ، ٥٧٨-٦٠٦ ج ٦ - ص ٢٠٩ - تحقيق . محي الدين ديب مستو . يوسف علي بديوي - أحمد محمد السيد - محمود إبراهيم بزال .

(٣) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم من الحاج ق - خليل مأمون شيجا ص ٢١٦-٢١٧ - ج ١٨ .

معينة عمها ولو في بعض جهاتها ، وأخبر ﷺ بوقوع الفتن خلال البيوت ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرها ) . (١)

( والملاحظ أن المطر قد أشاع في النص دلالتين : الإتساع المساحي والهبوط من علو وكأنما لفت النبي ﷺ أنظارهم إلى علو الفتنة على الرقاب ، فبلغهم من خلال وقوفه على الحصن المرتفع والفتنة إذا جاءت من الأعلى أرهبت ، وهي تجسم وقع السيف المعتلى الرؤوس وهكذا عمت الفتنة الأماكن والبيوت كما تصنع حبات المطر الكثيرة ، فثمة محاصرة خانقة مروعة ، خصوصاً إذا تصور المرء أن هذه الحبات التي تلاحقه رؤوس سيوف وأسنة وألسنة لهب ) . (٢)

والنبوءة السابقة أحاطت بها مؤثرات المكان وبلاغة البيان وذلك واضح من إشراف النبي ﷺ على الحصن وما أضافه ذلك الفعل منه ﷺ إلى الخبر من تأكيد لنبوته ونبوءته ، فارتفاعة ﷺ أتاح له فرصة لرؤية أشمل واتساع أكبر ، وهذا مما يناسب التقريب والتمهيد لنبا غيبي خاصة أنه يشمل أرض الرؤية وساكنيها ، ثم أعقب ذلك بالاستفهام الذي كان إشارة للاستعداد لنبا نبوي ، وفي حين بدأت الأذهان حركتها وأدارت الأنظار إنسانها تلقت الخبر الوارد عليها بعبارة كشفت عن كائن مستقبلي وقد أنارتها يقينية الوحي وبلاغة المصطفى ﷺ . والعبارة التصويرية في قوله ( إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر ) تعيش في كنف البيان التشبيهي وقد افتتحت بتأكيد الرؤية ( بأن واللام ) وتبين مواقع الفتن ، وكان لأسبقية عبارة ( خلال بيوتكم ) على المشبه به أثر في زيادة البيان لمواقع الفتن وشدة وقعها ، وانفتاح باب التأويل لكونها تقع في كل بيت .

( وخلال الدار: ما حوالي جُدرها وما بين بيوتها . وتخللت ديارهم : مشيت خلالها ) . (٣)

( وخلال اسم جاء على وزن الجموع ولا مفرد له ، وهو وسط الشيء الذي يتخلل منه . قال تعالى : ﴿ فترى الودق يخرج من خلاله ﴾ [ الروم - ٤٨ ] . (٤)

والأركان البيانية في الصورة السابقة تتمثل في :

المشبه : مواقع الفتن خلال البيوت .

المشبه به : مواقع القطر .

أداة التشبيه : الكاف .

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ج ١٣ ص ١٧ .

(٢) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ص ٣٥٠ .

(٣) لسان العرب لابن منظور - ج ٥ - ص ١٤٤ .

(٤) التحرير والتنوير - الطاهر ابن عاشور - ج ١٤ - ص ٢٦ .

وجه الشبه : الكثرة والعموم والتتابع والأثر .  
الغرض من التشبيه : الكشف والبيان والتقريب .

٤- عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : ( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا )<sup>(١)</sup>

وكما كشف الحديث السابق عن وجه من أوجه الفتن نرى هذا الحديث يكشف عن وجه جديد لتلك الفتن .  
ففي هذا النبأ دعوة إلى الإسراع وحث المسير والجد في طلب العمل الصالح وقد ابتدأت العبارة النبوية الحديث بالفعل الأمر للإثارة وليقع الأمر موقعه من اهتمام السامع والقارئ ليجد ويجتهد ويهتم بعمله ويطمئن بإيمانه ألا تصيبه تلك الفتن بسوء يجره خارج حدود الدين ومبادرة تلك الفتن والسبق عليها لا سبيل إليه إلا بالإخلاص فيقوى عزمه على العمل حتى لا تبادره هي فتجره خارج عقيدته فتهدى به في مكان سحيق . وجاءت الصورة كقطع الليل المظلم وهذه الخصوصية للقطع لرسم حال الفتن فهي من الكثرة بحيث إنها تتلاحق بل تتداخل كتداخل ظلمات الليل واشتدادها كلما أوغل في المضي ، والعبارة النبوية توحى بقرب ظهور تلك الفتن فالمبادرة لا تكون إلا لما أُرِف وقوعه واقترب حينه ولاحت في الأفق شاراته ومظانه ، وتلك المبادرة بالأعمال تقابل الفتن المتعاقبة عسى أن تكون نقاة من الوقوع في البلاء . وقد زادت الصورة التشبيهية الحدث إلى القلب ولوجاً وأمكنك المعنى من المثل أمام المخيلة لنقع النبوة من العزم الإيماني موقعاً فتشد فيه أزره وتتدارك عليه تقصيره ، والمبادرة في مقابلتها قطع الفتن تشعلان نار المسارعة والسباق للذان يتقاذفهما تعاقب الليل والنهار وسرعة تبدل الرجل وانتقاله من حال إلى حال .

والصورة البيانية في هذا الحديث نشرت ضياء وارف الظلال من التمازج الحاصل بين المعنوي والحسي في سرعة توارد الفتن وتعاقب وقوعها واشتداد وطأتها وما تؤدي إليه من الذبذبة والانزياح العقيدي حتى إنها تُحيل الدين عند ضعف الإيمان عرضاً زائلاً يستبدل به هوانا دنيوياً يتخبطون فيه حتى تقرَّبهم الحقيقة أمام هاوية الضلال .

والتعبير البياني في الحديث السابق يعيش في كنف التصوير التشبيهي الذي يمد يد المقاربة بين الفتن في وجودها المعنوي وبين قطع الليل المظلم إذ استنارت الصورة هنا بجزيئات القطع والوصف بالظلمة فتلك الفتن في تعددها تظهر تباعاً لكنها متقاربة كتقارب تلك القطع من الليل حتى غدت أولها تنبئ عن آخرها وإنها لتوحي بتدرج البلاء وازدياد وقعه على القلوب وتأثيره في العقول السقيمة ؛ فالليل بسكونه

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي . باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ج ٢ - ص ٢١٤ .

وسواده يوحى بولوج الفتن على حين غفلة وعلى غرة من العقول فالليل يبدأ غسقاً كما تبدأ تلك الفتن دسائس ومكائد . ولا زالت الصورة التشبيهية تتعقب الحال وتصف المآل فتلك حال الفتن أمام من ابتلي بها وضجت به وساوسها فهو يتخبط في اتجاره بدينه ويتكالب على همه وحصيله يتقلب في مهامه الفتن غدوة وعشياً لينتهي به المطاف إلى بنس المصير .

( صور الفتن تتلاحق كتلاحق الجيوش ، يطارد بعضها بعضاً وتشتد هذه الفتن كاشتداد الظلام ، يبدأ رويداً رويداً ثم لا يزال يشتد ويشد حتى يعم أرجاء الكون ويصبح ظلاماً مطبقاً دامساً ، لا يرى فيه الإنسان ما حوله ﴿ إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ [النور ٤٠] .

و نلمس خطر هذه الفتن في تقلب الإنسان ما بين عشية وضحاها من الإيمان إلى الكفر ) .<sup>(١)</sup>

فالعامل الصالح الذي حث الرسول ﷺ على المبادرة به والمصارعة في كسبه هو نور للمؤمن في الدنيا والآخرة ونجاة له فيهما ، والجد والاجتهاد في طلب العمل الصالح يثبت قدم الإيمان في القلب ويثبت قدم الإنسان على الحق فيسير على بصيرة من أمره ويكون حرزاً من تلك الفتن بإذن الله إذ إن ﴿ من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ [النور ٤٠] ، ولكن رحمة الله بالعباد أذنت ببقاء نور العمل الصالح ينتفع به المؤمن في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخضعنكم من الظلمات إلى النور ﴾ [الأحزاب ٤٣] .

واختيار التركيب اللغوي الجيد هو الذي فتح مغاليق الفهم للبحث والتنقيب عن السر في اختيار تلك العناصر من المبادرة وقطع الليل المظلم والصبح والمساء ثم البيع والجد في إيجاد الروابط الخفية التي مزجت البلاغة النبوية في إخراج هذه النبوءة . فالبدء كان بالمبادرة تنويهاً بالخطر الذي يؤول الأمر إليه إن لم تقع تلك المبادرة من التقلب بين الإيمان والكفر – عياداً بالله – حتى ينتهي الأمر إلى بيع الدين بثمن بخس لا يضمن ولا يغني من جوع .

( وقد شبه النبي ﷺ هذه الفتن المتمثلة بالمصائب والنكبات ، والبلايا التي تنزل على الناس في آخر الزمان فتصيبها ، وهنا نتأمل مدى دقة الرسول ﷺ في تشبيهاته ومنها هذا التشبيه عندما قال كقطع الليل المظلم ، لأن هذه العبارة تعني أن هذه الفتن متواصلة كالقطعة الواحدة ، لا تكاد تجد فيها فاصلاً بين فتنة وأخرى ، وشبهها بالليل لأنها تحيط بالإنسان أينما ذهب ، وإنها كالليل الذي يدركه المرء لا محالة حيثما هرب وأنى اتجه ، كما نلاحظ أن التشبيه هنا جاء مرسلاً مفصلاً وهذا التفصيل في ذكر وجه الشبه وهو

<sup>(١)</sup> من كنوز السنة دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف – محمد علي الصابوني ص ٢٨ .

الظلمة التي زادت في دقة الصورة وجلالها لأنه ﷺ حدد الظلمة التي تعني ما تعنيه من حالات الضياع والحيرة التي تنتاب المسلمين فيما إذا وقعوا فيها ) . (١)

وفي قوله ( كقطع الليل المظلم ) إشارة إنذار وتحذير أن تلك الفتن خطرهما عظيم وشرها مستطير ، وفي هذا تأكيد أن العمل الصالح نور للمؤمن في روحه وجسده ولذلك ناسب المبادرة خطر الخلود إلى الكسل والتهاون في شأن الدين قال تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ [يونس ٢٦] .

والبيان التصويري التشبيهي في قوله ( فتنا كقطع الليل المظلم ) تتمثل أطرافه في :-  
المشبه :- الفتن ، المشبه به : قطع الليل المظلم ، وجه الشبه : التتابع والتداخل والظلمة المعنوية في الفتن والحسية في قطع الليل . أداة التشبيه : الكاف ، الغرض : الكشف والبيان عن حال تلك الفتن وتصوير خطرهما

والصورة التشبيهية في ( كقطع الليل المظلم ) جاءت بياناً لحال تلك الفتن ، وتقريباً لقياس شرها ، ورسماً لخضم خطرهما وهو تشبيه مرسل مجمل لذكر الأداة ووجه الشبه . وهو صورة بيانية تشبيهية تنتفس في ضياء البلاغة المحمدية والبيان النبوي والخبر الوحيي فجمعت بذلك بين إيقاع الخبر بشدة ظلام تلك الفتن وتلاحقها وبين نور اليقين بوقوعها واشتداد كربها .

وفي قوله ( يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ) تعبير إيضاحي كنائي لصورة القلب العقيد الذي يزلزل النفوس فتزيغ عن الحق فتظل تتعاقب في القلوب صباغة من الأمل في بقاء الإيمان إلا أن الخطوب تعظم والشرور تتسارع حتى ينتهي الأمر إلى عقد البيع بعرض دنيوي .

وفي قوله ( يبيع دينه بعرض من الدنيا ) تصوير بياني لحال ذلك العقد الذي ذهب ضحيته الدين ليترك ذلك الإنسان بهيمة ترعى في غابات الغواية حتى تصيبها قارعة قال تعالى ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيهما صنعا قارعة أو قتل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ [الرعد ٣١]

وفي الصورة البيانية كان تشبيه زوال الدين بالبيع وانقضاء السلعة المباعة بجامع الانتهاء في كل ثم حذف المشبه به واستعار البيع للزوال واشتق منه يبيع بمعنى يستبدل أو يترك أو يزول على سبيل

(١) الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف فالح حمد أحمد الحمداني ص ١١٥ .

الاستعارة التصريحية التبعية . وبهذا البيع يصبح الإنسان عبداً مملوكاً لشهوته وتحركه عصابات أهوائه الباطلة أنى شئت وأينما شئت

وقال ﷺ : ( لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ) (١)

٥- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ( ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به ) . (٢)

ويسير هذا الحديث الشريف في ركب الأحاديث السابقة المخبرة عن الفتن وأنواعها .  
( قوله ( ستكون فتن ) ( المراد جميع الفتن وقيل هي الاختلاف الذي يكون بين أهل الإسلام بسبب افتراقهم على الإمام ولا يكون الحق فيها معلوماً بخلاف علي ومعاوية .

قوله ( القاعد فيها ) أي في الفتن خير من القائم إشارة إلى أن شرها يكون بحسب التعلق بها والظاهر أن المراد من يكون مباشراً لها في الأحوال كلها يعني أن بعضهم في ذلك أشد من بعض فأعلامهم في ذلك الساعي فيها بحيث يكون سبباً لإثارتها ثم من يكون قائماً بأسبابها وهو الماشي ثم من يكون مباشراً لها وهو القائم ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل وهو القاعد . والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شراً ممن فوقه .

وقوله ( من تشرف ) بفتح التاء المثناة من فوق والشين المعجمة وتشديد الراء على وزن تفعل - أي تطلع لها بأن يتصدر ويتعرض لها ولا يعرض عنها . قوله ( تستشرفه ) أي تهلكه بأن يشرف منها على الهلاك يقال استشرفت الشيء علوته وأشرفت عليه .

قوله ( ملجأ ) أي موضعاً يلجأ إليه من شرها . قوله ( معاذاً ) بفتح الميم وبالعين المهملة وبالذال المعجمة - أي موضع العوذ وهو بمعنى الالتجاء أيضاً ) (٣)

وقيل في قوله ( القاعد فيها خير من القائم ) إلى آخره أن معناه ( بيان عظيم خطرهما والحث على تجنبها والهرب منها ومن التشبث في شيء وأن شرها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها ) . (٤)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي باب قوله ﷺ : ( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ) - ج ١٣ - ص ٦٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي باب نزول القتن كمواقع القطر ج ١٨ - ص ٢١٧ .

(٣) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري . للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني - المتوفى سنة ٨٥٥ هـ - ج ٢٤ - ص ١٩٠-١٩١ .

(٤) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - المتوفى سنة ٦٧٦ هـ المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - تحقيق الشيخ مأمون شيجا - ج ١٨ - ص ٢١٨ .

وجاء في قوله ( من تشرف إليها تستشرفه ) ( أي من تعاطاها أو تشرف إليها صرعه وأهلكته وهو مأخوذ من أشرف المريض على الهلاك إذا أشفى عليه ، وقد روي : ( ومن يتشرف إليها ) على أنه فعل مضارع مجزوم بالشرط والأول على أنه فعل ماضٍ بموضع جزم بالشرط . والحديث كله تضمن الإخبار عن وقوع فتن هائلة عظيمة بعده ، والأمر بالكف عنها والفرار منها ) .<sup>(١)</sup>

في هذه النبوة تتضح درجة المشاركة في الفتن والوقوع في خضمها وقد صورها القول النبوي بأربع حالات : القاعد ، القائم ، الماشي ، الساعي لتنتهي إلى مرحلة الاستشراف التي لا تلبث أن تجذب صاحبها إلى قرارة الفتنة ، ثم انفرجت العبارة النبوية التحذيرية لتفتح مجالاً للخلاص في قوله ﴿ فمن وجد منها ملجأً أو معاذاً فليعذب ﴾ .

ومن هنا فتحت باب البحث في أنه قد لا يجد الجميع منجاً ولا ملجأً من تلك الفتن ليعبر دور الجهاد النفسي وربما الجسدي الذي يسلكه المؤمن لنجاة نفسه من الوقوع في لجة الفتنة أو جره إلى قعر الهاوية ثم ما زالت الفرصة مفتوحة أمام من يبحث عن النجاة وهذا ما حمل التعبير عنه حديث آخر حين أمر رسول الله ﷺ بالاعتزال والابتعاد عن المخالطة للناس إن خشي المؤمن على نفسه فتنة في دينه .

والتعبير النبوي بنية بيانية بلاغية تنبض بالحياة وتشع بالحركة في أسلوب جمع حالات التفاعل الإنساني مع الحدث ودرجته في أربع نقاط وكانت النقطة الخامسة في شدة القرب والاطلاع إلى كمين الفتنة وذلك في الاستشراف والتعرض لتبعاتها وما تجره من خراب شامل للنفس والجسد . ولم تغلق الرحمة المحمدية باب النجاة منها والحذر من الانجراف في تيارها بل بسطت ذلك في تلمس أي ملجأ أو معاذ يصيب به الإنسان إنقاذ نفسه وحاله من تلك الفتن ، وفي العبارة حث على البحث عن سبل الخلاص والالتجاء والأخذ بالأسباب في الحيطة والحذر .

وأحوال القعود والقيام والمشي والسعي في النبوة السابقة تأخذ قالب التعبير التصويري الذي يصف تباين المدى الذي يقع فيه الناس في تفاعلهم مع تلك الفتن ، فعلى قدر مشاركتهم تكون أحوالهم وعلى ذلك تتحدد الخيرية والأفضلية وتندرج منازلهم . والهيئات المتعددة في النبوة مستفاه من هيآت الإنسان في حياته اليومية وهي تصوير كنائي عن قدر التعامل مع تلك الفتن وتبيان لكيفيته التي تنتهي بالاستشراف والمباشرة لها مما ينتج عنه الانجراف في تيارها .

وفي قوله ( تستشرفه ) شبه الفتن بماله قوة في الأخذ والهلكة ( الإنسان ) بجامع القدرة والقوة المعنوية في الفتن والقوة الحسية في الإنسان ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو الاستشراف ثم اشتق

(١) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٥٧٨ - ٦٠٦ هـ - ج ٧ - ص ٢١١

منه تستشرفه على سبيل الاستعارة المكنية وهذا البيان الاستعاري التصويري بسط في العبارة أنداء التحذير والنصح وأضاف إلى خبر النبوة عامة إضاءة خاصة تنبيهية أن تلك الفتن سخط وعذاب لا يرحم من هوى فيه أو اقترب منه .

وكان المجاز في إسناد الإهلاك إلى الفتن وفي ذلك من البلاغة البيانية التصويرية ما فيه ، فقد أرسل للذهن وللقالب معاً ، رسائل النذر ، وأطلق إichاءات التحذير حتى يأخذ من الأمر حذره ويجد في طلب السلامة منه والنجاة من تبعاته

٦- عن حذيفة بن اليمان : قال : قال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن : ( منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً ومنهن فتن كرياح الصيف ، منها صغار ومنها كبار ) (١)

وما تزال النبوءات تتوالى والأنباء ترد في وصف الفتن .

في هذه النبوة تتوالى القوارع وتتسابق النذر لليوم الآخر ، وهنا الخصوصية لأنواع من الرياح عد منها المصطفى ﷺ ثلاث لا تبقي ولا تذر ، ثم ذكر أن نوعاً آخر منها كرياح الصيف ما بين القوة والضعف والشدة واللين . وذكر أن منها الصغار والكبار بياناً لمقدار القوة وحال الواقعة في بأسها ، فالصغر قد لا يتناول حجم الرياح فقط وإنما يزن مقدار خطرها وثقل وقعها وإصابتها . كما أن الكبير يجمع إلى الشمول عظمة قوتها وإن قل حجم المساحة التي تأتي إليها .

في قوله ( لا يكدن يذرن شيئاً ) كناية عن شدة بأسها وعظم أثرها .  
( وليتصور خيالنا الفتن التي لا تكاد تذر شيئاً أتت عليه ..... إنها صورة تترك للخيال أن يذهب في تصور هذه الفتن مذاهب شتى في التدمير والإفساد والإغواء ..... لا تذر شيئاً إلا أتت عليه ..... لا تذر حياً إلا قتلتها ولا نباتاً إلا قطعتة ، ولا بنياناً إلا هدمته ) . (٢)

والصورة التشبيهية جاءت في قوله ( فتن كرياح الصيف ) لبيان تعدد الأنواع لتلك الفتن وكثرتها التي تجعلها متتابعة فتكون كالغيمة المظلمة للناس تلحق بهم أينما كانوا وتختلف درجة تلك الفتن في الخراب النفسي الذي تلقي به في قلوب الذين حق عليهم القول ، واقتصرت العبارة على بيان أن منها صغراً وكباراً وبدأت بالصغار مراعاة لحال القلب الدنيوي الذي أخذ يعكس مسار الحياة فتبدأ تلك الفتن صغيرة ربما بقلة عدد أتباعها أو بتباعد الديار التي تأتي عليها أو بسريانها خفية في قلوب الذين ظلموا حتى تنتهي إلى الفتن الكبار التي يتطاير شررها وتصيب صواعقها عقول الغافلين وتضرب بشهبها قلوب

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ج ١٨ - ص ٢٢٣ .

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ٢٦٣ .



الحيارى التائهين المضيعين لدينهم ، الذين لا كتهم خديعة الشيطان حتى مجتهم أجساداً خاوية من الإيمان والحق .

قوله ﷺ : ( فتن كرياح الصيف ) التصوير التشبيهي تتضح أركانه في :-

المشبه : الفتن .

المشبه به : رياح الصيف .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الخفاء والاستتار عن الأنظار مع وجود الأثر الذي لا يخفى على البصيرة المؤمنة .

الغرض من التشبيه : التقريب لذلك الأمر الجلل وإيقاعه في النفس حتى لا تتلبد عليها الأهواء فلا تعي ذلك الخطر ، وإيقاعه في القلوب حتى لا تغلق عليها أبواب الغفلة فلا ترددها بصيرة الإيمان التحذيرية وإيقاعه في العقول حتى لا تدسه مكائد الشيطان فيها فلا تبصر الحقيقة .

( ورياح الصيف يعرفها العرب أتم معرفة ، فقد تكون ريحاً لا يحس الناس بها إلا بصعوبة ، وقد تكون ريحاً تملأ الرحب الكبير و الفضاء الواسع وتثير الغبار الذي يحجب الرؤية ، ويدخل كل بيت ، ويضيق على الناس سبيل التنفس إنها صورة مأخوذة من الحياة في الجزيرة العربية ) .<sup>(١)</sup>

والبيان التشبيهي في الصورة السابقة ينبئ عن الكثرة والتتابع مع التفاوت في الصغر والكبر ومبلغ الضرر .

وكما تعرف العقلية العربية رياح الصيف التي رعت الصورة البيانية في مراتعها وحلت من التعبير النبوي محل القلب من الجسد فمدته بالحيوية وزودته بالانطلاقة الرحبة في فضاء الخيال الذي يسبح في تصور تلك الفتن وحقيقة كنهها وهل هي فيما تدركه العقول وتحس به القلوب فقط أو أنها تشمل إلى جانب ذلك الأثر الخارجي من قتل وتدمير وإبادة ، تعرف ما في بالرياح و ما يوحي به من الأثر الذي من الجانبين : المعنوي والحسي ، ذلك أن الرياح لا يقف خطرهما على الواقع الخارجي فقد تحمل مرض الانحراف الذي بدأ ينهش في جسد الأمة الإسلامية منذ وقت مبكر من زمننا هذا .

٧- قال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباداً ، كالكوز مجخياً لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه )<sup>(٢)</sup>

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ٢٦٢

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً - ج ٢ - ص ٣٥٣ .

وإذا كانت الأحاديث السابقة قد تحدثت عن الفتن وصفاتها العامة ففي هذا الخبر نلمس الأثر الباطني لتلك الفتن .

هنا تعرض الفتن على البصيرة بصورة بصرية بادية في التفكك المنتظم المتتابع وكأنما قد سيقّت تمحيصاً وابتلاءً ، واتخذت الصورة البيانية القلب منطلق البيان فيها فهو محطة الإيمان ومركز الاتزان فإن كان هذا القلب مفرغاً عاثت في جنباته الشبهات فبات متعطشاً للغث يعب منه فسوف يشرب بما عرض عليه ويلهث إليه لتبدأ مرحلة التعبئة ثم الختمة عليه حتى يؤول به الحال إلى شر مصير يتخبط في وعاء هواه .

قال عليه السلام : ( إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ألا وهي القلب ) . (١)

أما إذا كان القلب معموراً بالطاعة فختامه بالثبوت لا تلجه تلك الفتن ولا تتوارد عليه . وقد وردت الصورة البيانية في الحديث السابق في أسلوب التقابل بين الحالين ففي الوقت الذي أشرب فيه القلب المفرغ من الدين من تلك الفتن نجد القلب الممتلئ إيماناً لا يأبه لها ولا يلقي نحوها بالاً فقد صفت سريره وخلصت عمارته من الزيف ، فالشرب يقابل بالإنكار مما يوحي بالانغماس والبعد عن الله وقد صور الحديث هذه الحال بقوله ( حتى تصير على قلبين ) فالعبرة النبوية صريحة في تحديد القسمة التي لا تتجزأ إلا إلى قسمين إما أن يكون ضعيفاً رخواً تدكه معاقل الفتن حتى يتشربها وإما أن يكون صلباً جلدأ لا ترحزه عن مبدئه الفتن وإن غاص لجة بحورها فإيمانه قارب نجاته ويقينه بالحق يتولى مسيرته .

والصورة البيانية حفلت باللون والتعبير الحسي المشاهد فالقلب المنكر لتلك الفتن السالم من دخالها يزينه البياض أما الآخر الذي أهوى إليها فلم يلبث حتى داهمه سوادها وتصيده كدرها . والبناء التصويري تدرج في بيان المصير بالبداية كانت علامات بسيطة حتى تجلو ما تحتها ويستبين خبؤها فيتناسب ذلك مع عرض الفتن عوداً وعوداً وتكون خاتمة المطاف إما الثبات والقرار على الحق وإما الميل والزيف ، وقد عبرت البلاغة النبوية عن هذا الحال بصورتي الصفا والكوز لتضع موازين المقارنة والمفارقة فالقلب النابض بحياة الإيمان يزيده الابتلاء عز ما وقوة حتى تصفو دخليته قبل ظاهره وحتى يصبح يقينه سوراً يحمي عقيدته وهذا ما عبرت عنه الصورة البيانية ( بأبيض مثل الصفا ) .

أما القلب المنطفيء الراكد الذي عب من الفتن حتى امتلأت جوانحه وأظلم باطنه حتى ثقلت عليه حمولته وأصابه الميل والانحراف ولم تعد به أدنى فرجة لمعرفة معروف أو إنكار منكر فقد هوت به الصروف في فيافي الضلال التي لا يتجسد أمامه فيها إلا ما تغطرس فيه من الهوى . والصورة البيانية هنا بدأت

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - باب فضل من استبأ لدينه - ج ١ - ص ١٥٧ .

بالقلب المائل وانتهت به ولعل ذلك يومئ إلى التحذير والتنفير في البدء وفي النهاية يرمي إلى التذكير حتى يظل الذهن قريب عهد بحال تلك القلوب المنحرفة قال ﷺ : ( الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد

الموت والعاجز من اتع نفسه هواها ومنى على الله الأمانى )<sup>(١)</sup>

( قوله ( كالحصير عوداً عوداً ) معناه أن الفتن تتوالى واحدة بعد أخرى كنسج الحصير عوداً بإزاء عود أو كما يناول مهية القضبان للناسج عوداً بعد عود ، وهذا المعنى أمكن وأليق بالتشبيه .

( وأشربها ) أي : حلت فيه محل الشرب كقوله تعالى ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعُجْل ﴾ [البقرة ٩٣] أي

حبه . كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء ، بخلاف القلب الآخر الذي شبهه بالكوز الخاوي لأنه فارغ من الإيمان والأمانة . ( أبيض مثل الصفا ) ، أي قلب أبيض فحذف الموصوف للعلم به وأقام الصفة مقامه ، وليس تشبيهه بالصفا من جهة بياضه ولكن من جهة صلابته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل والفتن إذ لم يلصق به ولم يؤثر فيه .

( اسود مربادا ) مرباد : مفعال والربدة : لون بين السواد والغبرة .

( كالكوز مجخيا ) : المجخي : المائل وجخى : إذا فتح عضديه في السجود ) .<sup>(٢)</sup>

في قوله ( فلا تضره فتنة ) شبه الفتنة بما يملك الضر لغيره ( الإنسان ) بجامع التأثير في كل ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو إحداث الضرر وإحاقه بالآخر واشتق من الضرر الفعل تضره على سبيل الاستعارة المكنية .

( وقد استعير فعل الشراب بفعل مبني للمجهول للتعظيم على الفاعل ولفت الاهتمام إلى هول الفعل وضخامة الانشغال به وقد شبه بياض القلب بالصفا أي من الطبيعة المخلوقة وهي الصخرة البيضاء الملساء وفيها دلالة على صلابته في الحق ، وفي هذا تكريم في حين شبه سواد القلب بالكوز من الطبيعة المصنوعة وفي هذا امتهان واضح وذلك لإيماء الطبيعة المخلوقة إلى الفطرة السليمة المخلوقة وإيماء الطبيعة الصناعية إلى اكتساب الدنيا ) .<sup>(٣)</sup>

الركيزة التي يقوم عليها البيان النبوي في هذه النبوءة هي القلب ذلك أنه إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ، به تقوم شعب الإيمان في الجسم ، وبه تنبض حياة الأعضاء ، وبه تستمر أنفاس الحياة الحقيقية التي تنقل الإنسان من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ومن عبودية الأهواء إلى منعة الإسلام وقوته ، وبالإيمان تحلق الروح نحو بارئها فتتطلع لما يقربها منه ولا تركز إلى حماة الطين

(١) من كنوز السنة - محمد علي الصابوني - ٣٩ .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي - ٣٥٨-٣٥٩ - ٣٦٠ - ج ١ .

(٣) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ٦١٧ .

المسنون بل تتعالى عن دنس الرذيلة وتشمئز من رائحة المنكر كيف وقد أنتها روح الريحان ووطئت دار الكرامة الربانية في الاستقامة والعمل الصالح .

فسلامة القلب شرط نفعه وصلاحه ، وتأتيه هذه السلامة من البراءة من الآثام والشرور وابتعاده عن ذلك ما بطن منها وما ظهر ، وتأتيه من تعاوده ومعاهدته بين أن وآن ، وتفقدته وتتبع أحواله حتى لا تعبت به الرذيلة فتأتيه دسائس ومكائد يعظم شرها بعد حين .

والفتن المذكورة في الحديث السابق لم تعرض على البصر فلعله قد يتقي شرها أو بعضه ، وإنما هي فتن اختصت ساحة عرضها بالقلوب ولما كانت الصورة ما زالت تتقلب في الأذهان معنوية بعيدة عن المشاهدة انتقلت العبارة إلى عرض التمثيل للتقريب والإيضاح فجاء الحصر لكنه لم يأت مفرداً بل بانته حاله في كلمة ( عوداً عوداً ) لتنتقل الصورة المعنوية إلى المنظر الحسي المبسوط في ذلك الحصر الذي تنقلت أعواد بنائه واحداً تلو الآخر وكذلك حال الفتن في تسربها الذي قد لا يلحظ خطره الإنسان في بادئ الأمر حتى تمتلئ جعبته بثقل السواد الذي يتفشى في تلك المضغة حتى يحيلها إلى ملاذ يجذب إليه بقية الفتن .

وتمثل ذلك في تشبيهه ﷺ انفتاح القلب الضال للفتن واستجابته لها بالإنسان الذي يشرب ليروي ظمأه ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشراب واشتق منه الفعل ( أشرب ) على سبيل الاستعارة المكنية التبعية .

ثم تحدثت النبوة عن قسمة القلوب إزاء تلك الفتن وجاء القلب المتقلب يصحب معه فعل ( أشرب ) بالصيغة المبنية للمجهول ليضع الفاعل في قائمة المثيرات والمنبهات التي تحرك الذهن للتفكير فيها من مرض ذلك القلب . وأمراض القلوب تشمل أوبئة الغفلة والتهاون والأهواء والمغريات وغير ذلك مما يوقع القلب فريسة سهلة لمكائد الفتن وحبال الشيطان .

في هذه النبوة نرى الفتن تعرض على القلوب كما تعرض السلع للبيع ، وجاء الفعل ( تعرض ) بصيغة مبنية للمفعول فكانت أبلغ في التبليغ وأمكن في التقرير للمعنى فهي سلع تعرضها نكبات الزمن المتأخر وفي ذلك تصديق لقوله ﷺ لأصحابه ، ثم بدأت الصورة تتضح معالمها شيئاً فشيئاً فهي كالحصير يبسط في استواء يكشف خيوط تكوينه عوداً عوداً وفي انتظام يحفظ تراص تلك الأعواد حتى إذا عبثت به يد العابثين انخرطت تلك الأعواد متسلسلة نحو التفكك عوداً عوداً وكذلك حال الفتن حين تنفصم عراها لا تلبث أن تتوالى في الظهور وتتخذ لها معارض تجذب إليها ذوي القلوب المريضة والعقول السقيمة بالخداعات و الشعارات الزائفة ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ [البقرة ١٠] .

فتقع تلك القلوب في شركها ولا تسلم من تبعات ذلك السقوط ، فقله ﷺ : ( أشربها ) يعني أن ذلك القلب قد عبَّ منها حتى ارتوى ، وامتلاً منها حتى أطَّ قلبه بالحمل وناء ، بالثقل فظهرت فيه أولى علامات التأثير ( نكتة سوداء ) لا تلبث حتى تنتشر في أجزائه آفة تخل فيه اتزانه ، وتقلب فيه استقامته حتى يصبح ( كالكوز مجخياً ) لا يدخل فيه شيء لحالة النكوس التي هو عليها فلا المعروف يجد له طريقاً إليه ، ولا المنكر يجد فيه ما يوقف تياره ، وليس في ذلك القلب إلا بقايا من الآثام والشرور التصقت بجوانبه المظلمة ، وقبعت في زواياه الداكنة لتظل ظلاماً وظلاماً فيه حتى يأذن الله بما يشاء قال تعالى

﴿ ومن يقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [آل عمران ٤٤]

وقال تعالى ﴿ كالذي اسهوت الشياطين في الأرض حيران ﴾ [الأنعام ٧١] ، وقال تعالى ﴿ وما ظلمناهم

ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ [الزخرف ٧٦]

أما القلب الذي أنكر تلك الفتن ووجدت حوله حصناً منيعاً وسداً حائلاً بينها وبينه فتنزل فيه البركة الربانية نكتة بيضاء تزيد في نوره نوراً ( نور على نور ) وتشد فيه عزمه حتى تشتد صلابته وتقوى

همته قال تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ [الحج ٤٢]

وذلك ما عبرت عنه البلاغة النبوية في قوله ( مثل الصفا ) قوة بناء وصلابة تكوين وشدة تماسك لا تدكه الفواحش ولا تنثني الأهواء وقد حفظت العناية الإلهية ذلك له وهذا ما توحى به عبارة ( فلا تضره فتنة )

قال تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ [إبراهيم - ٤٧] ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [المائدة - ١٠٥] .

وقد بدأ الحديث بالقلب المتشرب وانتهى بمثله بالكوز مجخياً مبالغة في التحذير والتذكير . وكلمة شرب التي اقترنت بذلك القلب الظامي بسبب ضياعه في بقاء مظلمة من الخزي والهوان أفرغت على الصورة سيل العرم الذي يقض مضاجع المتهاونين فتصحو همهم . كما أنها ألبيت القلوب المطمئنة بذكر الله جلاباب السلامة والعافية من تلك الفتن .

وقد برزت عناصر التكوين البياني في هذه النبوءة في ثلاث تشبيهات تفاعلت فيها مفردات الجمل وبنياتها وإحياءاتها حتى خرجت في صورة حاكت البلاغة النبوية نسيجها في ظل رعاية إلهية أحاطت بمعناها .

قوله ﷺ : ( تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ) تتمثل أطراف التصوير التشبيهي في : المشبه : عرض الفتن على القلوب وتتابعها ، المشبه به : الحصير في حالة بنائه عوداً عوداً و جزءاً جزءاً .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : التشابه في الشكل والتنوع في الأثر والتتابع المتلازم واتحاد الأصل مع اختلاف الوقع وذلك أن الفتن تتقارب في كونها فتناً إن كانت في مأكّل أو مشرب أو ملبس أو مسكن أو قول أو فعل أو مكان أو زمان أو دين . وتختلف في شدة وقعها على ذلك القلب شدة وأثراً حتى تجد من تلك القلوب من صفا به إيمانه وسما به يقينه فشع بياض إخلاصه ونقاء خلاصه من تلك الفتن . وكذلك حال أعواد الحصير التي تتلاقى في الشكل لتكون ذلك الحصير الجميل ولكن الاختلاف والتباين قد يطرأ عليها تحقيقاً لذلك الجمال من تغيير في الطول أو القصر أو اللون أو الثقل أو النقص .

وإحاء هذه الصورة البيانية أن الفتن تعرض على كل القلوب ولا استثناء في ذلك إلا أن الاستثناء يقع لاحقاً بعد وقوع الفتن وإنكار القلب السليم لها .

الغرض من التشبيه : الكشف والبيان والإيضاح .

وفي قوله ﷺ : ( أبيض مثل الصفا )

المشبه : القلب الذي أنكر الفتن .

المشبه به : الصفا .

أداة التشبيه : مثل .

وجه الشبه : في السلامة والنقاء والصلابة والثبات .

الغرض من التشبيه : التقرير والبيان .

في قوله ﷺ : ( أسود مرباداً كالكوز مجخياً ..... )

المشبه : القلب الذي أشرب الفتن .

المشبه به : الكوز مجخياً .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الميلان والخلو والضعف وذلك يتضح في ميلان القلب عن الطريق المستقيم ، وخلوه من الإيمان وضعفه أمام الفتن والكوز في ميلانه عن الاعتدال وخلوه من الشراب وضعفه إذ لا حول ولا قوة له من تلقاء نفسه .

الغرض من التشبيه : التقرير والبيان .

التشبيه الأول : يشمل تشبيه عرض الفتن في تلاحقها وانتظام وقوعها وربما تساوي شرها ، بأعواد الحصر المتراسة الآخذة في التفكك عوداً عوداً أو التي يعرضها صاحب صناعتها عوداً عوداً والتقى الطرفان في البنية التركيبية والانتظام المتتابع الذي يجعل شر تلك الفتن ناراً لا تخدم حتى تلتهم كل من حق عليه القول فكان من الغاوين .

والتشبيه الثاني : يشمل القلب الضال المنحرف الذي تخطت به شروره حتى ألجأته إلى سراق الجهل وسرايب الضلال ، ذلك القلب الذي أصابه ورم الانحراف بالغيوبة حتى تشربت أجزؤه سموم الخبث وعلقت به نجاسات المنكر فبدت فيه نكتة سوداء هي أس المرض وسبب الداء الذي سيعم كل القلب الذي تنكر لفطرته الإيمانية

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [البقرة ١٠٨] .

والتشبيه الثالث : يشمل القلب المنكر للفتن الذي أغلق دونها أبوابه وتلقفها عنه صرامة تمسكه بإيمانه لترتد تلك الفتن على أعقابها . فذلك القلب المطمئن قد ارتوى من ينابيع التقى التي أعطته الضمان في أنه لا يظماً بعدها ولا يضحى ، وقد أخذ التعهد بالحفظ والاستثناء من الغواية في آن واحد قال تعالى ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص ٨٢ - ٨٣] ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر-٤٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنعام- ٤٨] . وهذه الطمأنينة وذلك الضمان كان نكتة بيضاء برقت في جنبات ذلك القلب المستمسك بالعروة الوثقى قال تعالى ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورٍ مِنْ شَاءَ ﴾ [النور- ٣٥] .

وأضاءت أشعة النور الإيماني ذلك القلب وأودعت فيه قناديل اليقين بما عند الله يمدّها بالنور فتكسب القلب ثباتاً على الحق واستمسكاً به يقيه ما بقيت حياته من الفتن .

قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان- ٢٢] ، وقوله ( فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ) انتفاء الضرر بالفتنة يشمل الوجود الحياتي لهذا القلب فإذا قضى نحبه فقد أسلم القياد وانتهى عهد الابتلاء بفتن الحياة الدنيا وفي هذه العبارة كناية عن استمرار نفي الضرر عنه .

ومما توحى به صياغة العبارة في قوله ( فلا تضره ) أن الحفظ لذلك القلب المؤمن مستمر حتى آخر الزمن الدنيوي لكن ارتباط ذلك بديمومة السموات والأرض وإن أعطى زيادة التأكيد على ذلك الحفظ ،

إلا أن تلك الديمومة إذا ما قضت المشيئة الربانية بزوالها فإن النفي سيأخذ مساراً آخر وذلك أن زوال السموات والأرض وتبدلهما لن يغير ما في ذلك القلب المؤمن ولن ينتهي عمل ذلك النفي إلا أن الصيانة ستأتيه من جانب آخر .

قال تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [إبراهيم ٤٧]  
وقال تعالى ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ .  
[الزخرف - ٦٨ - ٦٩] .

وبذلك يظل عامل النفي يعمل في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقت العرض والحساب قال تعالى ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ [يس - ٥٢] ، قال تعالى ﴿ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ﴾ [الأحزاب - ٢٢] .

وفي قوله ﷺ : ( لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ) استعارة مكنية عن الضلال الذي تخبط فيه والعمى الذي سيطر عليه حتى أصبح عاطل التمييز فاقد البصيرة ) .



## ٢- تمام الدائرة الدينية وبدء تباعد أطرافها

١- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ( بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء )<sup>(١)</sup>

٢- عن أبي عمر عن النبي ﷺ قال : ( إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها )<sup>(٢)</sup>

( طوب : الطاء والواو والباء ليس بأصل ؛ لأن الطوب فيما أحسب هذا الذي يسمى الآجر ، وما أظن العرب تعرفه . وأما طوبى فليس من هذا ، وأصله الياء ، كأنها فعلى من الطيب ، فقلبت الياء واواً للضمة<sup>(٣)</sup> .

طوبى : اسم شجرة في الجنة أصلها في دار النبي ﷺ ، وفي كل دار من دور أمته غصن منها<sup>(٤)</sup> .

أَرَزَ : يَأْرُزُ أُرُوزًا : تَقَبَّضَ وتَجَمَّعَ وثبت فهو آرز وأرُوزٌ .

وأَرَزَتِ الحية تَأْرُزُ : ثَبَّتَتْ في مكانها ، وأَرَزَتْ أيضاً : لاذت بجحرها ورجعت إليه . وفي الحديث : إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها ؛ قال الأصمعي : يأرز أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها . ومنه كلام علي ، عليه السلام : حتى يأرز الأمر إلى غيركم . والمأرز : الملجأ . وقال الضرير : الأرز أيضاً أن تدخل الحية جحرها على ذنبها فاخر ما يبقى منها رأسها فيدخل بعد ، قال : وكذلك الإسلام خرج من المدينة فهو ينكص إليها حتى يكون آخره نكوصاً كما كان أوله خروجاً ، وإنما تأرز الحية على هذه الصفة إذا كانت خائفة ، وإذا كانت آمنة فهي تبدأ برأسها فتدخله وهذا هو الانجحار<sup>(٥)</sup> .

جاءت الصورة البيانية تبياناً لحال الكيان الإسلامي وما ينتهي إليه في آخر الزمان من الغربة التي تعود به لسابق ما بدأ إيذاناً بتقارب العهد الرباني لنهاية القدر الدنيوي وكما بدأ الإسلام بالغربة في أزمان تعثرت فيها الخطا البشرية واضطربت فيها العقائد وتنازعتها الرغائب – كذلك سيمسي الدين فيما أصبح فيه وستشتد الوطأة عليه وتزيد الهجمة الانحرافية عنه اتساعاً حتى يعود كحال بدئه إلا أن البداية كانت تعضدها عوامل البقاء بالمشيئة الربانية إلى أن يمضي الله في هذا الشأن أمره إذ كانت خاتمة رسالاته أما غربته في آخر الزمان فذاك إيذان الله بنهاية الدنيا وانقطاعها .

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين - ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٢) المصدر السابق - ج ٢ - ص ٣٥٤ .

(٣) معجم مقاييس اللغة - لابن فارس - ج ٣ - ص ٤٣٠ .

(٤) العين - لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي - ج ٧ - ص ٤٦١ .

(٥) لسان العرب لابن منظور - ج ١ - ص ٨٥ .

وغربة الإسلام تكون في القلوب قبل أن تظهرها الأفعال – غربته في عزله عن الحياة واستبعاده من الأحكام السارية . غربته في تحريف نصوصه وتحميلها ما لا تحتل وتأويلها بما لم تنطو عليه ، غربته في غربة أصحابه ، غربته في دك مناراته وهدم مساجده . غربته في انتهاك حرمت الله جهاً باسم التطور والمدنية .

والصورة البيانية في الحديث أحالت الدين كائناً حياً استشعر غربته وأحس عزله وإقصاء أتباعه وتغلغل المنكر وغلبنه فغدت حالة تقارباً وتجمعاً بعد الانتشار والاتساع وابتداء الدين قدر رباني وتيسير إلهي وحال غربته تشمل الديار والأتباع وتشمل القلوب بقلّة تطبيق شرعه أو الخوف من إظهار تعاليمه والعمل بها وتشمل الاستهانة بأحكامه واللجوء إلى غيرها من القوانين البشرية .

وأسند الفعل إلى الإسلام لتقع الإثارة موقعها ويكون جلال الأمر رهن الدين ذاته فغربة الإسلام تستتبع غربة أتباعه وبداية الغربة كانت طوراً تمهيداً لتتطلق منها ركائز التمكين ثم إذا قضت الإرادة الربانية أمراً تزلزل الكيان فلا يثبت عليه إلا قوي الإيمان راسخ العقيدة .

وقد حمل التعبير النبوي خصوصية الأسلوب البياني التشبيهي لينقل إلى المتلقي صورة الغربة التي يعانها الإسلام ويتجرع كاس مرارتها بأيدي أبنائه حتى غدا حاله كالمحاصر الذي ضاقت عليه الأرض بما رحبت من شدة الكرب حتى انفجرت له من مبدئي قيامه وداري نشأته في ( مكة والمدينة ) فرجة ضمته إليها كالأم الحنون التي أثلج صدرها اتساع ملك وليدها وكثرة أتباعه لكن ما لبث أن أخذت تتقارب أركان ملكه ويتناقص عدد أتباعه حتى عاد ذلك الابن إلى حضن كافلتيه ليبقى ما شاء الله .

( وقد يبدو أن الصلة المعنوية بعيدة بين الإسلام الذي يملأ النفس بمعاني السلام .. وبين الحية التي تشيع في النفس الخوف .. ولا تذهب نفسك مذهب النفور من تشبيه تجمع الإسلام بتجمع الحية فإن المقصود من التشبيه تمثيل تجمع الإسلام بتجمع الحية في جحرها لا بالحية نفسها . واختيار الحية له دلالاته ومغزاه ذلك أن رسول الله ﷺ يتحدث عن غربة الإسلام في آخر الزمان وإبرازه له في صورة الحية مما ينسجم مع هذه الغربة لأن الغربة دليل على عدم الإلف .<sup>(١)</sup> )

والتصوير البياني هنا قائم على الاستعارة حيث شبه ﷺ الإسلام بإنسان مغترب بعيد عن أهله ووطنه ثم حذفه وأتى بشيء من لوازمه وهي الغربة وذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

(١) التشبيه في الحديث الشريف أسلوبه وخصائصه البلاغية – عبد العزيز حسن عثمان خضر – ص ١٢٢ .

وفي قوله ( كما بدأ ) تصوير بياني تشبيهي لهيئة الحالتين المتعاقبتين على الإسلام وهما البدء والنهاية والتي تلازمهما الغربية ؟ فالهيئة الكائنة له في آخر الزمان تشبه وتمثل هيأته التي كانت له في أول الزمان وكلاهما يلتقيان في الغربية التي تلقي ظلالتها على الأتباع والأحكام بل تتعدى ذلك إلى المكان .

أطراف الصورة البيانية التشبيهية تتمثل في :

المشبه : غربة الإسلام في آخر الزمن .

المشبه به : غربة الإسلام في بداية عهده .

أداة التشبيه : الكاف .

الوجه بينهما : الغربة في قلة الأتباع والملتزمين به .

الغرض من التشبيه : الكشف عن حال الدين في زمن أخذت فيه الساعة تنفث أنفاسها .

وفي قوله ﷺ : ( وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها ) .

تتمثل الأطراف التشبيهية في : المشبه : عودة الإسلام وتجمعه بين المسجدين .

المشبه به : اجتماع الحية في جحرها .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : التجمع والالتجاء إلى مكان معين

الغرض من التشبيه : توضيح ما سيؤول إليه حال الدين وحال أتباعه من الاضطهاد والاعتصام بمكان معين .

والبنيات البيانية التصويرية في هذه النبوءة قامت من الخبر مقام القمر في ليلة البدر إضاءة كشفية وإنارة ذهنية أبرزت المقصود في حلة تتلقاها القلوب قبل أن تشغل بتفاصيلها العقول . ذلك أن الخبر متعلق بذات الدين بجلالة الذي كرم الله به أتباعه واختاره ليكون خاتمة شرائعة . وورد في البخاري حول معنى قوله ﷺ : ( كما تأرز الحية إلى جحرها ) ( أي إنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها كذلك الإيمان انتشر في المدينة وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبه في النبي ﷺ فيشمل ذلك جميع الأزمنة لأنه في زمن النبي ﷺ للتعلم منه ، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهم ، ومن بعد ذلك لزيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده والتبرك بمشاهدة آثاره وآثار أصحابه ) (١)

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( يوشك أن يكون خير مال المسلم

غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن ) (٢)

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج ٤ - ص ١١٦ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - باب التعرب في الفتنة - ج ١٣ - ص ٥٣ .

في النبوة السابقة كان الإخبار عن غربة الإسلام وفي هذا الحديث نلاحظ غربة أهله .

وقد افتتحت النبوة السابقة بكلمة يوشك الموحيه في المعجم النبوي إضافة إلى القرب باليقين والجزم والوقوع وفي قوله ( أن يكون خير مال المسلم ) إحياء بكثرة الغنى وانتشار زخارف شتى للحياة الدنيا تغني بزينتها فتلهي إلا أن الإيمان الراسخ لا يرضى لصاحبه غوايتها فيرشده إلى ما ينقذ به نفسه من الغرق والنبوة اخبرت أن من ذلك الانقاذ الفرار إلى شعف الجبال والعمل برعي الغنم وذلك خير من فتنة القصور وبلاء الأموال والخوض فيما لا ينفع

قوله ﷺ : ( شعف : جمع شعفه بالتحريك رأس الجبل ويجمع أيضاً على شعوف وشعاف وشعفات ، والفتن : جمع فتنة وأصل الفتنة الاختبار يقال فتنت الفضة على النار إذا خلصتها ، ثم استعملت فيما أخرج الاختبار للمكروه ، ثم كثر استعماله في أبواب المكروه .

وقوله ﷺ : ( من الفتن ) من ابتدائية تقديره يفر بسبب دينه ومنشأ فراره الدين ويجوز أن تكون الباء للمصاحبة كما في قوله : ( اهبط بسلام ) اي معه ) .<sup>(١)</sup>

كما أن عبارة يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يمكن أن تكون كناية عن الترفع عن بلاء الاختلاط المؤذي للعقيدة فالكناية عن العزلة وهجر المخالطة والابتعاد عن الضرر من مجالسة الناس .

وقوله ( يفر بدينه ) قد تأخذ الباء معنى الواسطة أو عن طريق كذا فيكون الفرار من تلك الفتن قد تحقق لذلك الشخص عن طريق تمسكه بدينه فكان كالحفاظ على الجمر حتى قبض . وقد تأخذ العبارة معنى أنه فر حماية لدينه من وقع تلك الفتن على اختلافها . وهي كذلك كناية عن شدة البلاء الذي يضطر معه المؤمن إلى الانتقال بل التنقل من مكان إلى مكان حفاظاً على دينه .

( يفر بدينه من الفتن ) كناية – أيضاً – عن اشتداد الكرب وبلوغ الأمر مبلغاً عظيماً في البأساء حتى يلجأ المؤمن إلى الفرار بالدين خوفاً من التذبذب أو الارتداد والانتكاس والعياذ بالله – فالسبب في الفرار هو الدين أو غاية الحفاظ عليه والالتزام به وهو المحرك الذي دفع بهذا الإنسان إلى هجر الديار واعتزال الناس فهي هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية ، وهذا ما يؤخذ من إحياء النبوة .

الدين هو نبض الحياة الجاري في القلب المؤمن إذا انقطع توقفت حياته وانقطع معه وجوده والتمسك به يلزم المسلم أن يسلك كل سبيل للحفاظ عليه والحق بركبه ولكن مما أذنت به المشيئة الربانية ونبأت به النبوة المحمدية أنه في آخر العهد الدنيوي واقتراب العهد الأخروي تبتلي النفوس المطمئنة وتمتحن القلوب المؤمنة في أود حياتها وسر بقائها في دينها الذي يخلع عليها لباس إنسانيتها وكرامتها ، ويوشك في الحديث تضع أماننا تقارب وقوع الفتن واشتداد البأس الذي يحمل المؤمن على الزهد في الحياة والبحث عن الخلاص فراراً بالدين حاملاً معه ما يحفظ به حياته إلى حين ، وقوله ( يتبع بها شعف الجبال .. ) كناية عن شدة الابتلاء حتى لتضطره الظروف إلى هجر المساكن وترك الديار التجاءً إلى

<sup>(١)</sup> عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني - ج ١ - ص ١٦٣

الله واعتصاماً به من الرزايا التي أحاطت بعقيدته ، وفسر ذلك قوله ﷺ ( يفر بدينه ) فهذه العبارة تعطي إحياءً أن الدين هو السبب الذي حماه من تلك الفتن وعصمه من الولوج فيها أو الوقوع في مغرياتهما أو التعرض لتياراتهما فكأن الدين كان جسر النجاة لذلك الإنسان الذي علق قلبه بحباله فما برح حتى انتهى به إلى الخلاص والفوز. وقد تأخذ العبارة معنى أن يتخذ ذلك المسلم سبيلاً في هجر الفتن وأهلبيها ويطرق كل أبواب السلامة ليحفظ دينه ومنها اتخاذ الغنم ولم يذكر الحديث الإبل و الخيل لأن الغنم أقل ما يمكن أن يساعد الإنسان على أن يقيم حياته ويجد بها قوت يومه . وخصص شغف الجبال دون غيرها من الوهاد والسهول لتكون أكد في شدة الفتنة وأبلغ في محاولة الفرار والنجاة .

ومن فوائد هذا الحديث : ( فضل العزلة في أيام الفتن إلا أن يكون الإنسان ممن له قدرة على إزالة الفتنة؛ فإنه يجب عليه السعي في إزالتها ؛ إما فرض عين وإما فرض كفاية بحسب الحال والإمكان ، وقد خرجت جماعة من السلف عن أوطانهم وتغربوا خوفاً من الفتنة ، وقد خرج سلمة بن الأكوع إلى الربرة في فتنة عثمان رضي الله عنه ) . (١)

---

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري - للعيني - ج ١ - ص ١٦٣ .

## المبحث الثالث : بدء الانزياح الديني والخراب الدنيوي

### ٣- بدء الانزياح الديني والخراب الدنيوي

١- عن حذيفة حدثنا رسول الله ﷺ : ( أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ينام الرجل النوم فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النوم فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل المجل ، كجمر دحرجته على رجلك ، فنفت فتراه منتبراً وليس فيه شيء ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله - فيصيح الناس يتبايعون ، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، حتى يقال للرجل : ما أجلده ! ما أظرفه ! ما أعقله ! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ) .<sup>(١)</sup>

قال تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ [الأحزاب ٧٢] .

الأمانة التي أبت من حملها الأرض والسماء والجبال وقبلتها الجهالة الإنسانية جاءت الصورة البيانية في هذا الحديث كشفاً عن حال لا تنجلي حقيقتها إلا لنبي مرسل ذلك أن دخائل القلوب وعلائق النفوس لا يعلمها إلا الله ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول ﴾ . [سورة الجن ( ٢٦ - ٢٧ )] .

والقلوب موطن الأمانة وسكنها الذي تتعهده ما دامت العقيدة صحيحة حتى يشاء الله ويأذن بزوالها ومغادرتها سكنها فتأخذ في التقلب في أحوال الذهاب ومغادرة الديار وتبدأ تلوح في آفاقها علامات النهاية كاليسير من الأثر أو السواد الذي ينذر بحدوث شيء ما ثم تزداد تلك العلامة بروزاً وتعظم أثراً كالحال التي تعقب من دحرج على رجله أو يده جمرأ ، والأمانة في الحديث هي الدين بتكاليفه الشرعية وقد فسر ذلك الحديث نفسه في قوله عليه السلام آخر الحديث ( وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ) .

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على النبي - ج ٢ - ص ٣٤٨ .

بدأت النبوءة بالإخبار عن نزول الأمانة وأن علوقها بالقلوب وبلوغها طواياها قد سبق نزول القرآن الكريم وهذا تعظيم لشأنها وإكبار لها فلقد كانت المهاد الذي بسطته القدرة الإلهية لنزول الكتاب العزيز ولتكون الراعي الحافظ له بالعمل والاتباع .

وهذا النزول لأمر معنوي لا تدركه حواس البشر فهو البذرة الصحيحة التي تمد القلب المؤمن بالعطاء ما بقيت يانعة مثمرة فيه إلى أن يأذن الله بما يشاء و يقضي .

وكان موطن القرار للأمانة ( جذر قلوب الرجال ) وكلمة جذر هنا تلمس سريرة الحياة في القلب الفقيه الواعي فقد اختصت من المكان جوهره لتبدأ في ذلك العضو ( الذي إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ) بما يحفظ فيه إقراره لربه .  
وقوله ( نزلت ) فيه مجاز مرسل يعبر عن تمكن الأمانة في القلب المؤمن وتأصيل وجودها فيه والعلاقة فيه لزومية بتلازم الإيمان والأمانة في ذلك القلب .

كما أن في قوله ( قلوب الرجال ) ذكر الرجال على وجه الخصوص والمراد به الإنسان ذكراً أو أنثى وهذا يتناسب مع الأساليب العربية الخالصة ومع صياغات الآيات القرآنية وخطاباتها .

وأعقب الحديث عن نزول الأمانة حديث عن رفعها ، فكما أن الدين ذاته بدأت تتقارب أطرافه ف كذلك الأمانة التي استخدم الحديث أسلوباً تدريجياً لتوضيح كيفية زوالها ومقدار ذلك الزوال وكيف أنه يكون في حين غفلة وهذا ما عبرت عنه كلمة ( ينام ) وقد تأخذ كلمتي ( ينام ويصبح ) التقدير المعنوي لا الحسي فنوم الرجل أثناء قبض الأمانة من قلبه يعبر عن نوم عقيدي واستسلام قيادي قيدي لتيارات لا مكان للأمانة في أرضها التي عبثت وتعبث فيها مزاعم الباطل والتخبط في الأهواء الضالة .

قوله ( أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ) كناية عن شدة التمكن والتعلق ، وقد أعطت كلمة ( جذر ) للعبارة برد اليقين الذي يسقي تلك الأمانة رحيق الإيمان و خلاصة العمل الصالح لنتهيأ لتلقي رسالة الآية القرآنية والحديث النبوي بقلب صافٍ اصطفى من الحياة ما يحيي فيه الذكر ويبقي نسائمه في أجوائه .

وفي قوله ( وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ) كناية عن خلو ذلك القلب وفراغه من أقل ما يمكن من مقدار الإيمان ﴿ يقولون بالسنة ما ليس في قلوبهم ﴾ [الفتح ١١] ، وقال تعالى: ﴿ فلما زاغوا عن الله قلوبهم ﴾ [الصف ٥] .

أنزل الله الأمانة قبل نزول القرآن رعاية لدينه ، وصيانة لأحكامه ، وتقديماً لما يحفظ لهذا القرآن تطبيقه وتدبر آياته ، وقد استرعت الرعاية الإلهية هذا القلب على تحمل تلك الأمانة وبحفظه لها يكون حفظه كما أنه بتضييعه لها يكون ضياعه ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ﴾ [الفتح ٤] ، وقال تعالى : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد ٢٨] .

وحين تحل الغفلة من هذا القلب محلاً وتسري فيه عوامل الغواية وتدب إليه عناصر الفساد تبدأ تلك الأمانة في جمع متاعها ولف نسيجها مستعدة للرحيل ويكون أول آثار مسيرها وأول علامة لخطا ابتعادها كالأثر اليسير من السواد علامة على إنكارها ما بدأ يخالط موطن سكنها ويفسد عليها صفاء بقائها ومعيشتها وهذا الأثر لا يخلو من تأثير الدخن الذي يخالط الخير . فالقلب هنا ما زال فيه متسع من الصلاح لكن كثافة الدخن واشتداد ظلمته تجعل أثر خطا رحيل الأمانة نقشاً لا يمحي بل تتعمق بقعته وتسري منتشرة في بقية القلب حتى تمج لهقباحة فعله وسوء منقلبه .

قوله ( فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت )

( الوكت : هو الأثر اليسير أو السواد اليسير وهو لون يحدث مخالف للون الذي كان قبله ) (١)

وقد شبه المصطفى ﷺ أثر قبض الأمانة وبدء زوالها بذلك الأثر اليسير تعبيراً عن بداية الانقلاب التكويني في ذلك العضو الذي تداخلت فيه مع الأمانة إغراءات الفتن ومخادعات الباطل واختيار الوكت ليكون مبيناً عن مقدار الأثر ودرجة زواله .

ثم أخبرت النبوءة أن ذلك الأثر يأخذ في الاتساع والعمق معاً ليشبه المجل ( بفتح الميم وإسكان الجيم وفتحها : التنفط الذي يصير في اليد من العلم بها بفأس أو نحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل ) (٢) ولتأكيد بلوغ هذا الأثر غايته ووصوله قرارة منزله أعقبت البلاغة النبوية هذا التصوير بردف يأزر معناه ويزيد وضوحه في قوله ( كجمر دحرجته على رجلك فنقط فتراه منتبراً وليس فيه شيء ) ( ونقط ) بفتح النون وكسر الفاء ، ومنتبراً : مرتفعاً ومنه المنبر لارتفاعه وارتفاع الخطيب عليه ) (٣) . وتتمثل الأركان الأساسية للصورة البيانية التشبيهية كالتالي :-

في قوله ﷺ : ( فيظل أثرها مثل الوكت )

المشبه : أثر الأمانة في القلب .

المشبه به : الوكت .

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - ج ٢ - ص ٣٤٧ .

(٢) المصدر السابق . ج ٢ - ص ٣٤٧ .

(٣) المصدر السابق - ج ٢ - ص ٣٤٨ .



أداة التشبيهة : مثل .

وجه الشبه : القلة والنقصان .

الغرض من التشبيه : التقريب والبيان .

وفي قوله ﷺ : ( فيظل أثرها مثل المجل )

المشبه : أثر الامانة في القلب .

المشبه به : المجل .

وجه الشبه : الضعف والخفة والفراغ

الغرض من التشبيه : التقريب والبيان .

وقوله ﷺ : ( كجمر دحرجته على رجلك فنفظ فتراه منتبراً ليس فيه شيء ) هو بيان تفصيلي تابع للتشبيه

في قوله ( مثل المجل ) لتأكيد ذلك وتوضيح حالته وكشف كيفية وقوعه . ويتبع هذا قوله ﷺ : ( ثم أخذ

حصى فدحرجه على رجله ) فهو زيادة في تأكيد وقوع الحدث وزيادة في الإبلاغ وزيادة في تثبيت البيان

التشبيهي التقريبي بالتمثيل .

فالصورة البيانية هنا سبحت في أعماق القلب لتتبع حال الزوال ومحل الأثر فتكون متبعية الحدث

وراصدة وقائع مغادرة الراحل الذي بدأت أنواره تنطفئ شمعة شمعة مخلفة وراءها ما ينبئ عن نهايتها

وانقضاء عمرها في هذا المكان ، رحلت الأمانة في مراحل تدريجية تدل على أن رحلتها كانت رغبة

منها عن أن تخالطها الشرور وتدوس مراتعها الوسوس ، وتعبث بثمراتها نكبات الفساد .

والتشبيه في قوله ( كجمر ) يعد من نماء الصورة البيانية في هذا الحديث فلقد بدأت بالوكت الذي تخف

ظلمته ليعقبه المجل الذي يشد فيه السواد وتعظم فيه المحنة حتى تخرج الأمانة نهائياً من ذلك القلب

تاركه إياه في غيابة جب الغواية والضلال يعصره المرض الذي ألم به بعد غياب الأمانة ﴿ أولئك الذين

طبع الله على قلوبهم وسمعهم أبصارهم أولئك هم الغافلون ﴾ [الحل- ٨] .

وأعقبهم الله ظلمة تسد عليهم منافذ الخيرية ﴿ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ [آل عمران- ١٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم القيامة ﴾ [التوبة- ٧٧] .

والتشبيه في قوله ( كجمر ) جاء لتقرير الحال الذي يقر عليه المشبه وهو أثر زوال الأمانة من القلب

وذلك أن الصورة البيانية بآتمها تدور حول أمر معنوي لا تعقل حقيقته ولا تعي خبيئته أمره إلا النفوس

النيرة بطاعة الله والقلوب مطمئنة بالإيمان والعقول الواعية المدركة فعل القرآن في النفوس والقلوب

معاً . ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [٢٨- الرعد] . وقال تعالى ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً مشاهداً

مثنائي تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله بهدي به من يشاء  
ومن يضل الله فما له من هاد ﴿ [ الزمر - ٢٣ ]

وجاء قوله ( دحرجته ) بالمخاطبة وبالفعل الموحى بالقصد في العمل فالإنسان الغاوي هو من أهوى  
بنفسه في الهاوية وهو من كدر صفو إيمانه بل لم يكتف بذلك حتى خلع من القلب بذرة إيمانه ونزع منه  
جذور الأمانة في تحمله والقيام بواجباته بل امتدت يد العبث لتملاً تجاوزيف تلك الآثار بخلاصة خصال  
القبح والرياء والفساد حتى تظل حاله في زهو الامتلاء ولكنه امتلاء العفن الذي يفسد ما تحته ويضعف  
ما يحتويه حتى يحيله هباء منثوراً .

وقد أوردت العبارة النبوية التشبيه في قوله ( مثل المجل ) ثم أعقبته بالتشبيه في قوله ( كجمر دحرجته )  
لتنعقب النفس وقع الأمر وتنحس ذلك النتوء الغريب المثير الذي لا يخلو من الألم ولا من القشعريرة  
من منظره ، كما لا يخلو من جرثومة المرض الذي حلت أولى ركانزه في ذلك القلب .

وقد أوردت معنى كلمة ( المجل ) كما جاء في صحيح مسلم وأنها من أثر ضربة بالفأس ونحوه من  
أدوات العمل التي يستعين بها الإنسان في حياته . في حين جاء التأكيد في التشبيه التالي بأثر الجمر  
المتدحرج على الرجل وبفعل مقصود من صاحبه زيادة في الإبلاغ والتبليغ إلا أن ( المجل ) وردت دون  
أن يصحبها فعل وإنما سبقتها كلمة ( مثل ) لتتسع بذلك دائرة الخاصية التشبيهية في الصورة البيانية في  
هذا الحديث فيما بين الأثر الذي يصحب كدح الإنسان وعمله والأثر الذي يؤدي به نفسه وتنتقل تلك  
الخاصية فيما بين المنفعة والمضرة ليترسخ في ذهن أن الإنسان هو من فتح المنافذ وسهل المخارج  
حتى تقضي تلك الأمانة نحبها في قلبه وتتوارى منه بعدها إشراقات الفطرة السوية .

قال تعالى : { فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون } [ الروم - ٣٠ ] ، وقال تعالى ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [ الرعد - ١١ ]  
ولسان الحال ينطق عن فعل أولئك كما قال تعالى ﴿ لقد جئتم شيئاً إذا تكاد السموات يقطرن منه وتنشق  
الأرض وتخر الجبال هدا ﴾ [ مريم - ٨٩ - ٩٠ ] .

ولتأكيد مدى الأثر وخطره أخذ النبي ﷺ حصى فدحرجه على رجله وهذا من الأساليب التمثيلية المشاهدة  
لتنشيط الصورة في ذهن المتلقي الحاضر وبعث كوامن البحث عند المتلقي بعد ذلك .

ثم كانت العبارة ( فيصبح الناس يتبايعون ) بخصوصية لفظ البيع فيها دون غيره من المعاملات الفيافي التي قُبعت فيها بقايا مسميات الأمانة فأصبح الناس في خلاف ما أمسوا عليه ، وخصوصية البيع لأثر فقدان الأمانة المباشر فيه خاصة .

وقوله ( حتى يقال إن في بني فلان رجلاً أميناً ) كناية عن القلة والندرة لكن قوله في آخر الحديث ( وما في قلبه مثقال ذرة من خردل من إيمان ) يوحي بأن الكناية عن العدم والانتفاء .

وهذا الجذب من الأمانة في نهاية الحديث كان نتيجة حتمية للغفلة التي وقفت تتأرجح حتى سقطت من أدرجها وغدت كفقاقيع لا تنكشف إلا عن فراغ ولا تتجلي إلا عن سراب خادع .

في قوله ( مثقال حبة من خردل من إيمان ) تصوير بياني يفيد بيان المقدار، ذلك أن البيان النبوي شبه الإيمان بالجسم ثم حذف المشبه به وأضاف إلى المشبه شيئاً من لوازمه وهو هنا الثقل على سبيل الاستعارة المكنية .

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : كيف إضاعته يا رسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ) (١)

٣- وعن أبي هريرة قال : بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابي فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث ، فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع ، حتى إذا قضى حديثه قال : أين أراه السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا يا رسول الله ، قال : فإذا ضيعت الأمانة

فانتظر الساعة ؟ قال كيف إضاعته قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة . ( ٢ )  
في النبوءة السابقة كشفت المعاني عن حال الأمانة في القلوب ثم جاءت هذه النبوءة لتخبر بما يكون بعد ذهاب تلك الأمانة وضياعها .

( إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ) هذه العبارة تنقل إلينا مفهوماً عن فترة من الزمن تسبق انتهاء الأجل الدنيوي فالانتظار الذي تومئ إليه العبارة النبوية يكون رداً لما أحدثه فعل الضياع في الحدث الزمني الدنيوي

( وضياع الأمانة ) هذا التعبير المجازي يرسل وميضاً يشعل الحركة الذهنية لتجد البحث وتغذ السير في حال ذلك الخراب الذي التهم الاستقرار والأمن في الأمور الدينية والدنيوية حتى باتت تلك الأمور في حسبان الضياع وفي حكم المفقود الذي لا يعود لأن ذلك إيدان القيام للساعة وبدء الانقلاب في القضايا

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - باب رفع الأمانة - ج ١١ - ص ٣٩١ .  
(٢) المصدر السابق - باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل - ج ١ - ص ١٧٨ .

الدينية خاصة والحياتية عامة وذلك هو بوابة العبور للدار الآخرة ، واستعارة الضياع توتي للمتأمل لها إشرافاتها المعرفية لتحل من قلب المسلم محلاً وتقر في فؤاده حتماً مفروضاً .

والضياع قبل بالانتظار الذي ينتهي إلى الديار الأخروية : والأمانة هنا كنز الوجود البشري المتمثل في الأمانة الدينية والحدود الربانية التي إن نقض منها شيء تساقطت البقية إيذاناً بالزوال وإيحاءاً بالنهاية . والصورة البيانية في ضياع الأمانة كانت بتشبيه الحدود الدينية والواجبات والفروض بالأمانة أي بالشيء المؤتمن عليه وذلك أن كلا منهما يجب له حق الرعاية والحفظ والاهتمام ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية . ( وهذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ فالأمانة إذا ضاعت والمسؤولية إذا فقدت ، والأمور إذا تقلدها الجهال ، وأصبحت الحياة فوضى فإن ذلك أكبر برهان على قرب قيام الساعة ولقد أحسن من قال :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم      ولا سراة إذا جهالهم سادوا  
تبقى الأمور بأهل الرأي ما صلحت      فإن تولت فبالأشرار تنقاد

قال ﷺ : ( إذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاؤكم ، وأموركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها ) (١) .

وضياع الأمانة في خصائصه العامة ( كناية عن الظلم وعدم إحقاق الحق وشيوع الرذيلة وانعدام العفة والسائل لم يقف على إبلاغ المعنى من خلال هذا المصطلح الكنائي فاحتيج بذلك إلى ذلك فكان التفسير في أعقاب التشكيل البلاغي بلاغة وإبلاغاً للسائل حتى لا يفكر لحظة في ظلم غيره على أمل أن الحياة فيها سعة من الوقت ويكون الوقت كله في طاعة الله ومعرفة الحقوق من الواجبات والأحكام من الفروض والعبادات ) (٢) .

( وقد أوحى الفعل المستعار ( وسد ) بجمود الأمة ، فجعلت مسؤولية الإسلام وسادة ، وفي هذا التصوير نجد الجمود خصوصاً أن النوم قرين الوسادة هو الموت القصير ، ونجد أن الخير لا يتوزع بين أفراد المجتمع وليس ثمة تفاعل لأنه جعل الأمر وسادة خاصة برجل واحد ، والفعل هنا يوحى بالضمور والضغط وانكماش الإسلام على نفسه ، لا سيما في تخيل وسادة تنضغط برأس رجل لؤوم لا تعنيه شؤون الأمة والإطار الزمني للفعل الماضي ( وسد ) يؤكد ثبات الأمر وجموده ، والبناء للمجهول يؤكد أن الأهمية صارت تنصب على صاحب الوسادة من غير النظر إلى من أوسده ، وغياب الفاعل من

(١) من كنوز السنة - محمد علي الصابوني - ١٥٠-١٥١

(٢) البلاغة عرض وتوجيه وتفسير - محمد بركات أبو علي - ١٠٠

الصيغة يومئ إلى ضياع الحقوق وعدم إسناد الجرائم إلى أصحابها الحقيقيين ما يدل على الاضطراب وكثرة الاتهام (١).

٣- عن حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ! إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال ( نعم ) فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : ( نعم ، وفيه دخن ) قلت : وما دخنه ؟ قال : ( قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي . تعرف منهم وتنكر ) فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : ( نعم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم ، اليها قذفوه فيها ) فقلت : يا رسول الله ! صفهم لنا . قال : ( نعم ، قوم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ) قلت : يا رسول الله ! فما ترى إن ادركني ذلك ؟ قال : ( تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ) فقلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : ( فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة ، حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك ) . (٢)

٤- قال حذيفة بن اليمان : قلت : يا رسول الله ! إنا كنا بشر فجاء الله بخير ، فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شر ؟ قال : نعم ، قلت هل وراء ذلك الشر خير ؟ قال : نعم ، قلت : فهل وراء ذلك الخير شر ، قال : نعم ، قلت : كيف ؟ قال : يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس ، قال : قلت : كيف أصنع ، يا رسول الله ! إن إدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع ) . (٣)

كما أخبرتنا الأحاديث السابقة عن الأمانة خاصة فإن هذا الحديث يخبرنا عن حال الخير عامة وحال الشر عامة .

والروايتان ورد فيهما تكرار سؤال الصحابي عن تعاقب الخير والشر ثلاث مرات وقد ورد عن النبي ﷺ قوله : ( خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ) قال عمران راوي الحديث لا أدري أذكر النبي

(١) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف - أحمد ياسوف - ص ٢٣٣-٢٣٤ .  
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٢ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ - باب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة - وورد في البخاري في باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ؟ - ج ١٣ ص ٤٤٠ .  
(٣) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة - ج ١٢ ص ٤٤١ .

ﷺ بعدُ قرنين أو ثلاثة - وقال النبي ﷺ : إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا

يستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن ) . (١)

ولعل في هذا الحديث ما يقرب إلينا مفهوم الخير والشر المتعاقبة في الحديث في ثلاثة أسئلة كانت تتدرج فيها الإجابة بالتوضيح والبيان ، وذلك أن الخير الذي كان بعد الجاهلية هو خير ظهور دين الإسلام ببعثة المصطفى ﷺ و بعد وفاته بقى ذلك الخير لكن شابه دخن الفتن التي وقعت في عهد الصحابة والتابعين ثم كان الشر الغالب فيما وراء ذلك من القرون والله أعلم .

منذ وجود آدم والخير والشر يتصارعان ، وما جهل الفكر الإنساني وارتداده عن فطرة التوحيد إلا صورة من صور الشر الذي سلب الشيطان عبره قواه على الضعاف من العقول ، فسلسل فيها الخيرية وأطلق عليها حبال الغواية والضلال ، والبلاغة النبوية في هذا الحديث تكشف عن واقع سيصيب أهل هذه الأمة في فترة من حياتها ، يتكرر فيها الخير بأباطيل الضالين واقتراءات المنحرفين المرتدين ، ووصفهم ﷺ بقوله ( قوم يستنون يغر سنتي ) فهذا يعني أنهم يتخذون لهم من يقتدون بفعله ويأتمرون بأمره غير المصطفى ﷺ بل يعتبرون الدعوة إلى فعلهم والدلالة عليه هداية ؛ أو أن تحريفهم لحقيقة فعله عليه السلام وتأويلاتهم الباطلة لأقواله ﷺ اتخذوها لجة خاسوا فيها مع الخائضين حتى سقطوا جميعاً في هاوية الضلال . عند ذلك بدأت أصواتهم تعلو بالدعوة لاتباعهم والسير في مسيرهم ، وهذا الوضع تعقبه حال أشد وطأة وأكثر ولوجاً في الآثام واقتراباً من البلاء وهذا ما تجسده العبارة النبوية ( دعاة على أبواب جهنم ) .

ثم إن الحديث حينما أخبر عن كثرة الشر وشدة وطأته حتى أنه ليصبح له دعاة يتفنون في نشره ويبدعون في الدعوة إليه وما حالهم إلا كمن يقف على باب جهنم يدعو إليها كان يرمي إلى غرس بذور الحيلة والحذر في النفوس ، وإن ذلك الشر يكون من الظهور والبيان ما يجعل فئته كالدعاة على أبواب جهنم يبثون دعواهم وينتظرون وفود المدعوين إما تصديقاً لمقالهم أو ظناً بصحة ما ينطقون وقوله ﷺ ( من أجابهم ) يوحى ببقاء الخيرية ، وقوله ( بغير سنتي بغير هديي ) تدل على عظم الشر حتى أن أصحابه ارتسمت أمام الناس أفعالهم كسنان يتبعونها وكهدي يقتفون أثره وكان فعلهم قد أتى في جرأة تقسم جماعة المسلمين وتحيلهم فرقا وأشتاتاً . ومما عبر عن شدة الكرب وعظم البلاء قوله ﷺ ( فاعتزل ) و ( تعض ) و ( أصل ) والتأمل في كلمات البيان النبوي يفتح آفاق الإدراك العقلي لتخيل الحال وتلمس وقع الحدث حتى كانت النصيحة النبوية في هذا التعبير البياني الموحى فلو لم تبلغ المصيبة المنتهى لما كانت العزلة خياراً ملزماً والإسلام يدعو إلى المخالطة ويرى أن من يخالط الناس ويصبر

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد - ج ٥ - ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

على أذاهم خير من غيره إلا أن هذا الإيذاء إذا بلغ درجة تفقد الإنسان دينه وتجره إلى مهامه الكفر فذلك هو الشر بعينه الذي يجب اعتزال أهله ووطنه حفاظاً على الدين وصوناً له .

( وقال القاضي الخير بعد الشر أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والذي تعرف منهم وتكرهم الأمراء بعده ومنهم من يدعوا إلى بدعة وضلالة كالخوارج وقال الكرمانى يحتمل أن يراد بالشر زمان قتل عثمان – رضي الله عنه – وبالخير بعده زمان خلافة علي رضي الله عنه والدخن الخوارج ونحوهم والشر بعده زمان الذين يلعنونه على المنابر ) . (١)

قوله ( إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير )

جاءت الجاهلية والشر في مقابلة الخير وهذا التضاد والتقابل في عبارات الصحابي الجليل الذي تربى في مدرسة النبوة خلق جواً من الصراع اللفظي فيما بينهما فهماً في المعنى متضادات لا تقارب بينها وقد ولت الجاهلية و أزمانها وغبرت عهودها ، وتبدد ظلامها بنور الإسلام المجيد . وظرفية الحرف ( في ) على الرغم من قلة حروفها إلا أنها اتسعت لتشمل كل صنوف الجهالات وأنواع الشرور والآثام التي كانت العقول غرقى فيها والنفوس هائمة بخداعاتها .

وجاء الأسلوب البياني الذي نهض به الظرف ( في ) في دلالة استعارية تبعية حيث شبه ما وقع العقل فيه من تلك الجهالات والشرور والضلالات وما ران على النفوس من الآثام بما يكون من إحاطة الظرف بالمظروف وإحكام السيطرة عليه . قال عليه السلام : ( وفيه دخن ) وقال عليه السلام : ( قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي ) .

( قوله ( دخن ) بفتح الدال المهملة وفتح الخاء المعجمة وهو الدخان وأراد به ليس خيراً خالصاً بل فيه كدرة بمنزلة الدخان من النار ، وقيل أراد بالدخن الحقد وقيل فساد القلب وقيل الدخن كل أمر مكروه وقال النوري المراد من الدخن أن لا تصفوا القلوب بعضها لبعض كما كانت عليه من الصفاء ) . (٢) ( الدخن ) ( أصله أن تكون في لون الدابة كدورة إلى سواد قالوا : أن لا تصفوا القلوب بعضها لبعض ولا يزال خبثها ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفا ) . (٣)

( يهدون بغير هديي ) الهدي الهيئة والسيرة والطريقة . (٤)

قوله ( وفيه دخن ) هنا بدأت تتكشف حقيقة النبوة في هذا الحديث فخيرية الإسلام لن تظل صافية بل سيشوبها ما يكدر ذلك الصفاء وهذا تفسير لأحاديث أنبأت عن وقوع الفتن وانتهاء عهد عافية الأمة وتصديقاً لقوله عليه السلام ( بعثت أنا والساعة كهاتين ) وهذا ما قصت به مشيئة الله في سير الدنيا نحو الزوال .

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لليعني - ج ٢٤ - ص ١٩٤ .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لليعني - ج ٢٤ - ص ١٩٤ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٢ - ص ٤٤٠ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٢ - ص ٤٤٠ .

فالدخن الذي شاب الخير هو ما وقع في القلوب وما يزال يقع من ميل إلى الشهوات ورغبة عن الاجتهاد في الطاعات فكان كدرة أذهبت صفاء الفطرة ، وحجباً حالت بين القلب وطمأنينته وبين النفس وروحانيتها المتعلقة بروح من نور الله . حتى غدا ذلك الدخن حجر عثرة فيما بين القلب ورهبته من الله وبين النفس ولومها على معصية الله . قال تعالى : ﴿ أَلَا بَدَّلَ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد ٢٨] ، ﴿ وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة- ٢] .

فالدخن هز تلك الطمأنينة وأبعد ذلك اللوم لتتخبط القلوب وتهيم الأنفس في متاهات السبل الشيطانية ودروب المعصية للرب الكريم .

وفي ذلك تشبيه لما وقعت فيه القلوب وانطوت عليه الأنفس من الشرور والجهل بالدخان الذي ينبئ عن خبء سيء يتمثل في نار تلظى ﴿ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ لَوَاحِشَ لِلْبَشَرِ ﴾ [المذثر ٢٨-٢٩] كما تنبئ فعال أولئك القوم عن شرورهم وما انطوت عليه أنفسهم من الخبث والبعد عن الدين وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

قال ﷺ : ( وفيه دخن ) وهذا القول فيه كناية عن عدم خلوص ذلك الخير وصفائه ونقائه بل إن الشر يخالطه والآثام تعكره والفتن تعبت بطهارته وهذا الدخن هو معاصي العاصين وفساد المفسدين فهي تحرق مرتكبيها وتعم من جاورها وتعامل مع أصحابها بدخانها ولهبها والكناية قد تنصرف إلى أولئك الضالين الذين عبر عنهم ﷺ بقوله ( قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي ) وبذلك يتضح أن الدخن هو انحراف أولئك القوم وأباطيلهم وخداعاتهم وهكذا نستبين الأثر الفعال الذي أدته كلمة الدخن وقام به بناء العبارة البياني البلاغي والإخباري الحقيقي .

وقد فسر الرسول ﷺ ذلك الدخن بعبارة صريحة في قوله ( قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر ) فالدخن في هذه الأمة الذي سيصيبها بالعلة وينهك قواها بالمرض هو أولئك القوم المتصنعون الذين يقولون ما لا يفعلون ويحكمون بما تمليه عليه أهواءهم وما تأمرهم به سفاهة أحلامهم في غالب أمرهم وذلك أن قوله – ﷺ – ( تعرف منهم وتنكر ) يعني أن لهم فعلاً لا تخالف الدين في ظاهرها لذلك لا يستطيع من يبصر فعلهم هذا أن ينتقدهم أو يوجه اللوم إليهم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَنْبَغِ



خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴿[النور- ٢١] ، وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف- ٢، ٣] .

وهذا الخير المشوب الذي أصابه كدر الشرور يأتي بعده شر يكاد لا يخالطه الخير وآثام تكاد لا تصحبها الطاعة ونفور من الدين يكاد لا يقابله عودة إليه ، وهذا ما حملته عبارة : ( دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ) وما تزال ألوية أولئك الدعاة منذ عهد بعيد ترفرف للرديلة وتدعوا إليها وتمهد سبلها ، وتجتهد في طلب المزيد من التابعين لها باسم الحرية حيناً وباسم الديمقراطية حيناً آخر إلى غير ذلك من الأسماء التي تنزعها مننديات وجمعيات عدة لتروج لأفكارها الهدامة وما يزال لسان حالها يقول ( هل من مزيد ) تشعبت غاياتها وتعددت مطالبها وزادت وتنوعت مداخلها وللأسف وجدت من استمع لها وأسلم لها قياده وحط بمركبها رحله دون وعي أنه يجر نفسه بسلاسل الانحراف نحو الهاوية وأن التيار قد جرفه إلى جب الغواية ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾ [البقرة- ١٧٥] .

قوله ( دعاة ) بضم الدال جمع داع على أبواب جهنم قال ذلك باعتبار ما يؤول إليه حالهم .<sup>(١)</sup> ( دعاة على أبواب جهنم .. ) فهذا القالب التصويري يقرب إلى العقل حالة أولئك الضالين المضلين الذين أجهدتهم الغواية حتى أُلجأتهم إلى أشد الأعمال قسوة وأبعدها عن الرحمة والإنسانية ثم كان قوله ﷺ ( قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ) أكثر مساساً للقلوب فأولئك الضالين ليسوا غرباء عنا بل هم من أبناء هذه الأمة الذين استهوتهم الشياطين فظلوا حيارى كالذي يتخبطه الشيطان من المس لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً تقطعت به السبل ، وانتهت به الحال إلى شر مصير . والأمر بالاعتزال يدل على شدة الكرب وعظم البلاء الذي يصيب الأمة وأن تلك الفرق تتصارع في شرورها وتحيط بها آثامها فلا تنفك أن تهلك جميعاً في تلك النزاعات التي نزعنا منها كل خيرية وأبدلتها مكانها جهالة وبعداً عن الدين ( دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ) قال العلماء : هؤلاء من كان من الأمراء يدعوا إلى بدعة أو ضلال آخر ، وكالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة ، وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ، ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك فتجب طاعته في غير معصية وفيه معجزات الرسول ﷺ وهي هذه الأمور التي أخبر بها وقد وقعت كلها .<sup>(٢)</sup>

(١) عمدة القارئ - شرح صحيح البخاري للعيني - ج ٢٤ - ص ١٩٤ .  
(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ . المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - تحقيق . الشيخ خليل مأمون شيجا . ج ١٢ - ص ٤٤٠ .

ولسان حال أولئك الدعاة كما قال تعالى ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبني لي فلا تلوموني ولما أنفكم ما أنا بمصخركم وما أنتم بمصرخي إنني كبرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ [إبراهيم- ٢٢] .

وقوله (دعاة على أبواب جهنم) فيها مجاز مرسل علاقته ما يؤول إليه حالهم ويستقر به ما لهم يوم القيامة فحالهم في الدعوة إلى الشرور والانغماس في الآثام والسير وراء المحرمات وارتكاب المعاصي والمنكرات لا يفترق عن حال من يقف على حافة النار يدعو إلى السقوط فيها ، وعلاقته لزوم تلك الحال لهم فمن يتسلم قيادة الدعوة للشر يلزم أن يتسلم قيادة الدعوة إلى النار .

قوله (من جلدتنا) أي من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا ، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب . وقال القاضي معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون . وجلدة الشيء ظاهره وهي في الأصل غشاء البدن .<sup>(١)</sup>

قوله (من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) تأكيد أن أولئك الدعاة الضالين المنحرفين عن الحق هم من أبناء هذه الأمة ويتكلمون باللغة العربية ولا نبعد إن قلنا أن كثيراً منهم نبصره اليوم يكتب في صحفنا ويقرأ في قنواتنا ويحسب في جملة المثقفين منا بل والمتميزين عنا حينما يجرد قلمه لدعوات هدامة ويسلط بيانه بانتقادات جادة لكثير من العادات العربية والتعاليم الإسلامية ويصب جم السخط عليها ليقول في النهاية لماذا لا نواكب الانفتاح العالمي ونركض علنا أن نلحق بركب الحضرة والمدنية الغربية ووقع قول الرسول ﷺ ( لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ )<sup>(٢)</sup>

وقوله (هم من جلدتنا) كناية عن أنهم من أمتنا ومن أبناء العروبة ، ولا يستطيع القلم أن يفي بالبيان والبلاغة عن الغصة التي تكرر صفو حياة الأمة وهي تشهد من يهدم بنيانها من أبنائها ولسان حالها

فالحال قد بدأت بالدخن في كدرته ولكنها آلت إلى دعاة يجهرون بالمخالفة ويجأرون بالدعوة إلى الرذيلة ولا عجب أن تستشري تلك الرذائل و تسري في جسد الأمة المنهك من تلك الفتن المتلاحقة منذ عهد مبكر بعد وفاة الرسول ﷺ .

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخاري للعيني - ج ٢٤ - ص ١٩٤ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج ١٣ - ص ٣٦٤ .

قوله ( فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ) أمر الرسول ﷺ بلزوم جماعة المسلمين ولزوم الإمام حفظاً للوحدة قال تعالى : ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَمٌ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا مِرْكَمُ فَاتِقُونَ ﴾ [المؤمنون ٥٢] ، وقال ﷺ ( .. فإن من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية ) .<sup>(١)</sup>

وإذا فقدت الأمة الجماعة والإمام فقد انحل الرباط فيما بين المسلمين ولزم كل نفس مؤمنة أن تفر بدينها لذلك أمر الرسول ﷺ حذيفة بالاعتزال حينما يتشتت جمع الأمة وتذهب أئمتها وتعظم فيها الفتن فالاعتزال هنا أسلم للدين بل لقد شددت العبارة في المبالغة في البعد عن تلك الانقسامات التي آلت إليها الأمة في قوله ﷺ ( ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت ) والعرض هنا كناية عن شدة المكابدة وبلوغ المشقة الغاية حتى يضطر الإنسان أن يؤول إلى هذه الحال من العض على أصل الشجرة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

والأصل في الشجرة قد يحمل معنى التمسك بأصول الدين وقواعده التي لا تلبث في ذلك الزمن أن تكون قد أصابتها عبثية الانحراف عنها وآلت إلى نصوص مكتوبة لا يعمل بما فيها بل استبدلت إن لم يكن في ذلك مبالغة بقوانين بشرية وضعية تليق بالانهزامية الفكرية التي وصلت إليها فئات من المسلمين قال الله تعالى : ﴿ يَرِيدُونَ ليطفئوا نور الله بأفواههم والله ممنونهم ولو كره الكافرون ﴾ [الصف- ٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا خُنْ مصلحون ألا إلههم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ [البقرة- ١١ ، ١٢] .

( وقال ﷺ : ( أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعه ضلالة )<sup>(٢)</sup> . ( وعضوا ... ) أي بجميع الفم احترازاً من النهش وهو الأخذ بأطراف الأسنان فهو إما مجاز بليغ فيه تشبيه المعقول بالمحسوس أو كناية عن شدة التمسك بالسنة والجد في لزومها وقيل معناه الأمر بالصبر على ما يصيبه من العض في ذات الله كما يفعله المتألم مما أصابه من الألم ) .<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح البخاري - ج ١٣ - ص ٧ .

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - لابن علان - ص - ٣٠٤ .

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - لابن علان - ص - ٣٠٤ - ٣٠٦ .

قوله ﷺ : ( ولو أن تعض على أصل شجرة ) شبه التمسك بالدين بالعض على الشيء بجامع التمسك والحرص ثم استعار العض للتمسك بالدين على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

( قوله ( تعض ) بفتح العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة من عضض يعضض من باب علم يعلم أي لو كان الاعتزال من تلك الفرق بالعض فلا تعدل عنه . وقال البيضاوي المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان . وعض أصل الشجرة : كناية عن مكابدة المشقة كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر ( عضو عليها بالنواجذ ) .

قوله ( وأنت على ذلك ) أي على العض الذي هو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وإطاعة سلاطينهم ولو جاروا وفيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك القيام على أئمة الحق لأنه ﷺ أمر بذلك ولم يأمر بتفريق كلمتهم وشق عصاهم ) . (١)

الخير والشر في هذا الحديث معان بيانية كنائية ففي قوله : ( إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ) الشر كناية عن البعد عن الله ، والانحراف عن الفطرة السليمة ، والميل عن الطريق المستقيم . والخير كناية عن الاستسلام لله ونماء الفطرة السليمة والاعتدال على الطريق المستقيم وسؤال الصحابي عن تعاقب الخير والشر فيه تعبير كنائي عن وقوع الفتن وانكشافها حيناً ثم البدء في عكر الغواية الذي يجز أحداث هذه الدنيا إلى الزوال . ففي قوله ﷺ ( وفيه دخن ) كناية عن مداخلة الخير ما يكدر صفوه وعن دخول الرزايا والابتلاء على أهل السنة .

وقوله ﷺ : ( قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي ) هذا التعبير النبوي فيه كناية عن مخالفة الدين واتباع سبل الشيطان والتستر خلف الإدعاءات الباطلة .

وقوله ﷺ : ( تعرف منهم وتكرر ) يقابل كلمة الدخن التي تعني أن يخالط الخير بعض الأهواء والنزعات الضالة وأن أولئك القوم قد خالفوا قواعد الدين وانحرفوا عن الصراط المستقيم ، وقد تأخذ معنى أنك تعرف ذلك الفعل منهم وتكرهه .

وقوله ﷺ : ( دعاة على أبواب جهنم ) كناية عن عظم شرورهم واشتداد البأس بدعواهم والانخداع بمكائدهم والاغترار بأفعالهم واتباعها ووردت كلمة ( أجابهم ) مناسبة لكلمة ( دعاة ) فكأنهم ما يزالون

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للشيخ الإمام العلامة - بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ - ج ٢٤ - ص ١٩٤-١٩٥ .

يطلقون دعواتهم ويرفعون بها أصواتهم بها حتى يجدوا من يجيبهم فيجرونه بسلاسل المعصية وقيود الآثام حتى يردونه شر مصير ، جنهم والعياذ بالله .

وفي رواية عن اليشكري عن حذيفة بن اليمان قال : قلت : يا رسول الله هل بعد هذا الشر خير ؟ قال : هدنة على دخن وجماعة على أقذاء أو فيهم قلت : يا رسول الله ، الهدنة على الدخن ما هي ؟ قال : لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه . قال : قلت : يا رسول الله ؟ أبعد هذا الخير شر ؟ قال : فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار ، فإن تمت يا حذيفة وأنت عاض جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم ) .<sup>(١)</sup>

قوله ﷺ : ( هدنة على دخن ) أي على فساد واختلاف ، تشبيها بدخان الحطب الرطب ، لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر ) .<sup>(٢)</sup>

( والهدنة : الصلح والموادعة . والدخن : تغير الطعام إذا أصابه الدخان في حال طبخه فأفسد طعمه ، وهو مصدر دخنت النار ( من باب فرح ) إذا ألقى عليها حطب رطب وكثر دخانها لذلك . وهذه العبارة لا يعدلها كلام في معناها ، فإن فيها لوناً من التصوير البياني لو أذيب له اللغة كلها ما وفته به . وذلك أن الصلح إنما يكون موادعة وليناً ، وانصرافاً عن الحرب وكفاً عن الأذى وهذه كلها من عواطف القلوب الرحيمة فإذا بني الصلح على فساد وكان لعله من العلل غلب ذلك على القلوب فأفسدها ، حتى لا يسترح غيره من أفعالها ، كما يغلب الدخن على الطعام فلا يجد آكله إلا رائحة هذا الدخان والطعام من بعد ذلك مشوب مفسد .

فهذا في تصوير معنى الفساد الذي تنطوي عليه القلوب الواغرة وثم لون آخر في صفة هذا المعنى وهو اللون المظلم الذين تنصبغ به النية ( السوداء ) وقد أظهرته في تصوير الكلام لفظة ( الدخن ) . ثم معنى ثالث ، وهو النكته التي من أجلها اختيرت هذه اللفظة بعينها وكانت سر البيان في العبارة كلها وبها فضلت كل عبارة تكون في هذا المعنى وذلك أن الصلح لا يكون إلا أن تطفأ الحرب فهذه حرب قد طفئت ناراها بما سوف يكون فيها ناراً أخرى كما يلقي الحطب الرطب على النار تخبو به قليلاً ثم يستوقد فيستعر فإذا هي نار تلتظى ، وما كان فوقه الدخان فإن النار ولا جرم من تحته وهذا كله تصوير لدقائق

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي - ج ٧ - ص ٣١٣

(٢) المصدر السابق - ج ٧ - ص ٣١٣

المعنى كما ترى حتى ليس في الهدنة التي تلك صفتها معنى من المعاني يمكن أن يتصور في العقل إلا وجدت اللون البياني يصوره في تلك اللفظة لفظة " الدخن " . (١)

وهدنة على دخن أي : ( صلح مع خداع ونفاق وخيانة وأصل الدخن : هو الكدورة واللون الذي يضرب إلى السواد ، فيكون فيه إشعار إلى أنه صلاح مشوب بالفساد ) . (٢)

وقوله ﷺ : ( جماعة على أقذاء فيها ) . ( القذى : هو ما يقع في العين والشراب من غبار ووسخ . واجتماع على أهواء مختلفة وعيوب مؤتلفة ، وأن اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم ، فشبهه بقذى العين والماء والشراب ) . (٣)

وقوله ﷺ : ( قتنه عمياء صماء ) ( قال القاضي : أن تكون بحيث لا يرى منها مخرجاً ، ولا يوجد دونها مستغاثاً ، أو أن يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة ، فيعمون فيها ويصمون عن تأمل قول الحق واستماع النصيحة . ويمكن أن يكون وصف الفتنة بهما كناية عن ظلمتها وعدم ظهور الحق فيها ، وعن شدة أمرها وصلابة أهلها ) . (٤)

والتصوير البياني بتقسيماته البلاغية يتتبع في عبارات هذا الحديث برواياته المتعددة والذي يتيسر لنا الكشف عنه في هذه الرواية يتمثل في : التشبيه في قوله ﷺ : ( جماعة على أقذاء ) .

المشبه : حال أولئك الجماعة فيما تظهره من الخير وتبطنه من الشر .

المشبه به : حال العين والشراب المصاب بالقذى .

وجه الشبه : سلامة الظاهر وفساد الباطن الذي تظهر بعض علاماته وما في ذلك من ضرر وفساد .

الغرض من التشبيه : التقريب والتقرير والإيضاح .

والعبارة نفسها يتمثل فيها البيان الاستعاري حيث شبه ﷺ ما تكنه وتبطنه قلوبهم وضمائرهم من الضغينة والخبث بالقذى الذي يفسد ما يقع فيه بجامع الإيذاء في كل ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

قال ﷺ : ( لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه ) وفيه كناية عن خروجهم عن طريق الحق وابتعادهم عن الطريق السوي والنفي كناية عن بقائهم على ردتهم وانحرافهم والعياذ بالله . وقوله ﷺ :

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى الرافعي ص ٢٢٣ .  
(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود - أبي الطيب محمد شمس الحق آبادي - ج ٧ - ص ٣١٢ .

(٣) المصدر السابق - ج ٧ - ص ٣١٣ .

(٤) المصدر السابق - ج ٧ - ص ٣١٣ .

وفي قوله ﷺ : ( فتنة عمياء صماء ) كناية عن شدتها وعظم الكرب بها وعموم شرها . وفيه استعارة حيث شبه ﷺ الفتنة بإنسان على حالة مخصوصة ( أعمى ، أصم ) بجامع عدم الإدراك والنفع ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

٥- عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة : قال عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ : ( إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه ، مهلكتي ، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن ، هذه ، فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع أماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه ، فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر ) . (١)

وهذا الحديث إيضاح لعموم لفظ الخير والشر في الحديث السابق .

قال ﷺ : ( خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .. ) (٢) قرنان أو ثلاثة ولن تزال الخيرية في هذه الأمة حتى قيام الساعة قال ﷺ : ( لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ) (٣) لكن لما كان القدر الإلهي قد أذن أن لكل شيء نهاية وأن خاتمة الرسالات السماوية هي القرآن وخاتم الرسل هو محمد ﷺ وآخر الأمم هي أمته ﷺ كان لا بد أن تظهر في حين ما في حال هذه الأمة ما ينبئ عن تزلزل الصرح واهتزاز الوجود الآدمي وظهور انقلابات وتغيرات كونية وبيئية عديدة تمهد ليوم ﴿ تشخص فيه الأبصار ﴾ \* مهطعين متعبي رؤوسهم لا يد إلى هم طر فهم وأفقدتهم هوا .. ﴿ [إبراهيم ٤٢-٤٣] تمهد ليوم قال عنه العزيز ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ [الحج ١] .

والمعافاة في جسد هذه الأمة الإسلامية بدأت تتوارى منذ عهد مبكر بعد وفاة الرسول ﷺ بما وقع من الفتن وما نشب من الخلافات التي هزت الكيان الإسلامي أولى هزاته ثم بدأت تأتي الفتن تباعاً كل واحدة تمهد سبيل الأخرى وتقع من القلب المؤمن موقع الحيلة والخوف والحذر من أن تكون هذه أو تلك هي القضية لعظم بلائها واشتداد الكرب بها ولا ملجأ ولا منجاة من ذلك الابتلاء إلا بقلب تعلق بالإيمان ونفس

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول - ج ١٢ - ص ٤٣٦ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - ج ٧ - ص ٧ - باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي باب قوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم - ج ١٣ - ص ٦٨ .

ترسخت فيها الطمأنينة بأقدار الله فغدا ذلك العبد في معاملته للناس بما يحب أن يلقيه به من المعاملة وحفظ لولي أمره طاعته في غير معصية الله وأخلص له في بيعته فذلك من سلمت سريرته من الفتن وعصمت نفسه من الزيف وتشربت جوانحه التقى ﴿ فَإِذَا مَا ابْنَلَاهُ رِيحاً فَأُكْرِمَهُ وَنَعْمَ يَقُولُ رَبِّي أَكْرَمُ ﴾

[الفجر - ١٥] ﴿ هُنَالِكَ ابْنُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ زَلْزَلًا زَلِيلًا ﴾ [الأحزاب - ١١] .

قوله ( جعل عافيتها في أولها ) في هذه العبارة أن الأمة كانت جسداً قوياً تسري فيه نضارة الصحة وتشع من جنباته إشراقات الحيوية ، لكن هذا البهاء لم يلبث أن يغيره كدر الأحداث وهذا ما تكشف عنه عبارة ( وسيصيب آخرها بلاء ) .

ثم جاء الفعل ( تتكرونها ) موجهاً لمخاطبة الصحابة السامعين تقريباً لعهد الإبتلاء وتنبيهاً إلى أولئك الصحابة أنهم سيشهدون في حال هذه الأمة ما ينكرون وقوعه .  
وصيغة الأفعال ( سيصيب - وتتكرونها ) أجبت في العبارة جذوة التأمل والتخيل لذلك الحال .

وقد يحمل الفعل ( تتكرونها ) بالمخاطبة للمستمعين من الصحابة حاليين :

**الأول :** ما حدث بعد وفاة الرسول ﷺ من انشقاق وفتن وأنكرها الصحابة الكرام .

**الثاني :** ما يحدث في عهد ربما ليس فيه من الصحابة أحد لكن ما يحدث فيه من الفتن والرزايا تنكره تلك النفوس المطمئنة والقلوب المتيقنة لو أنها أبصرته أو علمته .

( وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعض .. ) أي أنها كالأستار المنطوية التي تتكشف ستراً ستراً ويكون كل واحد منها طريقاً للآخر وباباً لظهوره مما يدل على الكثرة والتلازم في آن واحد وفي هذا كناية عن تتابعها وكثرتها .

( فمن أحب ) من هنا ليست تخيرية بقدر ما هي إنذارية تحذيرية ويقوم فيها هذا الوجه كلمة ( يزحزح ) التي تبسط المهاد على حافة جهنم . ثم انطوت العبارة على ثلاثة معانٍ جليلة تنجي صاحبها :

١ - الإيمان بالله واليوم والآخر .

٢ - معاملة الناس بما يحب أن يعاملوه به .

٣ - الطاعة لولي الأمر في غير معصية الله . وهذا رأس الأمر وذروة السنام في الالتزام بالدين القويم.



( فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه ) الثمرة خلاصة مراحل سابقة ورعاية دائمة وهذه الثمرة التي تعطي للإمام هي جنى الإيمان الخالص والنية الصادقة ، وقد حملت العبارة الفعل الظاهر والفعل الباطن في النصرة له . فصفقة اليد فعل ظاهر يستلزم الإخلاص وهذا هو الفعل الباطن ، والعبارة النبوية خصته بالثمرة ليكون مفيداً لذلك الجسد الذي بدأت تتخر فيه الفتن ، وفي إخلاص البيعة والوفاء بها تكافل اجتماعي يشد عضد الأمة ويحفظ لها تماسكها .

قوله ﷺ : ( إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ) ( أي : حقاً واجباً ؟ لأن ذلك من طريق النصيحة والاجتهاد في التبليغ والبيان .

( وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ) يعني بأول الأمة (زمانه وزمان الخلفاء الثلاثة إلى قتل عثمان ) فهذه الأزمنة كانت أزمنة اتفاق الأمة واستقامة أمرها وعافية دينها ، فلما قتل عثمان ماجت الفتن كموج البحر ، وتتابع قطع الليل المظلم ، ثم لم تزل ولا تزال متوالية إلى يوم القيامة ، وعلى هذا فأول آخر هذه الأمة المعني في الحديث مقتل عثمان ، وهو آخر بالنسبة إلى ما قبله من زمان الاستقامة والعافية ، وقد دل على هذا قوله : ( وأمر تنكرونها ) والخطاب لأصحابه فدل على أن منهم من يدرك أول ما سماه آخرًا وكذلك كان .<sup>(١)</sup>

و العافية في الحديث كناية عن التمكن والقوة . والبلاء كناية عن الضعف والانقسام وتبدل الحال . والعافية والبلاء عوارض مما يقع للإنسان وانتقلت تلك الصفات إلى كيان الأمة على سبيل الاستعارة فقد أشبهت الأمة في قوتها وعزتها واشتداد أمرها حال الإنسان المتعافي في بدنه وروحه ثم طال عليه الأمد حتى نخر جسمه السقم و كذلك حال الأمة في آخر عهدها تنتابه الرزايا وتحل به المنكرات ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي العافية والبلاء وذلك على سبيل الاستعارة المكنية . وقوله ( فيرقق بعضها بعضاً ) كناية عن التتابع والكثرة وكون بعضها سبباً لوقوع الآخر .

( ( وتجيء الفتنة فيدقق بعضها بعضاً ) الرواية يدقق بالتخفيف وفتح الياء ، هذه رواية الطبري عن الفارسي ومعنى يدقق : يدفع ، والدقق : الدفع ومنه : الماء الدافق يعني أنها كموج البحر الذي يدقق بعضه بعضاً ، وشبه المؤمن في هذه الفتن بالعائم الغريق بين الأمواج ، فإذا أقبلت عليه موجه قال : هذه مهلكتي ثم تروح عنه تلك فتأتيه أخرى ( فيقول : هذه ، هذه ) إلى أن يغرق بالكلية . وهذا تشبيه واقع . ورواه أكثر الرواة : ( فيرقق ) بالراء المفتوحة ، والقاف الأولى المكسورة ، أي يسبب بعضها بعضاً ، ويشير إليه كما قالوا في المثل : عن صبح ترقق ؟ ( يرحزح ) : ينحى عنها ويؤخر منها .

(١) المفهوم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٥٧٨-٦٥٦ هـ - ج ٤ - ص ٥١ - ٥٢

قوله ( وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ) أي : يجيء إلى الناس بحقوقهم من النصح ، والنية الحسنة بمثل الذي يحب أن يجاء إليه به ، قال ﷺ : ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) والناس هنا : الأئمة والأمراء فيجب عليه لهم من السمع والطاعة والنصرة والنصيحة مثل ما لو كان هو الأمير لكان يحب أن يجاء له به ) .<sup>(١)</sup>

( وصفقة يده كناية عن البيعة والعهد وهي مبنية على استعارة وذلك أن العادة في التبائع والبيعة أن يطرح المشتري يده في يد البائع وكذلك الأمر عند البيعة ويصفق أحدهما يده على الآخر ، وهذه الاستعارة صورة صوتية ومجيئها على الصيغة الاسمية يوحى بثبات البيعة ، كما أن توازن صفقة يده وثمره قلبه في النص يعبر عن التوافق التركيبي الذي يرسم توافق اليد والقلب فلا خداع في الأمر . وثمره قلبه استعارة لأن المراد بها خالصة صدره أي بايعه بطاعة صحيحة وبنية غير مدخوله فشبهه ﷺ ذلك بالثمره لأنها لباب كل شيء وخالصته وصفوته وخالصته . وههنا امتزاج بين عالمين بوساطة الإضافة مما يفيد أن القلب يولد ثمرة وأنها ليست كل القلب بل هي أحسن ما فيه ) .<sup>(٢)</sup>

وفي قوله ﷺ : ( صفقة يده وثمره قلبه ) تصوير بياني الأول : صفقة يده . شبه مبايعة الإمام على الطاعة والعزم في ذلك والتدليل عليه بصفقة اليد على اليد عند البيع الذي إذا تم العقد فيه صفق المتبايعان بيديهما كل على الآخر . ثم أطلق المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .

والثاني : ثمره قلبه : شبه اخلاصه في البيعة وولاءه في ذلك بالثمره التي هي أطيب ما يعطي الشجر وذلك بجامع الحسن والنقاء في كل ثم استعار المشبه به للمشبه وأطلقه عليه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

(١) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٥٧٨-٦٥٦ هـ - ج ٤ - ص ٥١ - ٥٢  
(٢) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ص ٢١٣ .

## المبحث الرابع : ظهور أصناف من الضلال

### ٤- ظهور أصناف من الضلال

١- عن سهل بن حنيف : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (وأهوى بيده قبل العراق ، يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ) وفي رواية ( يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ) . (١)

تظل دائرة الحياة الدنيا تتأرجح على كفة الميزان حتى تفرغ حمولتها وتلقي بالثقل عن كاهلها متى شاءت الإرادة الربانية ذلك ، وبعض تلك الحمولة هي إرهابات النذر الأخير باقتراب الأجل ، وهذا الحديث نبوءة عن إحدى النذر السابقة للأجل الدنيوي وهي انشقاق الجماعة الإسلامية عن فرقة ضالة تلفظها الذات الدينية وتقذفها آفات الشرور صيداً سميناً لحبائل الشيطان بعد أن جاست مكائده خلال قلوبها فأخرجتها عن الحق والدين .

وفي هذا البيان النبوي تقرير حال تلك الفرقة حيث يكون الدين لباساً يزينون به أفعالهم التي في طياتها الخبث والمكر . وقد صورت البراعة النبوية ذلك الحال عن طريق التشبيه الذي كشف الحجب وأزال الأسرار حتى اتضحت أحوال تلك الفئة وتبدت عارية من الدين وكانت هذه الصورة التشبيهية لباب الفكرة المطروحة وقد أوحى بالسرعة التي تتجاوز بها تلك الفئة عتبة الدين وتخطو بها بعيداً خارج العمار الإسلامي حتى تؤول إلى شردمة ناتئة في جسم الدين لا مهمة حياة قضت ولا يؤبه لها كما لا يؤبه للسهم بعد رميه .

تلك الفئة اتخذت الدين قناعاً تتستر خلفه لا تعي من حقيقته شيئاً ولا تعرف منه إلا الاسم فقط وتجيد التصويت بتعاليمه التي لا تتجاوز ألسنتهم ولا تخالط إلا الرياء فيهم فهم كالسهم الذي يرمي به صاحبه فلا تتعثر رميته ولا يعود إلى قوسه . إن تلك الفئة أخرجتها من دائرة الحق أهواؤها وتهافتها في الضلال وانجرافها وراء الزخرف الدنيوي مادة ومعنى حتى تجردت روحاً وجسداً من الحقيقة الإيمانية وأضحى حالها كحال ذلك السهم الذي لا يعلق به أدنى ما يمكن عند رميه .

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - باب ن ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه - ج ١٢ - ص ٣٥٠ ، ٣٦٢ .

( جَسَم النص عنف هؤلاء الخوارج بحركة السهم ، وقد أكدت الوقائع أنهم دخلوا في الدين وخرجوا منه مسرعين كحال هذا السهم ، نتيجة التعصب والتصلب الفكري وقد عبرت الحركة السريعة عن زوالهم السريع في فترة وجيزة ، فصاروا في الطرف الآخر كما يصير السهم في الطرف الآخر من الرمية ، وناسب السهم وهو وسيلة قتال تصويرهم لشدتهم في المعارك فالحرب والسهم من حقل معنوي واحد ، ويلحظ أن حركة المروق سريعة في حين تتجلى الحركة المنقطعة عن العمل في عدم تجاوز القرآن لحناجرهم وهذا يجلي انقطاع الخيرية .<sup>(١)</sup>

( يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ) فيه مجاز لأنه ﷺ شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا بعقدته أو يعيقوا بطينته بالسهم الذي أصاب الرمية وهي الطريدة المرمية ثم خرج مسرعاً من جسمها ولم يعلق بشيء من فرثها ودمها وذلك من صفات السهم الصائب لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوي النزعة ) .<sup>(٢)</sup>

إنهم يحرصون على الشعائر والعبادات قال تعالى ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً \* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ [الكهف- ١٠٣- ١٠٤] .  
وعبر الحديث عن بعدهم عن الدين بصورتين :

١- صورة عدم قبول قراءتهم للقرآن وبعدهم عن تحقيق مضمونه بأنها لا تجاوز حناجرهم .

٢- صورة خروجهم من الدين بسرعة .<sup>(٣)</sup>

قوله ﷺ : ( لا يجاوز تراقيهم ) . كناية عن نفاقهم وعدم إخلاصهم في عملهم لله .

وقوله ﷺ : ( يمرقون ) ( أي يجوزونه ويخرقونه يتعدونه كما يخرق السهم المرمي به ويخرج منه . وفي حديث علي عليه السلام : ( أمرت بقتال المارقين ) يعني الخوارج ، ومنه سميت الخوارج مارقة . والمارقة : الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه . والمروق سرعة الخروج من الشيء ) .<sup>(٤)</sup>

وفي قوله ﷺ : ( يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ) تصوير بياني استعاري ، حيث شبه البيان النبوي خروج أولئك القوم من الإسلام بخروج السهم من الرمية بجامع السرعة فيهما ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .  
وفي هذه العبارة أيضاً تصوير بياني تشبيهي قام على :

(١) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ص ٤١ .

(٣) المصدر السابق - ص ٤١ .

(٤) لسان العرب لابن منظور - ج ١٤ - ص ٦٠ .

المشبه : مروق أولئك القوم من الدين وخروجهم منه .

المشبه به : مروق السهم من الرمية .

وجه الشبه : السرعة والخروج من الشيء دون تعلق بشيء منه معنى في أولئك القوم لخلوهم من حقيقة

الدين وتعاليمه ، ومادة في السهم الذي سلم من العلق بشيء .

الغرض من التشبيه : التقريب والتقريب لحال أولئك المارقين وكشف حقيقة أمرهم .

وفي قوله ﷺ : ( يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ) تصوير بياني تشبيهي .

المشبه : خروج أولئك القوم من الإسلام .

المشبه به : خروج السهم من الرمية .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : السرعة وعدم تعلقهم بشيء .

الغرض من التشبيه : الكشف والبيان والتقريب لتلك الحال المستترة بقناع الخداع .

وما حالهم إلا كما قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله

والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم كانوا

يكذبون ﴾ [البقرة- ٨ ، ٩ ، ١٠] .

٢- عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ :

( يوشك ، إن طالت بك مدة ، أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر ، يغدون في غضب الله ، ويروحون في

سخط الله ) . ( ١ )

في الحديث السابق انكشف المعنى عن خروج قوم أو فئة من جماعة المسلمين عن الدين وهذا الحديث

يكمل الخبر عن فئة أو طائفة ثانية ويحل عليها الغضب من الله لما جنته من الإثم .

ارتكاز الصورة هنا قام على التقريب للغيب الآتي بالحاضر المنظور فالبقرة قريب معهود معروف

للسامعين واختص منها الذنب لتقريب صورة ما في أيدي أولئك القوم وأفاض عليها البيان النبوي الحركة

المستمرة غدواً ورواحاً يفتتحون يومهم بالغضب ويختمونه بالسخط لشدة ما يقومون به من تعسف وظلم

وجبروت أحال حياتهم إلى هذه الصورة المهيبة من العذاب النفسي لحب السيطرة واستعباد الآخرين

وذلم .

( ١ ) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء - ج ١٧ - ص ١٨٨ .

واجتلاب العنصر البيئي هنا لعب دوراً بارزاً في إخراج الصورة محفوفة بالهيبية من تمثل ذلك الحال وكيف استحكمت عليهم حلقة الغضب والسخط نتيجة ما يصدر منهم من تسلط يتفنون في صبه على الخلق في مفتتح يومهم وختامه ، وحملت النبوءة هنا الأفعال المضارعة المستقبلية المستمرة لتنتشر الحس الحركي المستمر وتلف عجلة الجبروت البشري والطغيان الإنساني لأولئك القوم .

وقوله ( إن طالت بك مدة ) اتسعت بها الفرجة التي فتحتها كلمة ( يوشك ) في مستهل الحديث المتصلة بقرب حلول الحال ووقوع المخبر عنه المتعلق بشأن أولئك القوم في استيلاء المنكر عليهم وغلبته على أفعالهم حتى سلطوا على الخلق سوط عذابهم وأدخلوا عليهم الرعب بتقرب سيرهم وحصر تحركاتهم غدواً وعشيا . وتمثيل السوط بأذنان البقر يشعل لهيب الوحشة من أولئك القوم وينبئ عن القسوة التي يتصفون بها فكان أن تحولت نقاط تحركاتهم المرئية إلى مرتكزين يتعاودانه مفتتح يومهم ونهايته .

( واتكأت الصورة الكنائية على البقرة للتعبير عن الظلم والجبروت واختص من البقر الذنب على حقارته وعدم فائدته بل إن فيه ما يبعث على التقزز وتصور فظاعة الموقف الذي يحدثه هؤلاء المتسلطون الطغاة الجبابرة فالسياط في أيديهم كأذنان البقر لا تفارقهم لهيمنة الكبرياء عليهم ولكن السياط البقرية هذه تغدو مع الأزمان رمزاً لوسيلة العذاب تعبر عن وحشية الطاغي وحيوانيته كما تعبر عن القبح النفسي في دخائل هؤلاء الجبارين وقد جاءت الكناية في صورة حركية مستمرة ، فيها السرعة من العدو الذي هو أقوى من المشي ، أو يدل الفعل على الزمن المبكر وفي الاحتمال الأخير الإرادة المتعنتة التي يشي بها استقبال اليوم بالمظالم وقد جعلهم حرف الجر ( في ) داخل الغضب والسخط محوطين بهما ( ١ )

قوله ﷺ : ( ترى قوماً في أيديهم مثل أذنان البقر ) فيه تصوير بياني تشبيهي للكشف والإيضاح ويتمثل في :

المشبه : مافي أيدي أولئك القوم من وسائل للتعذيب .

المشبه به : أذنان البقر .

أداة التشبيه : مثل .

وجه الشبه : الغلظة والقسوة والشكل أي في المخبر والمظهر .

الغرض من التشبيه : التقريب والتمثيل – وبيان حال المشبه .

( ١ ) الصورة الفنية في الحديث النبوي – أحمد ياسوف – ص ٢٨٠ .

والعبارة كناية عن سوء الفعل والوقوع في هاوية الجبروت والظلم . وقوله ﷺ : ( يغدون ويروحون ) كناية عن الاستمرار والتعاهد لذلك الأمر . وقوله ﷺ : ( في غضب الله ) ( في سخط الله ) كنايتان عن انحراف فطرتهم ، وغلبة العصيان عليهم ، وسوء منقلبهم ومآلهم ، وظرفية الحرف ( في ) أشاعت في العبارة جو الإحاطة والشمول الذي وقع فيه أولئك القوم . وكلمتا الغداة والرواح توحيان بأنهم يغدون في أول يومهم مفرغين من الطاعة فتهيج فيهم وساوس الشيطان وتغلب على نفوسهم الضعيفة وتتمكن منهم العزة بالإثم فيسعون إلى تعبئة ذلك الفراغ بما سلطه عليهم الشيطان من ذل الناس واستعبادهم وصب العذاب عليهم حتى إذا بلغوا وقت الرواح وجدوا أنفسهم قد ملئت ضجيجاً وأنيناً فأخمدوا نارها بكبرياء السيطرة ، ووجدوا قلوبهم قد أقفلت أبوابها فزادوها رسدا بحب التملك والإذلال ، وهكذا تتقلب حالهم طرفي نهارهم في حلقة مفرغة تتأرجح بهم ما بين الحاليين من الغضب والسخط والعياذ بالله .

وقال ﷺ : ( إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ) .<sup>(١)</sup>

والشاهد هنا قوله ﷺ : ( واستعينوا بالغدوة والروحة ..... ) ( وهذه الأوقات أروح ما يكون فيها البدن للعبادة )<sup>(٢)</sup> وشتان بين الغدوة والروحة هنا وبين الغدوة والروحة عند من يغدون ويروحون في سخط الله وغضبه ، ونستدل من هذا الحديث أن أولئك القوم قد استغلوا أنفع أوقاتهم فيما يضرهم وأن خيرية الدين قد نزع من قلوبهم وحلت محلها غطرسة شياطينهم .

وجاء في رواية عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ( صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا ) .<sup>(٣)</sup>

ونتابع أيضاً في هذا الحديث الخبر عن أصناف أخرى من الخارجين عن الدين .

في هذه النبوءة النبوية إخبار عن صنفين نهايتهما – عياداً بالله – إلى النار نتيجة أعمالهما وانحراف عقيدتهما والصنف الأول هم قوم سلطوا قوتهم في هلكة الناس وتعذيبهم واستعبادهم والسيطرة عليهم بدون وجه حق ومثل ذلك القول النبوي ( معهم سياط كأذناب البقر ) تلك السياط قد تختلف مادتها وتتعدد

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر العسقلاني – ج ١ – ص ١١٨ – باب الدين يسر وقول النبي ﷺ أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة .

(٢) المصدر السابق – ج ١ – ص ١٢٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي – باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء – ج ١٧ – ص ١٨٨ .

طرق استخدامها من سوط حسي ملموس إلى قهر نفسي محسوس ؛ فالأداة هنا قد تكون مرئية بادية للعيان وقد تكون حسية تلمسها بذور الرحمة الإنسانية وتتأذى منها . وما تمثيلها بأذنان البقر إلا تجسيداً لجبروتها وتعظم لخطرها فيما يوقعه أصحابها من إيذاء للآخرين وتعظيم لخطرها في طغيان نفوس أولئك الظالمين المتجبرين الذين انتزعت منهم الغواية الشيطانية الهداية وأبدلتهم مكانها انحرافاً عن الفطرة السوية حتى إذا استحكمت فيهم الأباطيل واستأثر بهم الضلال أسلمتهم غوايتهم إلى ما انغمسوا فيه فراحوا يتخبطون في العصيان يمناً ويسرة لا يدركون ما يفعلون ﴿كالذي أسهوت الشياطين في الأرض حيران﴾ [الأنعام- ٧١] .

( سياط : جمع سوط وهو الجلد المضفور وهو ألم من العصا ، وقد يراد بالسوط أنواع وضروب العذاب ) قال تعالى ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ [النجم- ١٣] وهؤلاء هم الظلمة الذين يعتدون على خلق الله وعباده بالضرب والإهانة والتعذيب والتنكيل ، لا عن استحقاق بل لمجرد حب التعالى والظهور ، وإشباع نفوسهم المتعطشة إلى سفك الدماء ، وتعذيب الأبرياء قال تعالى : ﴿إن الذين فشاؤا المؤمنين والمؤمنات ثم لم ينوبوا فلم يحسوا عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾<sup>(١)</sup>

والتشبيه الذي جاء في قوله ( كأذنان البقر ) جاء ركييزة قامت عليها إيضاحات عدة من أن أولئك الظلمة تصيبهم قذارة أعمالهم حتى تبلغ بهم درجة اللؤم والسخط من الله عليهم فيتناسب جرم عملهم مع تقرير الجملة الاسمية ( صنفان من أهل النار لم أرهما ) التي أعطت الختم منذ البدء بمصيرهم المنتظر .

والأركان التشبيهية تتمثل في :

المشبه : السياط الذي في أيديهم .

المشبه به : أذنان البقر .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الشكل وسرعة الحركة والغلظة مع القسوة .

الغرض من التشبيه : الكشف والبيان أي : بيان الحال والتحذير من فعلهم والتنفير من حالهم .

وفي قوله ( قوم معهم سياط ) كناية عن صفة تلازمهم في إظهار جبروتهم وذلك تحقيقاً لرغبات أنفسهم الضعيفة التي خلت من قوة الإيمان فتسلطت عليها قوى الشر وأوهمتها أن انتصارها في استعلائها على الآخرين وصب جم غضبها عليهم وتفرغ شحانات تسلطها على أجسادهم وفي أنفسهم .

(١) من كنوز السنة - محمد علي الصابوني - ص ١١١-١١٢ .



والصنف الثاني الذي أخبرت عنه النبوة النبوية نساء امتلكتها الضلالة فكستها من الضياع والتخبط رقاعاً شتى باسم الحرية والحضارة والمدنية ..... الخ بعد أن جردتها من الدين والسنة لتكون تلك الرقاع القناع الذي يغشي بصرها بعد أن عميت بصيرتها فيأخذ بريقه بلبها وتظل تجري لاهفة وراء ما لا طائل منه إلا المزيد من البهيمية والغرق في كهوف البدع والخرافات .

والمعنى في الحديث يعيش في كنف التعبير البياني الذي حمل عبء النهوض بتوضيح المعنى ، وتقريب المفهوم ، ومس من الفكرة لبها ، وقبع بخصائصه في جنباتها ، لينقل إلينا البيان الفكري المقصود من النبوة ، في ائتلاف موثق العرى بين المنطوق والمفهوم بين اللفظ والمعنى . فالكسوة والعري والميل والاستمالة والرؤوس التي آل حالها كحال أسنمة البخت إضاءات تتضافر لتلقي الضوء على المعنى في وصف أولئك النسوة بالعبث الذي لحق فيهن بالباطن فضلاً عن الظاهر حتى غدون في كسوتهن كمن لم تكتس وغدون في خروجهن عن الحق وميلهن عن السبيل السوي علماً وشارة تتبعهن من لعبت بها أهواؤها وسقطت بها جهالتها وسفاهة عقلها في حماة الميل عن الصراط السوي .

وقد جاء أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول : سبحان الله ، ماذا أنزل الله من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه لكي يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة (١)

هذا هو الرسول ﷺ يخاف على نسائه أمهات المؤمنين ويحرص على إيقاظهن للصلاة فهي عمود الدين وعماد الحياة

وفي هذا الحديث ما يدل على أن العري في الحديث السابق المتعلق بالنساء المائلات المميلات يتعلق بالدين وأنه هو الساتر وهو اللباس . قال تعالى ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم ومرتباً ولباس التقوى ذلك خير ﴾ ذلك من آيات الله لعلهم يدركون ﴿ [الأعراف- ٢٦] .

( وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمصٌ ، فمنها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض عليّ عمر وعليه قميصٌ اجتره ، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين ) . (٢)

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - ج ١٣ - ص ٢٧ .  
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عمر بن الخطاب - ج ٧ - ص ٦٣ .

وأولئك النسوة اللاتي أصابهن داء الانحراف ، وبدت عليهن أعراض العلة لا ننكر قبح فعالهن ما دامت القلوب فيهن قد انسلخت من الإيمان ، وما دامت العقول فيهن قد غشيها جهل الحضارة الزائفة ، والمدنية الغربية المتصنعة . ألم تعر من الأخلاق ! ألم تعر من المعروف ! ألم تعر من كل ماله صلة بالإيمان السليم ! لتكتس إذن ثياب الرذيلة ، ولتلتحف بمعاطف المنكر تلتف حول عنقها وخصرتها وعلى معصمها ؛ بل خلخالاً في رجليها لتكون سهلة القياد لمطامع شياطين الهوى من أي مكان شاءوا جذبها انجذبت ، وأنى شاءوا ذلك وجدوها طيّعة لينة مطاطة الرأس لهم ، مفرغة حنايا القلب المنكسر إلى أقوالهم تعب منها ، وما حالها إلا كما عبرت عنه الآية الكريمة : قال تعالى ﴿ وائل عليهم رباً الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناها ولكنك أنكسر إلى الأرض فاتبع هواه فمثل كمثل الكلب إن حمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل التور الذين كذبوا بآياتنا .. ﴾ [الأعراف ١٧٥-١٧٦]

تلك هي الملابس التي تليق بميلانها عن الحق ، وتلك هي الحلي اللائقة بميلان رأسها زهواً وكبرياء ، لم ترع حرمة روح فيها ، ولا حرمة جسد ، ولا حفظت نعمة دين ولا عقل ، سارت خلف شعارات كاذبة لن تبلغها إلا مهلوي الردى .  
( واختلف في المراد بقوله ( كاسية عارية ) على أوجه :

- ١- كاسية في الدنيا بالثياب لوجود الغنى عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا .
- ٢- كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها فتعاقب في الآخرة بالعري جزاء ذلك .
- ٣- كاسية من نعم الله عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب .
- ٤- كاسية جسدها لكنها تشد خمارها من ورائها فيبدو صدرها فتصير عارية فتعاقب في الآخرة .
- ٥- كاسية من خلعة التزوج بالرجل الصالح عارية في الآخرة من العمل فلا ينفعها صلاح زوجها كما قال تعالى { فلا أنساب بينهم }  
٦- يحتمل أن يراد عارية في النار ( <sup>(١)</sup> ) .

وقوله ( رؤوسهن كأسنمة البخت ) معناه : ( يعظمن رؤوسهن بالخمير والعمائم وغيرها مما يلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت واختار القاضي أن المائلات تمشطن المشطة الميلاء قال : وهي : ضفر الغدائر ، وشدها إلى فوق وجمعها في وسط الرأس فتصير كأسنمة البخت قال : وهذا يدل على أن

(١) المصدر السابق - ج ١٣ - ص ٢٩ .

المراد بالتشبيه بأسنمة البخت إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رؤوسهن وجمع عقائصها هناك . وتكثرها معا بما يضفرنه حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام). (١)

وفي النساء الكاسيات العاريات( نجد براعة في التشبيه فالسنام أعلى شيء في البخت ، وكذلك الشعر المرفوع أعلى شيء في المرأة ) . (٢)

والصورة البيانية التشبيهية تتمثل في :

المشبه : الرؤوس.

المشبه به : أسنمة البخت المائلة .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الشكل والميلان والارتفاع والنبو .

الغرض من التشبيه : التقريب والبيان – بيان حال المشبه ومقداره والتحذير منه وتقييح شأنه .

( وفي الحديث تكرار لكلمات مشتقة من الميل ( مميلات ، مائلات ، مائلة ) وهذا يلقي ظللاً على تصرف هؤلاء النسوة بأنه ميل عن الحق وانصراف عن جادة الفطرة ) . (٣)

وفي قوله ﷺ : ( لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها .. ) كناية عن عدم دخولهن الجنة ولا حتى الاقتراب من نعيمها وروحها وريحانها .

٤-عن أبي هريرة : أن النبي ﷺ قال : ( لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ) . (٤)

وهذه النبوءة تتبع النبوءات السابقة في الأخبار عن صفات بعض الفئات .

هذه النبوءة عن قتال يقع بين المسلمين وقوم جاءت النبوءة توضيحاً لبعض صفاتهم وأبرزها والتي يمكن بتبينها ومعرفة حالها توقع المصاب بالساعة لن تقوم إلا بعد وقوع أحداث عدة منها هذا الحدث ، وقيام الساعة تعبير بياني حمل نفائس المعاني وجلائل الأساليب ، والقيام يكون حال الأهبة والاستعداد لحدث ما وهذا ما يقع من يوم القيامة حين يقوم الناس لرب العالمين .

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - ج ١٧ - ص ١٨٨-١٨٩ .

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ص ١٨٠ .

(٣) المصدر السابق - ص ١٨٠ .

(٤) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء - ج ١٨ - ص ٢٤٤ .

والقيام من الساعة استعارة مكنية وهي توقيت زمني لحدث ما متى شاءت الإرادة الإلهية وقوعه أذنت به ، وفي بيان صفات معينة لأولئك القوم الذين سوف تقوم معهم مقاتلة ومواجهة تقريب للعهد الأخروي الذي بدأت تجر أذياله العلامات المتعددة منذ بدء البعثة المحمدية شيئاً فشيئاً حتى يبدو للعيان جلياً قد ألقى الزمان عليه إرهاباته الصغرى ثم الكبرى في توقيت قضته المشيئة الربانية لا قطاع الحياة الدنيا .  
وقوله ( كأن وجوههم المجان المطرقة ) ( تشبيه وجوه الترك في عرضها وتور وجناتها بالترسة المطرقة .

والمجان : جمع مجن بكسر الميم وهو الترس . والمطرقة : هي التي ألبيت العقب وأطرقت به طاقة فوق طاقة .<sup>(١)</sup> . ووجه التشبيه : أن وجوههم غالباً عراض الأعالي محددة الأذقان صلبة . وقوله ( نعالهم الشعر ) أي يصنعون منه نعالاً كما يصنعون منه ثياباً ) .<sup>(٢)</sup>

(وقد شبه الوجه بالترس لبسط الوجه واستدارته وشبه بالمطرقة من التروس ، أي مغطاة بجلدة لها معينة وذلك لغلظ هذه الوجوه وكثرة لحمها ونتوء وجناتها وبعدها عن التناسق الشكلي والذي يدعو إلى تحسس هذه الوجوه هو الشعور بأنها نافرة القسامات ، وأنها تشبه الجلود في خشونة الملمس ) .

المجان : بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس . والمطرقة : بضم الميم وفتح الراء المخففة المجلدة طبقاً فوق طبق . وقيل : هي التي ألبيت طراًقاً أي : جلدأ يغشاها . ومعناه : تشبيه وجوه الترك في عرضها ونتوء وجناتها بالترس المطرقة . وقال القاري : شبه وجوههم بالترس لتبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها) .<sup>(٣)</sup>

وقوله ﷺ : ( نعالهم الشعر ) ( أي تكون من الشعر وهو الظاهر لما في بلادهم من ثلج عظيم وقيل من جلود مشعرة غير مدبوغة ) .<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ت. خليل مأمون شيخا - ج ١٨ - ص ٢٤٤ .

(٢) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم - للقرطبي - ج ٧ - ص ٢٤٧ .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد العظيم آبادي - ج ٧ - ص ٣٧٠ .

(٤) المصدر السابق - ج ٧ - ص ٣٧٠ .

## المبحث الخامس : حال الإمارة في آخر الزمان

### هـ- حال الإمارة في آخر الزمان

- ١- عن عرفجة قال : قال رسول الله ﷺ : ( أنه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة ، وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان ) .<sup>(١)</sup>
- ٢- عن عرفجة قال : قال رسول الله ﷺ : ( من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه ) .<sup>(٢)</sup>
- ٣- قال ﷺ : ( ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ولكن من رضي وتابع ، قالوا أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلوا ) .<sup>(٣)</sup>

هذه الأحاديث تأتي في الحث على الحفاظ على جماعة المسلمين والحرص على ذلك ، و تتحدث عن جانب مما يقع في آخر الزمان قرب يوم القيامة وبينها خيط من الائتلاف في المعنى أو القرب منه ، إذ إنها تنبئ عن بعض أحوال الإمارة في نهاية العهد النبوي وفيها جميعاً الحث على وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ما لم يأمر بمعصية والوقوف صفاً واحداً لمواجهة من يريد تفكيك الجمع الإسلامي ويباعد بين صفوفه ، والقول النبوي صريح في الأمر بالمواجهة والحرص على جماعة المسلمين ، والعصا دليل على شدة الالتحام والوثام الكائن بين الجماعة الإسلامية في أدائها وشعوبها وعبر المصطفى ﷺ عما سيعرض للأمة من نوائب بالاسلوب الكنائي حتى يفسح للتعبير مجالاً يستوعب فيه متغيرات الزمن وتقلبات الدهر وتعاقب العصور .

( وهنات ) اكتفت فيها النبوءة بالعام بل بالتلميح المتضمن حوادث شتى وتغيرات جمة تواجه الأمة الإسلامية ، وتتسرب خلال ديارها ، وتسري داخل شؤون أهلها ، ولم تأت العبارة بالتصريح لتفيد الشمول لكل ما علمناه وما نراه وما سيكون إلى نهاية الأجل ، فلكل عصر مرت به الأمة نوائب شتى تهافتت بطرق مختلفة ، ولن تزال .

( هنات وهنات ) كناية عن الفتن .

( وهي جميع ) كناية عن الجمع والتآلف وفي هذا القول مجاز عقلي علاقته المفعولية .

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع - ج ١٢ - ص ٤٤٤ .

(٢) المصدر السابق - ج ١٢ - ص ٤٤٤ .

(٣) المصدر السابق - باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك تكالهم ما صلوا ونحو ذلك - ج ١٢ - ص ٤٤٥ .

وقوله ( أمركم جميع ) يوحي بتوحد النظرة الإسلامية للأمور الحياتية الخاصة والعامة واجتماع الأمر والأخذ بزماته دليل العصمة بالكتاب والسنة .

( يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم ) كناية عن الاجتماع .

وقوله ( يشق عصاكم ) ( ويفرق جماعتكم ) ( يفرق أمر هذه الأمة ) هذه التعبيرات يجمعها رابط التحذير والتنبيه ، وجاءت بالصيغة المضارعة لتعيش في قلب الطرف الطارئ والأمر المستجد وتوافق خطط التدمير والمؤمرات التي تحيك الأعداء نسيجها في كل آن .

وقوله ( من أتاكم ) أي قرب منكم أذاه وبان لكم سوء فعله أما من ( أراد ) فربما تظهر في تصرفاته وتبدو في كلماته أمارات نيته السوء .

( تعبر العصا عن وحدة الصف وتماسك الأمة بتماسك نسيجها فصار شق العصا يمثل الخلل الذي يحدثه من خرج على الجماعة ، وراح يزرع الفتن والبدع هنا وهناك ونلاحظ في عبارة ( أو يفرق جماعتكم ) امتداداً لغوياً حرفياً يأتي إفصاحاً للمعنى المكنى عنه ، وكأنما لجأ البيان النبوي إليها استبعاداً للأسلوب الملغز والإبهام . والتصوير في النص يدل على غاية الملاءمة لفكرة تماسك الأمة بعد تمسكها بالمنهج الرباني القويم والسنة الغراء فهو لم يقل يكسر عصاكم مما يدل على رفض الطاعة والقطيعة فحسب بل الخطر يكمن في تفرقة الصفوف كما تتفرق جزئيات العصا ، فالتلف طولاني فيها مما يدل على أن المؤمنين في تراصهم مثل عيدان هذه العصا المتراسة إلى درجة أنها تبدو للعين كتلة واحدة ) .<sup>(١)</sup>

حملت هذه النبوءات ما ستؤول إليه أحوال الإمارة في آخر الزمان وما يعقب ذلك ، إذ أخبرت عن حالها في فترة من الزمن القريب من الأجل الدنيوي ، وفي الوقت الذي أنذرت بسوء ما ستؤول إليه الإمارة بشرت ببقاء الخير وهذا ما توحى به عبارة : ( فتعرفون وتتكرون ) وإذا ساء حال الأمر وبقيت في الرعية بقية تعرف المعروف وتدعوا إليه وتتكرون المنكر وتحذر منه فما زال في الأمر فسحة للخيرية .

وقد جاءت الأفعال ( تعرفون وتتكرون ) بالمخاطبة للمستمعين من الصحابة مما يدل على أن منهم من يشهد فترة إمارة أولئك الأمراء الذين استهانوا بأمور من الدين وزين لهم الشيطان أعمالهم فأضلهم عن السبيل . وهذا لا يشمل خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة وإنما ما وقع في حال الإمارة بعدهم وما غرقت فيه قصورها من الترف والزخرف الدنيوي الذي سقط بها في مهلكة لا ترى فيها إلا قاعاً صفصفاً ما تزال تتقلب فيه الأمة خادعة نفسها بأباطيل وأصاليب ترمي عليها بشرر كالقصر ، يحرق فيها الفطرة الإيمانية شيئاً فشيئاً حتى تصبح ( صعيداً زلقاً ) أو رماداً تذروه الرياح ، لتبقى حبال الشيطان ممدودة تتعلق بها ضعاف النفوس وتمد نحوها الأعناق كمن يصعد في السماء .

(١) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

٤- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ( إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم  
المرضة وبئست الفاطمة ) .<sup>(١)</sup>

الأحاديث السابقة كانت حثاً على لزوم الجماعة والسمع والطاعة في غير معصية الله ، وجاءت هذه  
النبوءة لتكشف عن جانب خفي لا تتجلى حقيقته إلا لمن ارتضى الله وهو جانب الحرص على الإمارة .

قوله ( ستحرصون ) ( الحرص : الجشع وهو أشد الحرص .

قوله ( على الإمارة ) يدخل فيها الإمارة العظمى وهي الخلافة والصغرى وهي الولاية على البلدة .

( ندامة ) يعني لمن لم يعمل فيها بما ينبغي .

( نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ) أي نعم أولها ويئس آخرها ، وذلك لأن معها المال والجاه واللذات  
الحسية والوهمية أولاً ، لكن آخرها القتل والعزل ومطالبات التبعات في الآخرة . وقيل ببئست الفاطمة  
أي بعد الموت لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك فيصير كالذي يفطم قبل ان يستغني فيكون ذلك هلاكه .  
وقال الطيبي إنما لم تلحق التاء بنعم لأن المرضعة مستعارة للإمارة وتأنيثها غير حقيقي فترك إلحاق  
التاء بها وألحقت بتس نظراً إلى كون الإمارة حينئذ داهية دهياء وإنما أتى بالتاء في الفاطمة والمرضعة  
إشارة إلى تصوير تينك الحالتين المتجددتين في الإرضاع والقطام ) .<sup>(٢)</sup>

( وهذا النص يشتمل على استعارة اسمية غدت تشخيصاً للمجردات أضفت عليها الاستعارة طابعاً حسيماً  
ثم ملامح بشرية ومشاعر ، وفي النص استعارتان اسميتان في حال تضاد يختم به البناء الكلي للنص :  
المرضعة ، والفاطمة ، نعم ، بئس ، وشبه الولاية بالمرضعة وانقطاعها بموت أو عزل بالفاطمة أي  
نعمت المرضعة الولاية فإنها تدر عليك المنافع واللذات العاجلة وبئست الفاطمة المنية ، فإنها تقطع عنك  
تلك اللذات والمنافع ، وتبقى عليك الحسرة والتبعة فلا ينبغي لعاقل أن يلم بلذة تتبعها حسرات ) .<sup>(٣)</sup>

( والحرص على ملذة الإمارة وسدة الحكم يشخص ليكون مرضعة ، أو أن الدنيا تغدو مرضعة ،  
ونتصور هنا اللجوء الكبير من الحريص على الدنيا إلى الرضاعة فكأنها ، أمه يرضع منها الحليب  
والخلق ، فالدنيا ستنتب في أعضائه ويتربى عليها ، والإمارة غذاء بدني في هذا التصوير ، فضلاً عن  
إحياء الرضاعة الخلقية التي هي حركة في الذهن وهي رضاعة خلقية عند الكبير ، فالعاقبة ليست كلية  
مطلقة على الخلق بل هي على أداء حق هذه المسؤولية ، فكم من أمير حق أن يسمى أمير المؤمنين  
فيكون الحرص منه جهاداً لرفع شأن الإسلام . وفي هذا النص تمكن التصوير البالغ بوساطة تضاد  
البداية والنهاية (المرضعة والفاطمة) لأن النهاية وخيمة لكل من تعلق قلبه بالدنيا . واستخدمت

<sup>(١)</sup> فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني - ج ١٣ ص ١٥٤ - باب ما يكره من الحرص على الإمارة

<sup>(٢)</sup> عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني - ج ٢٤ - ص ٢٢٧ .

<sup>(٣)</sup> الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ص ٢١٠ - ٢١١ .

الاستعارات مهمة التفسير إذ سبقنا بالمعنى التقريري ، بل إن الاستعارة جاءت ركناً منبها وفجاءة صادمة يعلو معها التوتر النفسي بعد الهدوء (١).

قوله ﷺ : ( وستكون ندامة يوم القيامة ) كناية عن الخسران . والتعبير عن الإمارة بالمرضعة والفاطمة يفتح آفاق الإحياءات البيانية والبلاغية الإبلاغية ذلك أن صورة المرضع أنها تهب ما به قيام حياة الرضيع أو ما هو أساس ذلك والإمارة عطاءاتها مهما امتدت فهي تنحصر بين حالين أحدهما يغلب على الآخر أو يكثر وقوعه ، والحالة الأولى أنها لا تخرج عن زخرف الحياة الدنيا وبهجتها بكل ما تنطوي عليه هاتين الكلمتين من معان من مال وجاه وديار ..... إلخ وهذا الغالب الأعم .  
والحالة الثانية : تكون سبيلاً لإصلاح أحوال المسلمين وجمع كلمتهم ورفع شأنهم إلا أن الإحياء في النبوة السابقة يستبعد هذه الحالة إن لم نقل إنه ينفىها .

وقوله ﷺ ( بنست الفاطمة ) البؤس هنا قد يشمل حالة الحياة الدنيا وقد يشمل الحياة الأخرى ، وذلك أن الإمارة يمكن أن يفقدها صاحبها في حياته بعزل أو مرض أو عارض ما فتدب في قلبه الحسرات وتعبث به الوسواس وتتقلب حاله من النعيم إلى الجحيم وكأن الدنيا لديه قد فنيت وأن الحياة منها قد انقطعت ﴿ فأصبح يتلب كهيء ﴾ [الكهف- ٤٢] ، ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ [الأنعام- ١٢٥] ، ﴿ كالذي اسهوت ﴾ الشياطين في الأرض حيران ﴾ [الأنعام- ٧١] .  
أما إذا استمر في إمارته حتى وفاته فبؤس الإمارة لن تموت بل ستلحقه في آخرته لأنها عمل من أعماله التي تتبعه حتى تنجيه أو ترديه . ومناسبة لعطاء الإمارة المادي والمعنوي جاءت تسميتها بالمرضعة والفاطمة ، والفظام هنا إذا وقع في الدنيا ربما تلحقه مكارم التوبة وبرد الكفارة إلا أن ما ترجحه النبوة وذلك لورود ( بنس ) أن الخسران المادي والمعنوي هو ما تخلفه تلك المرضعة التي تقنعت بصفة نبيلة وهي الرضاع الذي يقيم أود الحياة للإنسان في بداية حياته ثم تمسك عن ذلك الرضاع لسبب ما .  
كما أن التعبير بالرضاع والفظام يدل على شدة التمسك والالتصاق والحرص الشديد على الإمارة ، ويدعم هذا ما سبق من قوله ﷺ : ( إنكم ستحرصون ) جملة مؤكدة بأن الجملة الاسمية .

وقد جاء التوجيه النبوي أمراً فاصلاً في شأن الإمارة والحرص عليها

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لي رسول الله ﷺ : ( يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة أكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ) . (٢)

وقد يكون الفظام بمعنى جره إلى الشرور ، والمباعدة بينه وبين الخير ، إذ تأخذه العزة بالإثم فلا يرضى الحقوق ولا يؤدي الواجبات ، وهذا يقابله أن الرضاعة قد يكون نعيمها ظاهراً في إعطائه من زينة الحياة

(١) المصدر السابق - ص ٢١١ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٢ - ص ٤١١



الدنيا ، وهو لا يعلم أن هذا الرضاع هو السم الخافي الذي يسري في جسده حتى إذا امتلأ بالسموم انفطم مضطراً أو مختاراً أو مجبوراً فال إلى شر مصير .

فنعيم الرضاع هو الفرح بنيلها والبلوغ بها إلى ما يريد من متاع الحياة الدنيا ، وفطامها في رده عن الخير ومنعه من النافع ، وصدّه عن الصراط المستقيم . وإطلاق المرضعة والفاطمة على الإمارة جاء على سبيل الاستعارة وذلك بتشبيه ما تعطيه الإمارة للأمير بما يقدم للرضيع من أمه وما تقطعه عنه الإمارة بعد زوالها بانفطام الطفل عن الرضاع من أمه ثم أطلق لفظ المشبه به على المشبه بجامع العطاء والزوال في كل ذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

كما أن ورود كلمتي الرضاع والفطام واللتين تصحب حال الطفل في أولى مراحل نشأته يدل على ضعف حال ذلك الأمر ، ومحاولته التقوى بذلك المنصب وتلك الرئاسة عسى أن يقيم أود حياته النفسية والجسدية التي أنهكها الفراغ الديني ، وعبث بها التغطرس الدنيوي .

والبيان النبوي ( عند التحقيق لا يشبه الإمارة بالمرضع والفاطم هكذا على الإطلاق ، وإنما يشبه أول عهدها وإقبال النفس عليها بالمرضع الرؤوم التي هي نعم المرضع ، وفيها بالنسبة للطفل من الإغواء والتعلق ما لا يقاوم ، نرى الطفل يقبل على الثدي إقبالاً كاملاً بكل الحب ، وكل الحرص ، وكل التعلق ، وهكذا الإمارة وهكذا إغواؤها للحريص ، وهكذا سيطرتها على عقله وبصيرته ، فلا يتدبر ما يجب أن يتدبره من أمرها ، ومدى قدرته على الاضطلاع بمهامها ، وإنما يقبل عليها بالحرص كله ، فالمرضع في الحقيقة مستعار للإمارة في حال إقبالها ، والفاطم مستعار لها في حال إدبارها ، والمنزوع من الإمارة يتوله عليها ، ويشدّ علوقه بها ، كما يتعلق الطفل بثدي أمه ، لا ترى وراء ذلك التعلق شيئاً من التفكير والتروي والتبرير الذي يتبين حقيقة الدوافع ، ويراجعها ويقومها ، وإنما هي اندفاعات استهوائية لا تخضع لشيء من ذلك ، وقد ذكر البيان الكريم أن الفاطم فاطم لا تحسن الفطام ، لأنه قال : ( بنّست الفاطم ) ، فهي لم ترض الطفل رياضة ذكية تهيئه لهذا الحرمان ، وتشغله عن الإحساس به ، وإنما اقتنصته اقتنصاً ، وأبعدته جفاء ، فانطلقت رغبته كلها نحو الثدي المحروم منه ، وزاده الحرمان بهذه الصورة ولوعاً به ، وواضح أن الاستعارتين تصفان شيئاً واحداً هو الخلافة في حالين مختلفتين ، أعني في حال الابتداء ، وحال الانتهاء ، ولو اقتصر الحديث على واحدة لكان بياناً لها فحسب ، فلو قال : بنّست المرضع وسكت لأفاد بيان حال الابتداء ، ولم يصله . بحال الانتهاء ، ولذلك ترى بين هاتين الاستعارتين رابطة تخرجهما عن الاستعارات المتعددة في مثل قوله : ( فسقت ورداً وعضت على

العناب بالبرد ) أي سقت خدأ كالورد وعضت على أصابع كالعناب بأسنان كالبرد ، فالاستعارات هنا مستقلة تمام الاستقلال ..... (١)

٥- عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : ( يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس ) قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله ! إن أدركت ذلك ؟ قال : ( تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فاسمع وأطع ) (٢)

ويلتقي هذا الحديث مع الأحاديث السابقة في الكشف عن حال أئمة في آخر الزمان ووجوب السمع والطاعة للأمير في غير معصية الله .

قال تعالى { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } [ النساء - ٥٩ ] والأمة الإسلامية أمة تكافل واجتماع ووحدة كلمة وصف قال ﷺ ( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ) . (٣) وقال ﷺ : ( ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ) . (٤)

حتى هذه الأنفاس التي تجري فينا أمانة استرعانى الله عليها . وإذا كانت الإمامة قائمة من الإنسان على نفسه فلا بد لهذا الإنسان من إمام تجتمع حوله كلمة المسلمين ، وتقر برعايته حال الأمة ، ولا بد من السمع والطاعة في غير معصية للخالق ، حفاظاً على كيان الأمة وحرصاً على تماسك الجماعة .

وفي هذه النبوءة خبر أئمة تمسك زمام الأمور في الأمة الإسلامية لكنها تقودها إلى الهاوية وتسير بها إلى الهلاك ، لأنها ابتعدت عن الطريق السوي وتقطعت بها السبل في الضلال فجهلت القرآن والسنة مما أودى بها المهالك وأوردها المتاهات وخطا بها نحو سبل الغي حتى وقعت في شباك الحيرة وتسلسلت قلوبها بمكائد الشيطان فغدت كالحجارة بل أشد قسوة لا تعرف للحق سبيلاً ولا تجد الهداية إليها منفذاً أصمت آذانها وعميت بصائرها وبقيت جسداً ماتت فيه بذور الهداية والخيرية ونبتت مكانها أشجار الزقوم كلما نمت وربت تحرك غلوا وفسقا واشتط غلظة وازداد غيا فهم في غمرة ساهون .

قوله ( لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي ) كناية عن الخروج عن الدين والمروق من دائرته وكناية أيضاً عن أنهم من هذه الأمة وكل ما يربطهم بها هو قناع الخداع وإلا فهم منسلخون لا صلة بينهم وبين الإسلام .

(١) التصوير البياني - دراسة تحليلية لمسائل البيان - محمد محمد أبو موسى ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وعدم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة - ج ١٢ - ص ٤٤١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٦ - ص ٣٥٦ .

(٤) المصدر السابق - ج ١٢ - ص ٤١٧ .

وقوله ( قلوبهم قلوب الشياطين ) كناية عن الشدة والغفلة والانحراف الذي بُعد بهم عن الحق .  
وقوله ( في جثمان إنس ) كناية عن الخداع فدخائلهم تشتعل بالسوء خلافاً لمظاهرهم الموحية بالإنسانية والاعتدال .

ويتمثل التصوير البياني التشبيهي في قوله ﷺ : ( قلوبهم قلوب الشياطين ) في :

المشبه : قلوب أولئك الأئمة المنحرفين عن الدين الإسلامي .

المشبه به : قلوب الشياطين .

وجه الشبه : البعد عن الحق وعن الصراط المستقيم والحق والحسد .

الغرض من التشبيه : التقرير والكشف والبيان .

وقوله ﷺ : ( قلوبهم قلوب الشياطين ) جاءت بالصيغة الاسمية الثبوتية خالية من أدوات التقريب

التشبيهية لتأكيد كنهها المتناهي في الضلال والغواية وابتعادها عن الصراط المستقيم .

وقوله ﷺ : ( لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي ) يلتقي مع قوله ﷺ في حديث سابق حينما تحدث عن

الخير الذي فيه دخن وفسر الدخن بقوله : ( قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي ) وفي هذا

الحديث جاء التصريح بكونهم أئمة يكون لهم أتباع ومناصرين ومؤيدين ، إلا أن الرواية الأولى كانت

أكثر تفصيلاً وإيضاحاً وتصويراً وتقريباً من الرواية الثانية التي يتضح فيها كسابقتها تعاقب الخير والشر

وفيهما ورد الشر والخير من غير ذكر الدخن وجاء فيها تفسير الشر بأنهم أئمة ضلال والرواية السابقة

أخبرت أنهم دعاة على أبواب جهنم وكلا الروايتين تلتقيان في إعطاء النقاط الأساس التي يتبين بها

المؤمن أمور الخير فيجتهد في اتباعه ويتبين بها أمور الشر فيجتهد في اجتنابه .

## المبحث السادس : اقتراب العهد الأخروي ونزول أولى آياته

### ٦- اقتراب العهد الأخروي ونزول أولى آياته

١- عن عبد الله وأبي موسى قالا : قال رسول الله ﷺ : ( إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج ، والهرج القتل ) .<sup>(١)</sup>

هذا التصوير والتجسيد للساعة وكيف تنزل الأيام فيها منزلة ما يلقي بين اليدين وهذا الحال يوحى باشتداد القبضة على أيام الدنيا الفانية وكيف باتت الساعة فاتحة ذراعيها لتلقف ما تبقى منها حتى تلتقي قبضة تلك اليدين على آخر يوم من أيام الدنيا ، وإذا بلغ الحال هذا فقد آن للعلم أن ترفع صحفه وتفرغ كتبه وتنزع من الدنيا معالمه ليحل الجهل من تلك الدنيا محلاً ويتخذ فيها سبلاً فليس في زمن غلب القتل على أهله مكان للعلم ولا لأصحابه فالقيامة ( تقوم على شرار الناس ) والشر لا يداخل الخير وأهل العلم بالله ولا يلج طرقتهم لذلك ناسب أن يرفع العلم مقابل نزول الجهل .

ولا أرى أن نزول الجهل فيه تشبيهه بنزول المطر إن لم يقترب شيئاً ما من نزول إنذارات السماء بصواعقها وشهبها لتصيب الغفلة التي تقبع في كهوف الغواية البشرية ولتنذر ﴿ من كان حياً وتخطى القول على الكافرين ﴾ [ يس - ٧٠ ] . وللذات العلية في هذا الشأن اقتدارات خفية لا يدركها ضعف البصيرة البشرية ، فضلاً عن أن تخوض في كنهها وغايتها إلا بالقدر الذي أوضحت آيات الذكر الحكيم وسنة المصطفى ﷺ ، من أن الحال في آخر الزمن تقف فيه أيامه على شفا جرف هار من الآخرة لتتساقط فيه واحداً تلو الآخر بأحداث تنقل العهد إلى غير المعهود والحال إلى غير المحل .

وهذا تكريم للعلم وللعلماء فإذا كان العلم كرامة آدم في السماء حين علمه الله أسماء ما خلق دون الملائكة الكرام قال تعالى ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ [ البقرة - ٣١ ] ، وكانت أولى آيات القرآن دعوة إلى القراءة ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ خلق الإنسان من علق ﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴾ الذي علم بالقلم ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [ العلق - ١ - ٥ ] .

<sup>(١)</sup> فتح الباري بشرح صحيح البخاري - باب ظهور الفتن - ج ١٣ - ص ٢٢ .

فقد ناسب هذا التكريم ألا يبقى العلماء مع جهلة آخر الزمان الذي تنزع بركته ويغلب فيه أشراؤه على أخياره ، كما ناسب ما ذكر في حديث آخر من أن عافية هذه الأمة قد جعلت في أولها وقد انقضى الأول من عهد هذه الأمة وانقضت معه العافية والزمن الآخر زمن البلاء والابتلاء فما تزال الدنيا بعد وفاة الرسول ﷺ تتقلب في مهامه الفتن حتى يفنيها جذب الحياة من الإيمان والعلم . وفي نهاية الأجل الدنيوي وبلوغ الأمر غايته فقد أذنت المشيئة الربانية أن تحفظ للعلم جلاله وللعلماء قدرهم من أن تلوكهم نوائب الدهر الآخر فكان قبضهم قبل تلك الشرور التي تقوم عليها الساعة في حين غفلة من الأمر .

( في قوله ( إن بين يدي الساعة ) صورة بيانية تمثلت في تشبيه الساعة بالإنسان ثم حذفه والإتيان بشيء من لوازمه وهو اليدين هنا على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية بجامع قرب اليدين من الإنسان وقرب الفتن من الساعة .

وقوله ( ينزل فيها الجهل ) من نزول الجهل وتمكنه في الناس برفع العلم ورفع العلم بموت العلماء ( <sup>(١)</sup> ) ( والعلم يرتفع بموت العلماء فكلما مات عالم ينقص العلم بالنسبة إلى فقد حامله ، وينشأ عن ذلك الجهل بما كان ذلك العالم ينفرد به عن بقية العلماء ) . ( <sup>(٢)</sup> )

( ( يرفع العلم ) فيه إسناد مجازي والمراد رفعه بموت حملته وقبض العلماء وليس المراد محوه من صدور الحفاظ وقلوب العلماء والدليل عليه قوله ﷺ ( إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهلاً فيسألوا فيفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . قال القاضي عياض وقد وجد ذلك في زماننا كما أخبر به ﷺ ) ) . ( <sup>(٣)</sup> )

( أي فكرة صائبة مجربة . يسجلها هذا القول الحكيم . العلم لا ينتزع انتزاعاً بل يفنى بموت العلماء ، ومتى ذهبوا تصدر الجاهل فأفتى فضل وأضل . دع الزمن يمر واقرأ هذا القول على جيل بعد جيل ، فإنك واجد من يشد على يدك بالتأييد ، لأن الفكرة صائبة يعرفها السامع الذكي فيمن حوله من الناس ، وقد لمست مكن الداء لتهدى إلى الطريق القويم متى تقال ) . ( <sup>(٤)</sup> )

ما يصدر منها الفعل ، فكانت الإضاءة المجازية هي آلة البلاغة النبوية في إيصال هذه النبوءة وتقريبها

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني - ج ٢٤ - ص ١٨٣

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ج ١٣ - ص ٢٣ .

(٣) عمدة القارئ - للعيني - ج ٢ - ص ٨٣ .

(٤) البيان النبوي - محمد رجب بيومي - ص ٢١٩ .

وفي قوله ﷺ : ( ينزل فيها الجهل . يرفع فيه العلم . يكثر فيها الهرج ) . معان لا تصدر من ذاتها الأفعال وكان لهذا الإسناد أثره في جمالية البناء اللغوي الذي حمل النبوءة كما كان له الأثر البالغ في زيادة العمق البياني والبعد الإيحائي عما لو كانت الأفعال السابقة قد أسندت إلى فاعلها الحقيقي . ويأتي متمماً للحديث السابق ما ورد :-

٢- عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ( إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنى ، ويشرب الخمر ، ويذهب الرجل ، ويتبقى النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد ) .<sup>(١)</sup>

من المنذرات من اليوم الآخر ما أخبر به المصطفى ﷺ في هذه النبوءة من ظهور عدة أمور وتجليها عياناً قولاً وعملاً متمثلة في : رفع العلم وظهور الجهل ، وفشو الزنا وشرب الخمر وذهاب الرجال وكثرة النساء .

لقد تغير الميزان النفسي ولم يعد للتقوى فيه مكان بل لقد رجحت كفة الفساد ولم يعد لغيرها في مثل ذلك الزمن قيمة ، توارت كل المكارم والمحامد وبدأ في الأفق أفولها بعد أن أنهك المنكر جسد الأمة وأسلمها إلى غارات الوسوسة الشيطانية تتعاودها كلما شعرت أن فيها حياة للخير لتظل كفة الميزان راجحة بذلك الخراب والدمار .

قوله ( ويذهب الرجل ويتبقى النساء ) ( يقل الرجال بكثرة القتل وبقتلهم يكثر النساء والجهل ، وقيل يكثر في آخر الزمان ولادة الإناث ويقل ولادة الذكور وبقلة الرجال يظهر الجهل ويرفع العلم ويكفي كثرتهم في قلة العلم وظهور الجهل والزنا لأن النساء حبايل الشيطان وهن ناقصات عقل ودين . وقوله ( لخمسين امرأة ) يحتمل أن يراد بها حقيقة العدد وأن يراد بها كونها مجازاً عن الكثرة ) .<sup>(٢)</sup>

في قوله ﷺ : ( يرفع العلم ، يظهر الجهل ، ويفشو الزنى ، ويذهب الرجل ، ويتبقى النساء ) ، فالعلم والجهل أمور معنوية يسري عليها الفعل ولا يصدر منها ، ولكن نسبة الفعل إليها أُنِعت في البيان ثمرة طيبة في إحياءاتها وغنى معانيها ، فزمن ذلك حاله وأناس ذلك حالهم ، لا ينتظر أن يكون فيه إلا ما هو أغرب منه ، فقد تدرجت درجات الرقي الإنساني منذ خلق آدم عليه السلام في الخلق والخلق والعلم حتى

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان - ج ١٦ - ص ٤٣٨ .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - للعيني - ج ٢ - ص ٨٤ .

نخرت تلك الأجسام حمأة الطين ، وسيطر عليها تمرد الشياطين ، فاغترب فيها قبل زمانها ما علمه لها العزيز الكريم ، ومارفعا به وكرمها على سائر المخلوقات . فلما انحطت بهم السيئات ناسب أن يرتفع العلم ترفعا عن أولئك السفلة ، وأن يصعد تنزهاً عن مخالطة الجهلة ، لأن الكرامة إذا ارتفعت عن الخلق فقد سيطرت عليهم المهانة ، وغلبت عليهم الشقوة ؛ ففتبدى لهم من كل جانب جهالات بعدهم عن الله ، ومجتمع هذا داؤه حقت عليه كلمة الكبير المتعال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتُهُمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهِمْ يُمْهِمُونَ ﴾ [ النمل ٤ ] ، والعلم في هذا الحديث والحديث السابق له صاحبه الارتفاع المعنوي والحسي ؛ فالمعنوي في قلته بقله العلماء العالمين العاملين والحسي بموت أولئك العلماء وانقطاع العلم من الدنيا شيئاً فشيئاً حتى لا تبقى إلا الحفالة الممتهنة كما في الحديث الآتي .

قال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [ المجادلة- ١١ ] ، وقال تعالى : ﴿ يَحْوَ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [ الرعد- ٣٩ ] ، والعلم إذا ترقى في درجات العلو لم يبق إلا أن تهبط جهالة الغرور التي أهبطت أبويناً من الجنة ، والجهل صاحبه فعل النزول في الحديث الأول وصاحبه فعل الظهور في الحديث الثاني وفي كل مصاحبة تتفتق معاني مجازية بيانية تكشف عن خبء يزيد جلاء المعنى ويداخل في القلب المؤمن لينه إلى ذكر الله ، فتصور هذه الحال تقشعر منه القلوب الوجلة المشفقة من عذاب الله ، فما نزل الجهل إلا بضلاله ، ولا ظهر إلا بفساده ، ولأن الجهل مما يضع الإنسان أسفل سافلين فقد ناسب أن يصحبه تارة فعل النزول لأنه نزول عن مرتبة الكرامة الآدمية بالعلم والإدراك والوعي والتنوير؛ وناسب أن يصحبه تارة أخرى فعل الظهور لأنه يكون له الغلبة والشيوخ في ذلك الزمن ! بل نستطيع الاستئارة بأقوال المصطفى ﷺ ونقول بأن الجهل هو العام المنتشر السائد .

فالثابت عنه ﷺ قوله برفع العلم وذهاب الصالحين و أن الساعة تقوم على شرار الناس ولا تقوم حتى لا تقال في الأرض الله الله !! فأناس هذا حالهم هم جهلة الجهلة . وإذا ارتفع العلم تزلزلت أرض الجهل و تصدعت نأياً بحمله فانتشرت عواقبه وأخذت تدب أوباؤه من الزنى والخمر .... إلخ . ( إنه لا شوق إلى الشيء مع كمال العلم به ولا كمال الجهل به ، بل إذا علم من وجه شوق ذلك الوجه إلى الآخر ؛ ففتعاقب الآلام واللذات ؛ ويكون الشعور بتلك اللذات أتم ؛ وعند هذا فالتعبير بالحقيقة يفيد العلم ، والتعبير بلوازم الشيء الذي هو المجاز لا يفيد العلم بالتمام ، فيحصل دغدغة نفسانية ، فكان المجاز أكد وأطف ) . (١)

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة السيوطي - ص ٣٦١ .

وقوله ﷺ : ( حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد ) . كناية عن كثرتهم وقلة الرجال .

٣- عن مرادس الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ : ( يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يبالهم الله بالة ) قال ابو عبد الله : يقال حفالة ( وحثالة ) .<sup>(١)</sup>

في الحديث السابق رأينا بعض الآيات المنذرة بقرب اليوم الآخر ومنها رفع العلم و هذا الحديث يخبرنا عن ذهاب الصالحين فهم أهل العلم وخاصته .

يسير مركب البقاء البشري في خضم الحياة الدنيا إلى أن تشاء القدرة الإلهية نهايته ؛ فتبدأ تدب فيه عوامل الخراب ، وتمتد إليه أيدي الفناء ، وتتعلق به سلاسل الركود ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . ومن الدلائل التي بينها البيان النبوي في هذا الحديث ذهاب الصالحين ، وانقضاء حياتهم حسب صلاحهم وتفاوتهم في الدرجات ، حتى لا يبقى على وجه الأرض خلق منهم ، فتقتصر الحياة على شردمة عبثت بها الأمنيات وغرها بالله الغرور فلا يؤبه ببقائهم ولا يسير المركب بهم إلا تخبط العشواء إلى أن يصيح بهم النفخ في الصور؛ لهوان أمرهم ، وعدم المبالاة بوجودهم ؛ فهؤلاء لهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، ولهم قلوب لا يفقهون بها فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً .

ولتقريب شدة هوان هؤلاء على الله قرب المصطفى ﷺ حال بقائهم للمخاطبين ليقع الأمر فيهم موقعه من خطر الموقف ، وعظيم البلاء بانقطاع الصالحين وبقاء تلك الحفالة التي تأنف منها الأنفس العزيزة وتنفر منها القلوب المؤمنة ؛ فتلك الفئة هم البقية الباقية من غربلة الحياة للمؤمنين الصالحين فما هم إلا الرجيع مما نتج عن ذلك التمهيص الدنيوي .

( وتشبع الصورة تقبيح المتبقيين بأن المذكور ليس الشعير النافع الجيد بل حفالة الشعير التي لا تنفع وربما دل منظرها على تقزير وتنفير أن عبثت به شفاه الحمار أو يد الإنسان وهكذا اقترن القبح بعدم النفع كما يقتدرن الجمال بالنفع في المفهوم الإسلامي ) .<sup>(٢)</sup>

قوله ( يذهب ) أي يقبض أرواحهم ، وقوله ( لا يبالهم الله ) أي لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً .<sup>(٣)</sup>

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - باب ذهاب الصالحين ، ويقال : الذهاب المطر وقال بعض أهل اللغة : الذهاب الأمطار اللينة ، وهو جمع ذهبة بكسر أوله وسكون ثانيه - ج ١١ - ص ٢٩٣ .

(٢) الصورة الفنية في الحديث - أحمد ياسوف - ص ٣٣٢ .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - للعيني - ج ٢٣ - ص ٤٤ .



قال تعالى ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً \* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا \* أولئك الذين كرموا آيات ربهم ولقائنهم فبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كرموا واتخذوا آياتي ومرسلي هزوا ﴾ [الكهف- ١٠٤-١٠٧] .

والذهاب هنا كناية عن الفناء والانقطاع . والأول فالأول كناية عن أن ذلك الفناء إذا وقع لم ينقطع حتى لا يبقى إلا حفالة البشر الذين لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً .

والصورة البيانية التشبيهية في قوله ( كحفالة الشعير ) جاءت للكشف عن حال تلك البقية التي هبطت بها الغواية عن المرتبة الإنسانية لتسقط في حقل البهيمية التي تفتقد الإدراك العقلي والوعي الإيماني وتتمثل أركانها البيانية في : المشبه : الحفالة المتبقية بعد ذهاب الصالحين .

المشبه به : حفالة الشعير أو التمر .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : انتفاء النفع والفائدة والخير .

الغرض من التشبيه : الكشف والبيان والإيضاح .

وقد توسطت الكاف هنا أركان الصورة البيانية التشبيهية للتقريب ، فتلك حفالة شعير أو تمر محسوسة مرئية ، وتلك حفالة بشر لهم من البشرية الشكل واللون ، أما ما ينطوون عليه فهو قلوب خالية من الإيمان ومن الصلاح ، ونفوس عقت فطرتها وباعتها للشيطان فألت إلى تماثيل متحركة ليس لهم من الإنسانية إلا الاسم وإلا فعالهم كحال عجل قوم موسى ( عجلًا جسداً له خواص ) [ الأعراف - ١٤٨ ] فسدت القلوب ففسدت الأجساد . وينطبق عليهم قوله ﷺ ( ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب ) .<sup>(١)</sup>

وكما أن حفالة التمر والشعير لا يلقي لها الناس بالاً ، ولا يهتمون بها ، وتدوسها الأقدام ، فكذلك حال أولئك الذين ضلت بهم السبل . وتعاقب التصوير البياني في هذا الحديث من الكناية إلى التشبيه حتى يمكننا القول بأن النبوة قد أشرقت في ثوب البيان البلاغي مما زاد حلى الأقسام البيانية ، و أورها تشريفاً بالبلاغة المحمدية والإيحاء الرباني .

وفي رواية عن عمرو بن العاص ، أن رسول الله ﷺ قال " كيف بكم وبزمان " أو " يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة ، تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا ؟ " وشبك

<sup>(١)</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري - باب فضل من استبشراً لدينه - ج ١ - ص ١٥٧ .

بين أصابعه فقالوا : وكيف بنا يا رسول الله ؟ قال : " تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم " . ( ١ )

( يغربل الناس : أي يذهب خيارهم ويبقى أراذلهم كأنه نقي بالغربال . ( تبقى حثالة ) : بمثابة كغرابية ( من الناس ) أي : أراذلهم وهي ما سقط من قشر الشعير والأرز والتمر ، والردئ من كل شيء ( قد مرجت ) أي : اختلطت وفسدت ، ( عهودهم وأماناتهم ) أي : لا يكون أمرهم مستقيماً بل يكون كل واحد في كل لحظة على طبع وعلى عهد ، ينقضون العهود ويخونون الأمانات ، ( واختلفوا فكانوا هكذا ، وشبك بين أصابعه ) أي : يمزج بعضهم ببعض ، وتلبس أمر دينهم فلا يعرف الأمين من الخائن ، ولا البر من الفاجر ) ( ٢ ) .

٤- عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ( يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - لا أدري : أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً ، أو أربعين عاماً - فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه ، حتى تقبضه ) . ( ٣ )

ويعيش هذا الحديث في نفس إحياءات النذر في الأحاديث السابقة ، حيث أخبرت النبوة عن خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقضائه على الدجال ، ثم أخبرت عن ريح باردة تأتي من قبل الشام تقبض الأرواح التي تحمل أقل مقدار من الخير أو الإيمان ، قوله ﷺ : ( فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود ) التصوير البياني جاء في قالب التشبيه

وقوله ﷺ : ( ليس بين اثنين عداوة ) كناية عن عموم الخير ، وطيب الأنفس ، وصفاء القلوب .

وقوله ﷺ : ( فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ) كناية عن فناء المؤمنين على تفاوت ذلك الإيمان فيهم ، وفي ذلك كرامة لأهل الإيمان لأن القيامة لا تقوم إلا على شرار الناس كما جاء في الحديث الصحيح .

( ١ ) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي - ج ٧ - باب الأمر والنهي - ص ٤٢١ .

( ٢ ) المصدر السابق - ص ٤٢٢ .

( ٣ ) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفع في الصور وبعث من في القبور - ج ١٨ - ص ٢٧٨ .

وقوله ﷺ : ( لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه ) كناية عن تتبع المؤمنين في كل مكان لقبضهم . وكبد جبل كناية عن المبالغة في التخفي والتحرز قبضته استعارة مكنية .

والتصوير البياني بأركانه الاستعارية والكنائية قام في هذه النبوءة مقام الأس من البناء إذ نهض بالخبر وكشف عن إضاءاته النبوية والنبؤية في سياق أخرج الغيب في قالب وصفي تقريبي أشرفت به وله بصائر المهتدين . إن الاستعارة تغلغت في الجانب التصويري التقديري ( مثقال ) والتشخيصي ( كبد ) حتى بلغت إحياءاتها البيانية واقعا غيبيا وأحضرت أذهان المستمعين والقارئ ، والتصوير الكنائي كان اللب الذي أهدته البلاغة العربية بصياغة محمدية نبوية إلى الإيمان القلبي والفكر البشري ليظلا في بحث وجد في طلب المعاني الخفية والأغراض المستترة في تلك البيانات البلاغية .

وقوله ( مثقال ذرة من خير أو إيمان ) فيه تصوير بياني قائم على تشبيه الخير أو الإيمان بالجسم ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو ( مثقال ذرة ) وذلك على سبيل الاستعارة المكنية . وقوله ( تقبضه ) . كما أن قوله ( مثقال ذرة من خير أو إيمان ) كناية عن قلة الخيرية ، وقلة الإيمان التي لا يضيعها الخالق العظيم ، قال تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾

[الزلزلة ٧-٨] ، قوله ( حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه ) ، ( كبد جبل ) ،

قال تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيناه خاشعا منضوعا من خشية الله ﴾ [الحشر - ٢١] ، وقال

تعالى ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ﴾ [مريم - ٩٠] ، وقال تعالى ﴿ إنا

سخرنا الجبال معك يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ [ص - ١٨] ، وقال تعالى ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا جبال

أوبي معه والطير ﴾ [سبا - ١٠]

لقد عاش الجبل في كنف الآيات القرآنية السابقة كائناً حياً يخشع للذكر ويسبح للكريم بكرة وأصيلاً ، والبلاغة المحمدية وهي تربية الآية القرآنية وصناعة الهبة الربانية أحييت التعبير البياني في النبوءة السابقة بكلمة ( كبد ) المضافة إلى الجبل لتكني عن غاية المبالغة في الاختفاء والولوج ، فالدخول لم يكن للكهف كفوة وإنما لدخيلة الجبل ذاتها التي لا تكون إلا في نواة تكوينه وأساس بنيانه وقاعدة ارتكازه لكن تلك الريح تلج عليه مورده وتقبض فيه أنفاسه .

في قوله ( كبد جبل ) صورة بيانية حملت المعنى في دخيلة تكوينها لتفرغ المعنى مصوراً في قالب الاستعارة المكنية الأصلية حيث شبه الرسول ﷺ الجبل بالإنسان ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو الكبد وأضافه إلى المشبه زيادة في التبليغ والتقرير .

هـ- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ( إن الله يبعث ريحاً من اليمن ، الين من الحرير ، فلا تدع أحداً في قلبه - قال أبو علقمة : ( مثقال حبة ) - وقال عبد العزيز ( مثقال ذرة ) - من إيمان إلا قبضته ) . (١)

ويلتقي هذا الحديث مع السابق في الخبر عن الريح . والخبر هنا عن ريح تهب من اليمن في آخر الزمان يرسلها الله ليقبض أرواح المؤمنين على تفاوتهم في الإيمان . هذه الريح قدر من أقدار الله تسري إلى نفس كل مؤمن فتضمها بين جنباتها . وهي في صفتها كما عبرت عنها الصورة البيانية ألين من الحرير الذي عهدته البشرية ؛ أشد ما في الوجود ليناً ، وهذه الريح في ملامستها أرواح المؤمنين تفوق الحرير ليناً ولطفاً وحناناً حتى إذا أسلمت الروح لها قيادها تناولتها في ناعم طياتها . وجاء وصف تلك الريح باللين على صيغة أفعل التفضيل مبالغة في وصفها وإيضاحاً لحالها فهي تمر على المؤمنين مرور ملمس الحرير على اليدين نعمة ونعومة . كل ما في الكون مسخر بقدرة الله ويجوز فيه ومنه ما لا يتصور العقل البشري وقوعه . والريح تقبض الأرواح بدلاً من ملك الموت بل هي صورة من صوره المتعددة ، جاءت من جنس التكوينات التي عهدتها العقلية البشرية ، وشهدتها العين والتي لا ترى ذاتها لكن آثارها تلمس فهي تشترك مع ملك الموت في أن كليهما شيء معنوي للعقل البشري لا يعاينه البصر إلا عندما تبلغ الروح الحلقوم . وفي الوقت الذي خلع التعبير البياني فيه على الريح صفة اللين قابله بالقبض لتستقر تلك الروح حال خروجها بين طيات تلك اللينة حتى تسلمها إلى ربها .

وإضفاء صفة اللين في العبارة النبوية يقابله إضافة صفة الطيب إليها في قوله تعالى ﴿ حنى إذا كنس في الفلك وجرين همر بريح طيبة ﴾ [يونس- ٢٢] .

( وقد جاءت في معنى الحديث أحاديث منها : ( لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله ) (٢) ومنها ( لا تقوم على أحد يقول الله الله ) (٣) ومنها : ( لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ) (٤) وهذه كلها وما في معناها

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان - ج ٢ - ص ٣١٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - باب ذهاب الإيمان آخر الزمان - ج ١ - ص ٣٥٥ .

(٣) المصدر السابق - باب ذهاب الإيمان آخر الزمان - ج ١ - ص ٣٥٥ .

(٤) المصدر السابق - باب قرب الساعة - ج ١٨ - ص ٢٨٩ .

على ظاهرها ، وأما الحديث الآخر : ( لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ) <sup>(١)</sup> فليس مخالفاً لهذه الأحاديث ، لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة ، وعند تظاهرها فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراتها ودنوها المتناهي في القرب ) . <sup>(٢)</sup>

( وهذه الريح إنما بعثت بعد نزول عيسى ابن مريم وقتله الدجال ) . <sup>(٣)</sup> حيث ورد في حديث آخر أن الله يرسل ريحاً باردة من قبل الشام ( وقد جاء أنه يجاب عن هذا بوجهين : أحدهما :  
١ - يحتمل أنهما ريحان شامية ويمانية .

٢ - يحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنده ) . <sup>(٤)</sup>

( والملحوظ أن ملمس الحرير يتخذ مساحة كبيرة متجلية في الريح ثم إنه ملمس متنقل تبعاً لحركة الريح ، فالصورة للمسية واسعة ليست كغيرها من صور الحديث النبوي . <sup>(٥)</sup> ثم لنا بعد معرفة مساحتها الهائلة أن نتصورها كأنها يقبض ، والتعبير الدائري ( فلا ... إلا ) يؤكد حتمية فعلها ، وكأنما تتكشف ذرات الهواء لتغدو قماشاً متراصاً لنا في حجم غير معهود في المشاهدات ثم هي ريح ألين من الحرير لتوضح الخلقة الجديدة لهذه الريح التي تأتي من منطقة معينة ثم تتوزع على الأرض وكأن هذا ملمس شخص جوال يمسح الأرض بحثاً عن مبتغاه ) . <sup>(٦)</sup>

و التصوير البياني في قوله ﷺ : ( .... ريحاً من اليمن ألين من الحرير ... ) جاء في قالب التشبيه الذي تمثلت أطرافه في :

المشبه : لين الريح في قبضها لأرواح المؤمنين .

المشبه به : لين الحرير .

وجه الشبه : اللين والنعومة .

الغرض من التشبيه : الكشف عن مقدار تلك الليونة التي تقبض أرواح المؤمنين .

وأفعل التفضيل لا يفيد التشبيه إلا ضمناً مثل : علي أشجع من الأسد وأكرم من الغيث . على أن نفي التفضيل يكون أدخل في الدلالة على التشبيه من التفضيل . <sup>(٨)</sup>

(١) المصدر السابق - باب قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم - ج ١٣ ص ٦٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي . تحقيق : خليل مأمون شيحا - ج ٢ - ص ٣١٣ .

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي - ج ١ - ص ٣٢٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٢ - ص ٣١٣ .

(٥) ذكر د. ياسوف من صور الحديث : للمسية والشمسية والذوقية وصور الروائح الطيبة وصور الروائح القبيحة وصور الأحياء والنبات والجماد والصورة الحقيقية والإرشادية والصورة الحركية والتجسيمية والتشخيصية إضافة إلى الصورة التشبيهية والاستعارية والكنائية .

(٦) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ص ٥٤٦ - ٥٤٧ .

(٨) أساليب البيان والصورة القرآنية دراسة تحليلية لعلم البيان - ص ٥٩ - د. محمد إبراهيم شادي .

وفي قوله ﷺ : ( مثقال حبة أو مثقال ذرة من إيمان ) . تصوير بياني جاء في قالب الاستعارة المكنية وذلك بتشبيه الإيمان بالجسم الذي يكون له ثقل ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو المثقال . وذلك على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية . والعبارة ( مثقال حبة ، مثقال ذرة ) كناية عن القلة من الإيمان التي لا يضيعها الله عز وجل .

وفي قوله ﷺ : ( قبضته ) وبهذه البيانات البيانية من التشبيه والاستعارة المكنية والكناية كانت بلاغة النبوة المحمدية تعيش إحياءاتها الوحيية والواقعية ولا مست بذلك إيمان القلوب خيراً واستيقاناً .

٦- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ( والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد )<sup>(١)</sup>

كما يلتقي هذا الحديث مع حديث سابق في الخبر عن نزول عيسى إلا أنه هنا اختص ذلك ببعض ما يكون في عهده من إبطال الصليب وقتل الخنزير .

تتوارى الدنيا شيئاً فشيئاً وتبدأ تتضام أطرافها وتتقارب جوانبها في تقلب في الأحوال وتبدل في الأوضاع حتى تزلزل الأرض زلزالها . ومما أخبرت به نبوءة هذا الحديث الشريف نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وبعد اشتداد الكرب بظهور المسيح الدجال فينزل عيسى وتنزل معه بركة السماء ورحمة الخالق فيحكم بالعدل ويكسر الصليب ويقتل الخنزير وبذلك يعلن أن الشريعة الباقية هي الإسلام وتفيض الدنيا أموالاً وتزيد خيراً .

وبدأ الحديث بالقسم الشريف من المصطفى ﷺ زيادة في التبليغ وتأكيداً وجزماً على حقيقة ذلك الأمر وتقارب الزمن الذي يقع فيه ذلك الحدث بدليل قوله ( ليوشكن ) . والحكم العدل ناسبه فيض المال وامتلاء الدنيا به .

قوله ( حكماً مقسطاً ) أي عدلاً قال تعالى ﴿ وَأَقْسَطُوا لِنَاسِكُمْ مِثْلَ بَاطِلِ الْإِسْلَامِ ﴾ [الحجرات- ٩] .

( وقتله للخنزير وكسره للصليب ) يدل على أن شيئاً من ذلك لم يسوغه لهم وقيل معناه : يبطل أمره ويكسر حكمه كما يقال : كسر حجته . وقوله ( ويضع الجزية ) أي يسقطها فلا يقبلها من أحد وذلك لكثرة

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبيانا محمد صلى الله عليه وسلم - ج ٢ - ص ٣٦٧ .

الأموال إذ بقيت الأرض أفلاذ كبدها فلا يكون في أخذها منفعة للمسلمين فلا يقبل من أحد إلا الإيمان (١) .

( وهذا يدل على أن ما عليه النصارى الآن باطل لا يرضاه المسيح الذي ينتسبون إليه بل إنه ليحطمه ، يكسر الصليب وهم يعبدونه ، ويقتل الخنزير وهم يبيحونه ، ويضع الجزية عليهم وهم يأبونها ) . (٢)

قوله ﷺ : ( وفيض المال ) . شبه المال بما له صفة الفيضان ( الماء ) بجامع الانتقال في كل ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو الفيضان ثم اشتق منه يفيض على سبيل الاستعارة المكنية التبعية . وهذا البيان البياني الاستعاري ملأ العبارة حيوية وحركة وتفاعلاً مع بقية العناصر البنائية للنبوة ( حكماً مقسطاً ، يكسر الصليب ، يقتل الخنزير ، يضع الجزية ) وملأها تأملاً ذهنياً يقربه الخبر النبوي قراراً مكيناً في النفس المؤمنة .

( ومعناه يكثر وتنزل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم ، وتقيء الأرض أفلاذ كبدها ، وتقل الرغبات لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة ، فإن عيسى عليه السلام علم من أعلام الساعة ) . (٣)

قوله ﷺ : ( حتى لا يقبله أحد ) كناية عن كثرتهم وعن الاستغناء عنه إما غنى بمال أو جاه ، وإما زهداً وترفعاً ورغبة فيما عند الله ، إذ بدت في ذلك الوقت علامات اليوم الآخر وعاش الناس حال وقوعها . ولم يعد المؤمن بحاجة إلى ذلك المال بقدر ما هو بحاجة إلى الإيمان وإصلاح نفسه وتدارك أمره .

٧- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ( سلوني فهابوه أن يسألوه ، فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال : يا رسول الله ! ما الإسلام ؟ قال : ألا تشرك بالله شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ، قال : صدقت - قال : يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله ؟ قال : صدقت . قال : يا رسول الله ما الإحسان ؟ قال : أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك . قال : صدقت ، قال : يا رسول الله متى تقوم الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وسأحدثك عن أشراطها ، إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها ، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها ، وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها ) (٤) . وفي رواية البخاري ( ..... إذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان ) (٥)

(١) المفهوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - للقرطبي - ج ١ - ص ٣٧٠ .

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ص ٢٥٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٢ - ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي - باب الإسلام ما هو وبين خصال - ج ١ - ص ١١٨ .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - ج ١ - ص ١٤٤ - باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والاحسان وعلم الساعد وبين النبي ﷺ .

( إن من علامات الساعة اختلال الموازين ، وانكاس الأمور ، فالأمة تكون بمنزلة الوالدة ، والربة تضحى بمنزلة الأمة وتكون تحت أمرها ) . (١)

( الحفاة العراة الصم البكم ) المراد بهم الجهلة السفلة الرعاع ، كما قال تعالى { صم بكم عمي } أي لما لم ينتفعوا بجوارحهم هذه فكأنهم عدموها ) . (٢)

قوله ( رعاء البهم ) ( البهم : بفتح الباء وإسكان الهاء وهي الصغار من أولاد الغنم والواحدة : بهمة . وأصله كل ما استبهم عن الكلام ومنه البهيمة ) (٣)

قوله ( متى الساعة ) ( مقدار من الزمان غير معين وفي عرف أصل الشرع عبارة عن يوم القيامة ، وفي عرف المعدلين جزء من أربعة وعشرين جزء ، من أوقات الليل والنهار . ( إذا ولدت الأمة ربها ) أي مالكها وسيدها وذكروا في هذا أوجها :

١- معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد فيها بمنزلة ربها لأنه ولد سيدها . وهذه كناية عن كثرة التسري من كثرة الفتوح .

٢- أن الإماء يلدن الملوك فتكون أم الملك من جملة الرعية وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته .

٣- أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان فيكثر تردها في أيدي المشتريين حتى يشتريها ابنها وهو لا يدري .

٤- أن أم الولد لما عتقت بولدها فكأنه سيدها وهذا بطريق المجاز لأنه لما كان سبباً في عتقها بموت أبيه أطلق عليه ذلك .

٥- أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة وأطلق عليه ربها مجازاً لذلك ) .

( تطاول رعاة الإبل ) المعنى أهل البادية أهل الفاقة تنبسط لهم الدنيا وهو إشارة إلى اتساع الإسلام وقيل : ارتفاع الأسافل من العبيد والسفلة الجمالين وغيرهم . وقيل إن علاماتها انقلاب الأحوال وصيرورة الأعزة أدلة ) . (٤)

قال ﷺ : ( لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش .. وتهلك الوعول وتظهر التحوت قالوا : يا رسول الله وما التحوت والوعول ؟ قال : الوعول وجوه الناس وأشرافهم ، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس ليس يعلم بهم ) . (٥)

وقال الشاعر :

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ص ١١٣ .  
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - ق : خليل شحيا - ج ١ - ص ١١٨ - ١١٩ .  
(٣) المصدر السابق - ج ١ ص ١١٧ .  
(٤) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري - للعيني - ج ١ - ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .  
(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - ج ١٣ - ص ١٩ .



وغدا الشريف يحطه شرفه  
سفلا وتطفو فوقه جيفه<sup>(١)</sup>

دهر علا قدر الوضع به  
كالبحر يرسب منه لؤلؤه

( سأخبرك عن أشراتها ) أي علاماتها والأشراط جمع شرط وهو العلامة ، ومنه الشرط الذي يجعله الناس بينهم لأنه علامة على ما يريدون .<sup>(٢)</sup>

( ثم عقب د . محمد أبو موسى ) على اختلاف الآراء حول معاني ( أن تلد الأمة ربتها ) وقال : لا أستسيغ شيئاً منه ومن الغريب أن يكون اتساع الإسلام من علامات الساعة مع أن الحديث الصحيح ( بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً فطوبى للغرباء ) ولم يقل أن يكون اتساع الرزق لأهل البادية من علامات الساعة لأن الله لم يكتب عليهم أن يعيشوا فقراء فإذا تغير حالهم إلى اليسار قامت القيامة والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ورأى أن الوجه في قول القرطبي ( الإخبار عن تبدل الحال ) وقول الطيبي ( أن علاماتها انقلاب الأحوال ) .

ورأى د . محمد أبو موسى أن الرجوع إلى سياق رعاة الإبل في الحديث يعين على إدراك المعنى وليس رعاة الإبل أهل فاقة ومتربة وإنما أهل غلظة وجفوة وجهالة . وأورد حديثاً رواه أحمد بسنده عن أبي مسعود قال : أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال : الإيمان ههنا الإيمان ههنا ، وأن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرن الشيطان في ربعة ومضر ( والفداد : الجافي في الكلام والمتكبر وكثير الصياح والراعي والبقر والحمار ، وهم أهل الفدفة أي الفلاة وتناولهم يعني استعلاءهم وتسلطهم وامتلاكهم أمر الناس ومعنى هذا أنه يسوس الناس أهل الجهل والغلظة والقسوة فيقع بهم البلاء وهذا يلتقي مع قوله ﷺ : ( إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ) .<sup>(٣)</sup>

وإذا كانت عبارة المصطفى ﷺ : ( الحفاة العراة الصم البكم ) تعني الجهلة السفلة الرعاع ، وأنهم يكونون الملوك وتكون لهم السلطة . فإن هذا المعنى يلتقي مع نبوءات أخرى تلتقي مع بعضها حول هذا المعنى منها قوله ﷺ : ( .....وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس ..... )<sup>(٤)</sup> وقوله ﷺ : ( ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ..... )<sup>(٥)</sup> فالنبوءات الثلاث تخبر عن جهل وغلظة وقسوة وخروج علني صريح عن الدين الإسلامي بعدم تطبيق شرعه والتزام تعاليمه وكلها تصب في

(١) البلاغة فنونها وأفنانها - فضل حسن عباس - ص ١١٨ .

(٢) شرح أحاديث من صحيح البخاري - محمد محمد أبو موسى ص ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٣) شرح أحاديث من صحيح البخاري - محمد محمد أبو موسى ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٢ - ص ٤٤١ .

(٥) المصدر السابق - ج ١٢ - ص ٤٤٥ .

قال أن الإمارة أو تولي شؤون المسلمين يكون لمن لا يسحقه بسبب ما جبلت عليه نفسه وما نشأ فيه من جهل وقسوة .

قال ﷺ : ( رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ، الفدادين ، أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم ) .<sup>(١)</sup>

وقال ﷺ : ( غلظ القلوب والجفاء في المشرق ، والإيمان في أهل الحجاز ) .<sup>(٢)</sup>

( الفدادين ، بتشديد الدال ، جمع فداد بدالين أولاهما مشددة . وهو من الفديد ، وهو الصوت الشديد ، فهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : هم المكثرون من الإبل الذين يملك أحدهم المائتين منها إلى الألف . وقوله : إن القسوة في القُدادين عند أصول أذنان الإبل معناه الذين لهم جلبه وصياح عند سوقهم لها ) .<sup>(٣)</sup>

ورد في هذا الحديث نبوءة عن أمارات الساعة شملت ثلاث ظواهر .

الأولى : المرأة تلد ربها .

الثانية : الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض .

الثالثة : رعاة البهم يتناولون في البنيان.

وفي الظاهرة الأولى كناية عن انقلاب الأمور . وتبدل الأحوال وتغير الأوضاع . ( فالأمومة التي هي موضع العطاء والإجلال .... ينقلب حالها وتصير إلى الامتهان والخدمة والإذلال والإهانة ..... )<sup>(٤)</sup>

وفي الظاهرة الثانية كناية عن امتلاك غير المؤهلين مقاليد الأمور . وفي الظاهرة الثالثة كناية عن كثرة الغنى واتساع الرزق .

هذه الظواهر الغيبية الثلاث الواردة في الحديث قد تجتمع في زمن واحد ، وقد تقع تباعاً ، وقد تقع متفرقة كما تشاء القدرة الإلهية ويسير القدر الرباني ، وكلها تلتقي في إحياءات الانقلاب والتغير الطارئ على شؤون الحياة الدنيا وقوايلها البيانية تحيطها بهالة من التأويل البلاغي للكشف والبيان .

(١) المصدر السابق - ج ٢ - ص ٢٢١ .

(٢) المصدر السابق - ج ٢ - ص ٢٢٤ .

(٣) المصدر السابق - ج ٢ - ص ٢٢١ .

(٤) شرح احاديث من صحيح البخاري - محمد محمد ابو موسى . ص ٢٣٤

# الفصل الثاني

## الصورة البيانية في أحاديث الغيب الأخرى

## توطئة

( إن القرآن الكريم قسم العالم إلى قسمين : عالم الغيب وعالم الشهادة ، قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴾ [ الحشر : آية ٢٢ ] . والنصوص القرآنية تقدم الغيب

على الشهادة ، والحكمة في ذلك والله أعلم ، أن الأمور المغيبة عنا لا تنتهي سعة ومدى ، أما الأمور

التي يمكن أن نتوصل إلى شهودها ومعرفتها فهي أمور يسيرة قليلة ) . (١)

( إنه لا مجال للعقل البشري في معرفة الحياة الثانية وإدراكها ، ولا في بدء نشأتها ، وكيفية وجودها ،

وكل ما في الأمر أن العقل البشري يجيز ولا يحيل وجود حياة كهذه الحياة ، أو أرقى منها بالقياس إلى

هذه الحياة ، إذ القدرة الفاعلة المختارة التي كان بها هذا الكون ، ووجدت بها هذه الحياة ، في إمكانها

عقلاً أن تحدث كوناً وحياة أرقى وأفضل من الكون السابق ، والحياة المتقدمة ) . (٢)

(و الإيمان باليوم الآخر ضرورة من ضرورات الحياة السوية القادرة على إفراح المجال للتنافس بين

الناس لإبراز أقصى ما يمكن إبداعه في الدنيا ليحصلوا جزاء عملهم في الآخرة ، ولقد استطاع رسول

الله ﷺ غرس هذه المعاني في قلوب المؤمنين حتى أصبحوا لا يرون أمامهم إلا الدار الآخرة ، ولا

يعملون جاهدين إلا لتحقيق السعادة الأبدية التي تنتظرهم هناك ) (٣)

( والجنة هي الجزاء العظيم ، والثواب الجزيل ، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته ، وهي نعيم كامل لا

يشوبه نقص ، ولا يعكر صفوه كدر . والنار هي الدار التي أعدها الله للكافرين به ، المتمردين على

شرعه ، المكذبين لرسله ، والجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان . واختلف العلماء في موقع

النار الآن ، فقال بعضهم : هي في الأرض السفلى ، وقال آخرون : هي في السماء ، وقال آخرون

بالتوقيف في ذلك وهو الصواب ، لعدم ورود نص صريح صحيح يحدد موقعها ) . (٤)

( والإيمان بالغيب : هو العتبة التي يجتازها الإنسان ، فيجتاز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه

حواسه ، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي

تدركه الحواس . والسمة الأولى للمتقين هي التي تجمع بين الإيمان بالغيب والقيام بالفرائض والواجبات

والإيمان بالرسول كافة وما يدعون إليه ، واليقين بعد ذلك بالآخرة وهذا هو التكامل الذي تمتاز به العقيدة

الإسلامية ) . (٥)

(١) دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - زاهر عواض الألمعي ص ٢٩٢ .

(٢) عقيدة المؤمن - أبي بكر جابر الجزائري - ص ٢١٧ .

(٣) تقنين الدعوة - محمد السيد الوكيل - ص ١٦٣ .

(٤) العقيدة في ضوء الكتاب والسنة - اليوم الآخر - الجنة والنار - عمر سليمان الأشقر - ص ١١٧ ، ١١ ، ١٣ ، ٢١ .

(٥) دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - زاهر بن عواض الألمعي - ص ٢٩٣ .

قال الله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ . [ البقرة ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ] .

إن المراد من اليوم الآخر أمران : الأول : فناء هذه العوالم كلها ، وانتهاء هذه الحياة بكاملها . والثاني : إقبال الحياة الآخرة وابتدائها ، فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية ، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة . فالإيمان باليوم الآخر مقتض للتصديق بإخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا ، وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أحوال ، واختلاف أحوال ، كما هو مقتض كذلك لتصديق الله تعالى في إخباره عن الحياة الآخرة ، وما فيها من نعيم وعذاب ، ومكا يجري فيها من أمور عظام ، كبعث الخلائق ، وحشرهم وحسابهن ، ومجازاتهم على أعمالهم الإرادية الاختيارية التي قاموا بها في هذه الحياة الدنيا .<sup>(١)</sup>

وأحاديث الغيب الأخروي هي أنوار السكينة في النفس المطمئنة بثواب الله وجزائه ، وهي التي تقودها إلى درجات الترقى النفسي ، حتى تبلغ الدرجات العلا في جنات النعيم ، وهي حياة القلب المؤمن تنبض فيه بالتقرير والترغيب والترهيب والإيضاح والكشف البيان لتضيء فيه ما يقيم فيه أود الاعتقاد الجازم بالغيب الأخروي ثواباً وعقاباً ، وإذا تحركت النفوس ، وأيقنت القلوب فقد آن للعقل أن يترك كبره ، وأن يعتزل جهالته ، وأن يتحرر من وثنية البعد عن الله .

والأحاديث التي تضمنت الصورة البيانية الغيبية في الغيب الأخروي تقوم على ست ركائز وهي :

- ١- من أهوال العرض والحساب .
- ٢- الميزان الأخروي .
- ٣- رؤية الله والجسر والشفاعة .
- ٤- الحوض .
- ٥- من أحوال الجنة وأهلها .
- ٦- من أحوال النار وأهلها .

<sup>(١)</sup> عقيدة المؤمن - أبي بكر الجزائري- ص ٢٠٠

## المبحث الأول : من أهوال العرض والحساب

### ١- من أهوال العرض والحساب

١- عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : ( يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ، عفراء ، كقرصة النقي ، ليس فيها علم لأحد ) .<sup>(١)</sup>

( عفراء : بيضاء إلى حمرة ، والنقي : الدقيق الحوري وهو الدرمل وهو الأرض الجيدة ، قال القاضي : كأن النار غيرت بياض وجه الأرض إلى الحمرة وعلم : أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر )<sup>(٢)</sup>

( قال عياض : المراد ليس فيها شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها ) .<sup>(٣)</sup>

( والعفرة : بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفر الأرض وهو وجهها ومنه الحديث : ( كأنني أنظر إلى عفرتي إبطي رسول الله ﷺ ) ومنه حديث الضحية : ( لدم عفراء أحب إلى الله من دم سوداوين )

( كقرصة ) فيه ( فأتي بثلاثة قرصة من شعير ) القَرَصَة : بوزن العنبة جمع قرص وهو الرغيف كحجر وحجرة .

النقي : منه حديث أم زرع ( ودائس ومنق ) هو بفتح النون الذي ينقي الطعام أي يخرج منه قشرة وتبته وفيه ( يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ) يعني : الخبر الحواري ، ومنه الحديث : ( ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه ) .<sup>(٤)</sup>

( وفي الحديث إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة والحكمة في الصفة المذكورة :

١- أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ج ١٧ - ص ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق . ج ١٧ - ص ١٣٢ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج ١١ - ص ٤٤٠ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير ج ٢ - ص ٢٢٥ - ٤٣٧ .

٢- يكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته .

٣- لأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده .

وفي رأي أن تبديل السموات والأرض يقع مرتين إحداهما : تبدل صفاتهما فقط وذلك عند النفخة الأولى فتنتثر الكواكب وتخسف الشمس والقمر وتصير السماء كالمهل وتكشط عن الرؤوس وتسير الجبال وتموج الأرض وتنشق إلى أن تصير الهيئة غير الهيئة ثم بين النفختين تطوى السماء والأرض وتبدل (١) .

قال تعالى ﴿ يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾

[ الأنبياء آية ١٠٤ ] . هذه النبوة كغيرها من أنباء الغيب تحتاج إلى إدراك إيماني قبل الإدراك الذهني لأن الذهن البشري أضعف بكثير من أن تصل إليه أخبار اليوم الآخر أو العالم الغيبي خاصة الغيب الآخروي من دون ذلك الإدراك ، فإذا استقبل الإدراك الإيماني النبوة نبه في العقل البشري إدراك ذلك حسب ما قدرت الرحمة الربانية له أن يتصور ويذهب خياله لرسم ملامح ذلك العالم المرتقب وفي النبوة السابقة أخبر ﷺ عن أرض المحشر وكيف تكون صفاتها لتتقرب المعاني الغيبية لتلك الأرض في ذلك اليوم من الفهم الإنساني وتذهب به إلى تصور ذلك المكان وكيف حاله قال تعالى : ﴿ يوم تبدل

الأرض غير الأرض والسموات ﴾ .

( لقد أضحت الأرض أرضاً بيضاء كالخبزة من النقي الأبيض الخالص مستوية لا معالم فيها ولا جبال ولا أنهار ولا علامات تدل على أنها كانت مسكونة ولا آثار هناك على هذه الأرض يحشر الناس ، وفيها من الوحشة ما فيها وفيها الغربة الحقيقية ) . (٢)

وفي هذه النبوة تنفتح أمام المتأمل فيها آفاق الحقيقة التي سوف تعيها الأبصار والأذان في حين ما والكلمات في العبارة السابقة تنطق بتغير الحال والمحل وتنبيء بالوحشة التي لا يطفئ حرقها أنيس إلا الرضا الرباني .

قال تعالى ﴿ إذا السماء انشقت وأخذت لرها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وخلت وأخذت لرها

وحقت ﴾ [ الإنشقاق - ١-٥ ]

(١) فتح الباري - ج ١١ - ص ٤٤٠-٤٤٢ .

(٢) التصوير الفني في الحديث - محمد الصباغ - ص ١١٥ .

والإضاءات اللفظية التي كشفت النقاب عن حال تلك الأرض بعد تغييرها كانت انطلاقتها من التصوير البياني الذي يلج الإدراك الذهني والقلبي في خطأ تتسارع به خوفاً ورهبة من ذلك الموقف فكانت الكاف كاللزامة بين طرفين تشد بينهما عناصر الائتلاف وتشرح أوجه التقارب فقد وردت الصيغة التشبيهية متمثلة في :

المشبه : أرض المحشر

المشبه به : قرصة النقي

وجه الشبه : الاستواء والتشابه اللوني .

الغرض من التشبيه : التقريب

وقد ابتدأت النبوة الخبر بالحشر الموحى بجلال الحدث وأعقبت ذلك بوصف أرض المحشر حتى تملك من النفوس أزمتها ومن القلوب نياطها وتعقل الأذهان لتدبر ذلك الموقف الم هول والاستعداد له بما ينجي من العذاب الأليم .

( وفي الحديث دليل على عظيم القدرة والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغته ) .<sup>(١)</sup>

وقد جاء التصوير البياني في النبوة السابقة في سياق خبري عن تغير من تغيرات اليوم الآخر وهو حال أرض المحشر . وتلك الحال بجلالها وعظمة منشئها يقف أمامها العقل البشري إذعائاً وإجلالاً وهيبة بل عجزاً عن السير في تخيل تلك الحال حتى إذا وردت حال المشبه به سجد نداء الإيمان القلبي وسجد معه ضعف العقل البشري فالتشبيه هنا يذهب أبعد من تقريب حالة بحالة ، يذهب إلى تقرير حالة المشبه لا مقارنته بالمشبه به وإنما جاء الطرف الثاني لانتزاع الفكر من حمأة الطين وتطهيره ليعرج مع روحانية الإيمان والتصديق وتلهمه سلامة الفطرة حينذاك أن هناك حالاً قد تفتح له إدراك ما سمع وذلك حين يتخيلها أو يلمس واقعها وتلك هي وظيفة المشبه به في هذه النبوة ، فالتشبيه يقع لهيئة وحالة الأرض التي أعدت للحشر وليس للأرض المعهودة لنا الآن . وربما يدعم هذا مجيء كلمة أرض نكرة والتي سرى منها في التعبير أنها غير الأرض الحالية وإلا جاءت بلفظ ( الأرض ) .

مكتبة  
المهتدين

(١) فتح الباري - ج ١١ - ص ٤٤٠ .



وجاء وصف الأرض سابقاً البنية التشبيهية للمشبه به مما مهد للبناء التصويري مكتملاً أن يلج مظان اليقين الإيماني والاستسلام الفطري وقوله ( ليس فيها علم لأحد ) كناية عن الاستواء وخلوها مما نجده في أرض الدنيا من معالم وتغيرات .

ومن أهوال اليوم الآخر وحققته التي نبأت بها النبوءات النبوية هذا الحديث . فبعد أن تعد أرض المحشر تبدأ الأهوال تكبر وتتعاظم ويقترّب حين الأجل للمحاسبة والقضاء فتدنو الشمس من الخلق لحكمة أرادها الله ومشينة جرت بها وقدرته .

— عن المقداد بن الأسود : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( تدنى الشمس ، يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ، قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعني بالميل ؟ أمسافة الأرض ؟ أم الميل الذي يكحل به العين . قال : ( فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقوية ، ومنهم من يلجمه العرق إجماعاً ) قال وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه <sup>(١)</sup>

قوله ( كمقدار ميل ) صورة بيانية جاءت لتقريب حال تلك الشمس في ذلك اليوم وكيف أنها تصبح على مسافة قريبة من الخلق وجاء مقدار ذلك بالميل الذي اختلف فيه هل يعني المسافة أم ما تكتحل به العين . المشبه : مسافة بعد الشمس عن الخلق المشبه به : الميل من الأرض أو الميل الذي يكتحل به . الوجه : كلاهما تتعين فيه التقديرية والقياس

الغرض : بيان مقدار قرب الشمس وشدة حرها في ذلك اليوم ، وقد أدت الصورة التشبيهية دوراً تأسيسياً في إيقاع المعنى في النفوس إذ إن حقيقة إدناء الشمس من الخلق لا تدرك كيفيتها ولا تتصور الأذهان مقدارها وبذلك يقع في النفوس من الهيبة والرغبة من ذلك اليوم ما يقع وتكون تلك الصورة في القلب المؤمن محرّكاً لا يهدأ عن بث المزيد من الخوف والدافع إلى التزود والاستعداد لذلك الموقف بل تلمس طرق النجاة والجد في طليها .

ثم استكمل البيان النبوي ما يكون عقوبة ذلك القرب من العرق الذي يغطي الناس حسب أعمالهم حتى ينتهي إلى من يصيبه كاللجام من شدة الكرب وعظم الذنب .

اعتادت الناس على حال العرق في الدنيا لكن مقارنته بالصورة التي أبانت عنها النبوءة النبوية يسبح بالنفوس آفاقاً بعيدة في تصور الهول والفرع الذي يجعل الناس تصب تلك الكمية الهائلة من العرق وحق

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - باب في صفة يوم القيامة - ج ١٧ - ص ١٩٤ .

أن يملك النفوس الخوف وتستولي عليها الشدة . ألم تعاین ما كانت به تكذب ! ألم ترما لم به تصدق ﴿اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ [ غافر - ١٧ ]  
فإذا كان هول الموقف يصيب المؤمن فما حال الكافر الجاحد إنه ليسبح في ذل معصيته وعرقه الذي أغرقه وألجمه .

( قيل أنهم يستوون في وصول العرق إليهم ويتفاوتون في حصوله فيهم وأشدّهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار ) . (١)  
( والحديث صورة حرارية هائلة وعجبية فالعرق الذي نعهده نقاطاً تتصيب في عالمنا المشهود نلمحه مكاناً للسباحة في موقف يكون قبل تحديد العقاب في جهنم ، وهذه الصورية حرارية لمسية تثير حاسة اللمس ولكنها تثير الخيال بحجمها العجيب الذي يصل إلى حيث يلجم الإنسان كما يلجم الحيوان باللجام من حنكه والأغرب من هذا أن يحدد مكان هؤلاء وهؤلاء و الشمس واحدة ولكنها عوالم أخرى لا تقاس بمقاييس الدنيا والله قادر على إيجادها ) . (٢)

( أريت بحراً يعوم فيه الناس وقد اختلف ارتفاع موجه صعوداً وهبوطاً وفق ما قدمه السابحون فمن واقف في الماء إلى كعبيه ، ومن غائص إلى ركبتيه ، أو خصره ، ومن ملجم لا يجد من العرق متنفساً ، وحرارة الشمس اللاهبة فوق الرؤوس دانية بشواظها اللفاح ) . (٣)  
( وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن الذي يلجمه العرق الكافر قيل له : فاين المؤمنون ؟ قال على الكراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام ، وعن أبي موسى قال : الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلمهم ) . (٤)

٣- عن أبي هريره رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم ) (٥)  
وقد ورد في هذا الحديث التعبير بلفظ ( يلجمهم ) وهو ما يقابل في الحديث السابق قوله ( منهم من يلجمه ) .

( والتعبير بصيغة الفعل دون الاسم يدل على تمام وقوع الحدث فالفعلية تحتوي الحبس المحكم ونقل حدثه أكثر من الاسمية وهذا اللجام يومئ إلى الطبع الحيواني الذي كان عليه المذنبون واصطبغوا به

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج ١١ - ص ٤٦١ - ٤٦٣ .

(٢) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ٣٩٠

(٣) البيان النبوي - محمد رجب البيومي - ص ١٤٨

(٤) فتح الباري - ج ١١ - ص ٤٦٢ .

(٥) المصدر السابق - باب قول الله تعالى : ( ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ) - ج ١١ - ص ٤٦٢ .

متجلياً في المظالم والشهوات ، كما أن اللجم يعني الإسكات هنا ، فيفقد المرء ما يمتاز به عن الحيوان وهو الكلام الذي هو صورة للتفكير والتسامي البشري على المخلوقات ) . (١)

( واللجام للفرس استعير للإنسان لأنه يملأ فمه كما يملأ اللجام فم الخيل فيمنعها من تحريك ألسنتها وتقرب الصورة من الأذهان بتشبيه ذلك في الغريق ) . (٢)

وكان رأي الشريف الرضي أن لفظ ( اللجام ) الذي جاء بالصيغة الفعلية في الأحاديث مجاز له وجهان :

١- أن يكون المراد أن العرق يزيد بهم حتى يضعفوا عن الكلام فشبه <sup>الكلية</sup> إضعاف العرق لهم وبلوغه إلى أن يملك عليهم نطقهم باللجم التي تملأ أفواه الخيل فتمنعها من تحريك ألسنتها تمطقاً بالمشرب أو تلمظاً بالمطعم .

٢- أن يكون المراد أن العرق يكثر منهم حتى يخوضوا فيه فيبلغ إلى أن يدخل أفواههم فيكون بمكان اللجم لهم . (٣)

والتصوير البياني الاستعاري يقوم على تشبيه الإنسان الذي علا عرقه يوم القيامة حتى ملأ فمه فمنعه من الكلام بالفرس الملجم بلجام مانع له من تحريك لسانه وإصدار صوته ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو اللجام واشتق منه الفعل يلجمهم على سبيل الاستعارة المكنية .

(١) الصورة الفنية في الحديث - احمد ياسوف - ص ٥٣٤-٥٣٥ .

(٢) مشاهد القيامة في الحديث - احمد العلي - ص ٣٤٥ .

(٣) الصورة الفنية في الحديث احمد ياسوف - ص ٥٣٥ .

## المبحث الثاني : الميزان الأخروي

### ٢- الميزان الأخروي

١- عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ( أنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضه ، اقرؤا : إن شئتم : { فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً } <sup>(١)</sup> ) [ سورة الكهف - ١٠٥ ] .

قوله ( لا يزن عند الله جناح بعوضه ) أي لا يعد له في القدر والمنزلة وفيه ذم السمن <sup>(٢)</sup> وهو كناية عن حقارة ذلك الإنسان الذي كان يتعاضم بعظم جسمه في الدنيا ، وهو جسد على عظمه خال من العمل الصالح ، والميزان في الدار الآخرة لا يقيس ثقل الأجساد بل ثقل الأعمال .

( هذا رجل عظيم سمين في الدنيا ، يأتي يوم القيامة لا يزن جناح بعوضه ، صورة تنقل خيالنا من طرف إلى طرف يقابله ، ففي الدنيا يكون هذا الرجل سميناً جداً وفي الآخرة لا يكون هزيراً فحسب بل يتحول إلى أقل من جناح بعوضه .. والنظرة الدنيوية نظرة موقوتة لا تفيد صاحبها شيئاً . أما النظرة الأخروية فهي التي تقرر مصير صاحبها وتنتهي به إما إلى الجحيم وإما إلى النعيم ، وقوله ( لا يزن عند الله جناح بعوضه ) كناية عن تفاهته وقلة شأنه ) <sup>(٣)</sup> )

قال تعالى ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾ [ سورة المؤمنون ( ١٠٢-١٠٣ ) ] .

وقال ﷺ: ( إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ) . <sup>(٤)</sup>

والخبر هنا جاء مؤكداً من عدة طرق :-

١- النبوءة الموحاة .

٢- السياق الذي ورد فيه إن واللام في الجملة الاسمية .

٣- الآية القرآنية المقررة للحكم الفصل .

وقال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [ الحجرات - ١٣ ] .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - باب : كتاب صفة القيامة والجنة والنار - ج ١٧ - ص ١٢٧

(٢) المصدر السابق - ج ١٧ - ص ١٢٧

(٣) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ص ٤٧١ - ٤٧٢

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - محمد علي محمد علان المكي - ص ٤٢ .

وقال ﷺ : ( كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ) .<sup>(١)</sup>

وقال تعالى : ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ [ الأعراف ٨ ، ٩ ] .

( والمفلحون هم الفائزون بالنجاة والثواب . والذين خسروا أنفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها . واقتراف ما عرضها للعذاب ، والخسران إذهاب رأس المال ، ورأس المال الإنسان نفسه ، فإذا هلك بسوء عمله فقد خسر نفسه ( بما كانوا بآياتنا يظلمون ) يعني وضعوا التكرذيب بها موضع التصديق ) .<sup>(٢)</sup>

كما أخبر الحديث السابق عن حقيقة الميزان الأخروي وأنها لا تقاس بثقل الأجساد نجد هذا الحديث تتجلى فيه الرحمة الربانية بتدارك الذنوب التي على المسلمين فلا يثقل بها الميزان وإنما يحل محلها مغفرة المنان ، وربما كانت المفارقة بين الحديثين أن المخبر عنه في الحديث السابق كانت تعجبه ضخامة جسمه وامتداد أعضائه وثقل وطأته فداخلة الظن بأن ذلك مما ينفعه يوم القيامة أما الحديث الآخر فكان الأخبار فيه عن عظم الذنوب ذاتها فهي كالجبال ضخامة وسعة وثقلا لكن المشيئة الرحمانية قضت بمغفرتها والتجاوز عنها .

٢- عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال : ( يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ، ويضعها على اليهود والنصارى )<sup>(٣)</sup>  
( معناه : أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم ، وذنوبهم ، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين ، قال تعالى ﴿ ولا تزرر وازر ﴾

أخرى ﴾ ، وقوله ( يضعها ) مجاز والمراد : يضع عليهم مثلها بذنوبهم لكن لما أسقط سبحانه عن المسلمين سيئاتهم ، وأبقى على الكفار سيئاتهم صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي وهو إثمهم ، ويحتمل أن المراد آثام كان للكفار سبب فيها بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ، ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنوها ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها ) .<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٧ - ص ٢١

(٢) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان الشيخ اسماعيل حقي البروسوي - ص ٥٢٣ - ج ١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي - باب : قبول توبة القاتل وإن كثر قتله - ج ١٧ - ص ٨٨ .

(٤) المصدر السابق - ج ١٧ - ص ٨٨ .

قال تعالى ﴿ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة - ٢٨٤]

الآية الكريمة قابلت المغفرة بالعذاب إمضاءً للمشئة الربانية التي أوحى للنبي الكريم في الحديث السابق بالمغفرة للمسلمين والتجاوز عن ذنوبهم التي يقابلها الوضع على اليهود والنصارى وإذ لا يليق بالذات العلية أن تكون أوزار المسلمين المتجاوز عنها قد طرحت على الكفار فقد انفتح باب تأويل ذلك أن الحمل الذي كان على المسلمين بذنوبهم العظيمة قد سقط بمغفرة الله لهم ورحمته بهم ، أما الكفار فكما توحى به كلمة ( يضعها ) والضمير يعود إلى الذنوب المكتسبة من الكفار أنفسهم أي ويضع الله الذنوب التي اقترفوها عليهم ، فإسقاطها عن المسلمين قابل وضعها على اليهود والنصارى فقد برئ المسلمون من ثقل تلك الذنوب وناء اليهود والنصارى بثقل ذنوبهم ووضع الذنوب يؤول بصاحبها إلى العذاب لذلك فالفعل ( يضعها ) مجاز مرسل علاقته السببية : أي بسبب ذنوبهم وانحرافهم عن الحق استحقوا حمل تلك الذنوب والعقاب عليها .

وفي قوله ( بذنوب أمثال الجبال ) صورة تشبيهية :

المشبه : الذنوب على المسلمين .

المشبه به : الجبال .

الوجه : العظمة والضخامة .

الغرض : بيان مقدار ذلك العظم .

قال تعالى : ﴿ قد خس الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون ﴾ [ الأنعام - ٣١ ] .

وقال تعالى : ﴿ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ .

[ النحل ( ٢٢-٢٥ ) ] .

حديث ٢٤٩٧ :- ( وجاء في سنن الترمذي إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل ، يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه ، قال به هكذا ) .<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> سنن الترمذي - الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة - ٢٠٩ - ٢٩٧ هـ - ص ٩٧٧

## المبحث الثالث : رؤية الله والجسر والشفاعة

### ٣- رؤية الله والجسر والشفاعة

١- الرواية الأولى : عن عطاء بن يزيد الليثي ، أن ابا هريرة أخبره أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ : ( هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله ! قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ! قال : فإنكم ترونه كذلك . يجمع الله الناس يوم القيامة . فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه . فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس . ويتبع من كان يعبد القمر القمر . ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت . وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها . فيأتيهم الله تبارك وتعالى ، في صورة غير صورته التي يعرفون . فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك . هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا . فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تبارك في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز . ولا يتكلم يؤمئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يؤمئذ : اللهم ! سلم ، سلم ، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا نعم . يا رسول الله ! قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجي . حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن تخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً فمن أراد الله تعالى إن يرحمه ، فمن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار ، يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود . حرك الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل <sup>(١)</sup>

وفي رواية ( عن أبي سعيد الخدري ، إن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . قال : هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ! قال : وما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ..... فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيز ابن الله فيقال : كذبتما ما اتخذ الله من صاحبة ولا

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ .

ولد . فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا ! فاسقنا . فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا . فيتساقطون في النار ..... ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة ... وقيل : يا رسول الله ! وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة ؟ فيه خطاطيف وكلاليب ومسك ، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان . فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب ... فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ..... فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ..... فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ..... فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين . فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل . ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وخيضر . وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ؟ فقالوا : يا رسول الله ! كأنك كنت ترعى بالبادية . قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ..... (١)

قوله ( هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ) وفي رواية ( هل تضامون ) روي ( تضارون ) بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشددة : هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة ، أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه ، كما تفعلون أول ليلة من الشهر ، ومعنى المخففة : هل يلحقكم في رؤية ضير وهو الضرر . وروي أيضاً ( تضامون ) بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددتها فتح التاء ، ومن خففها ضم التاء ، ومعنى المشددة هل تضامون وتتلفون في التوصل إلى رؤيته . ومعنى المخففة : هل يلحقكم ضيم ، وهو المشقة والتعب . وقوله ( فإنكم ترونه كذلك ) معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف (٢)

( ومذهب أهل السنة أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً وأجمعوا على وقوعها في الآخرة ، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين ) . (٣) قال تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾

وقال ﷺ : ( إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألف سنة ، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه ربه عز وجل في كل يوم مرتين )

واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم : يحصل للرأي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المراتب وهو على وفق قوله ( كما ترون القمر ) إلا أنه منزه عن الجهة والكيفية (٤)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - باب : معرفة طريقة الرؤية - ج ٣ - ص ( ٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣ )

(٢) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٢٠

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ١٨ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ج ١٣ - ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ .



ويؤيد حدوث الرؤية قوله ﷺ في حديث آخر: ( وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ) قال المازري : وكان النبي ﷺ يخاطب العرب بما تفهم ويخرج لهم الأشياء المعنوية إلى الحس ليقرب تناولهم لها ، فعبر عن زوال الموانع ورفعها عن الأبصار بذلك . وقال عياض كانت العرب تستعمل الاستعارة كثيراً وهو أرفع أدوات بديع فصاحتها وإيجازها وقال ﷺ : ( إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم منه ثم تلا هذه الآية ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ <sup>(١)</sup>

قوله ( رداء الكبرياء ) ( الرداء هنا : استعارة كنى بها عن كبريائه وعظمته ، كما قال في الحديث الآخر : ( الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ) وليست العظمة والكبرياء من جنس الثياب المحسوسة ، وإنما هي توسعات ووجه المناسبة أن الرداء والإزار لما كانا ملازمين للإنسان مخصصين به لا يشاركه فيهما غيره ، عبر عن عظمة الله وكبريائه بهما لأنهما مما لا يجوز مشاركة الله فيهما ، وتعتضى جبروت الله وكبريائه وعزته واستغنائه ألا يراه أحد ، ولا يعبأ بأحد ، لكن لطفه وكرمه بعباده المؤمنين ، ورحمته لهم يقتضي أن يمن عليهم بأن يريهم وجهه إبلاغاً في الإنعام ، وإكمالاً للإمتنان ، فإذا كشف عنهم الموانع ، وأراهم وجهه الكريم ، فقد فعل معهم خلاف مقتضى الكبرياء ، فكأنه قد رفع عنهم حجاباً يمنعهم .

وقوله ( فإنكم ترونه كذلك ) تشبيه للرؤية ولحالة الرائي لا المرئي ومعناه : أنكم تستوتون في رؤية الله تعالى من غير مضارة ولا مزاحمة كما تستوتون في رؤية الشمس والبدر عياناً ) <sup>(٢)</sup> وجاء في فتح الباري ( المراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك ورفع المشقة والاختلاف ، والتمثيل واقع في تحقيق الرؤية لا في الكيفية لأن الشمس والقمر متحيزان والحق سبحانه منزّه عن ذلك ) <sup>(٣)</sup> . قوله ﷺ : ( وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر في جنة عدن )

( قال العلماء : كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه ، ويقرب الكلام إلى أفهامهم ويستعمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز ليقرب تناولها ، فعبر ﷺ عن زوال المانع ورفعها عن الأبصار بإزالة الرداء ) <sup>(٤)</sup>

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج ١٣ .

(٢) المفهم - ج ١ - ص ٤١٢ - ٤١٥ .

(٣) فتح الباري - ج ١١ - ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ١٩ .

وقال ﷺ: ( يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلصاً به ، وإنما هو خلق من خلق الله تعالى ، فإله أجل وأعظم )<sup>(١)</sup> . قال ﷺ : ( .....ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ) ( وكل ما كان في وسط شيء ومعظمه بين ظهريه وظهرانيه ) .<sup>(٢)</sup> ( ومعناه : يمد الصراط عليها ) .<sup>(٣)</sup> وفي هذا الجانب الكاشف عن جانب من جوانب الموقف العظيم ( يوم يقوم الناس لرب العالمين ) تستتير البصيرة المؤمنة ببيان البيان النبوي الذي أوضح صورة الصراط وعبر عن كيفية وجوده بقوله ( بين ظهري جهنم ) وفي هذا كناية عن ورود أهل الجنة مع غيرهم على النار إلا أن النجاة تصيب برحمة الله من يشاء قال تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ [مريم ( ٧١ - ٧٢ )] .

( والكلايب : جمع كلوب . بفتح الكاف وضم اللام المشددة ، وهو حديدة معطوفة الرأس ، يعلق فيها اللحم وترسل في التنور . قال صاحب المطالع : هي خشبة في رأسها عقافة حديد . وقد تكون حديدًا كلها . وأما السعدان فبفتح السين وإسكان العين المهملة . وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب ) .<sup>(٤)</sup>

وقوله ﷺ : ( تخطف ..... ) ( بفتح الطاء ويجوز كسرهما والكسر أفصح ويجوز أن يكون معناه : تخطفهم بسبب أعمالهم . ويجوز أن يكون معناه : تخطفهم على قدر أعمالهم . والله أعلم ) .<sup>(٥)</sup>

وأما قوله ﷺ : ( فمنهم الموبق بعمله ..... ) فذكر القاضي عياض رحمه الله ، أنه روي على ثلاثة أوجه :

١ - المؤمن يقي بعمله بالميم والنون ويقي بالياء والقاف .

٢ - الموثق بالمثلثة والقاف .

٣ - الموبق يعني بعمله ، بالباء الموحدة والقاف .<sup>(٦)</sup>

(١) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث - إبراهيم محمد كمال الدين - ق . الحسيني عبد المجيد هاشم - ج ٣ - ص ٢٤١ .

(٢) لسان العرب لابن منظور - ج ٩ - ص ٢٠٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٢٢ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي - ت . خليل مأمون شيجا - ج ٣ - ص ٢٣ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي - ت . خليل مأمون شيجا - ج ٣ - ص ٢٣ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي - ت . خليل مأمون شيجا - ج ٣ - ص ٢٣ .

وأما قوله ﷺ : ( ومنهم المجازي ) بالجيم والزاي من المجازاة ورواه بعضهم المخردل . بالخاء المعجمة والـدال واللام . ورواه بعضهم في البخاري : المجردل بالجيم . فأما الذي بالخاء ، فمعناه المقطع ، أي : بالكلايب ، يقال خردلت اللحم أي قطعته . وقيل خردلت بمعنى صرعت . والجردلة بالجيم الإشراف على الهلاك والسقوط ) . (١)

ثم نجد بعد ذلك بياناً لحال المارين على ذلك الصراط والذي أخبر المصطفى ﷺ أن طريقه محفوف بمخاطر الكلايب التي وكلت بخطف من أمرت بأخذه وجاءت العبارة النبوية بتصوير تلك الكلايب التي تشبه في شكلها أو تقرب من شوك السعدان وهذا التصوير في البياني التشبيهي يساعد الذهن في تخيل مثل تلك الهيئة ومحاولة معايشة الموقف التصويري ليأخذ الإنسان أهبة العملية والقلبية والتي تأتي في المرتبة التالية لمرتبة الرحمة الربانية .

والتشبيه البياني هنا فتح بابا التخيل وتركه مبسوطاً بعد أن اكتنف تأكيد حالتها التشبيهية بأن الجملة الاسمية في قوله ( فإنها مثل شوك السعدان ) وذلك البسط جاء في قوله ( غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله ) .

وحال المارين في هذه الرواية للحديث يقسم إلى قسمين :

١ - الموق بعمله ٢ - المجازي .

وكلاهما تسري عليه حالة الخطف ، والتي جاءت تعبيراً موضحاً مبيناً على أن المارين لا يعلم كل منهم ما سيعرض له على ذلك الجسر فتلك الكلايب كما يتبين من قوله ﷺ ( تخطف الناس بأعمالهم ) قد كلفت وأمرت بعملية الخطف ونقف عند قول المصطفى ﷺ في الكشف عن حال تلك الكلايب دون تأويل لكيفيتها وكنهها .

ثم أخبرت النبوة عن تشملهم الرحمة الإلهية فتخرجهم من النار وقد أحرقت أجسادهم إلا ما استثنى من ذلك وهو ( أثر السجود ) .

ووصفت حالهم بأنهم ( قد امتحشوا ) أي احترقوا ، إلا أن المشيئة الربانية قضت برحمته إعادة إنشائهم في الحياة . وقوله ( فيصب عليهم ماء الحياة ) لعل فيه إشارة إلى أنهم من الذين أماتهم الله إمامته بعد تعذيبهم بذنوبهم في النار ثم أحياهم بقدرته ، ثم تحدثت النبوة عن كيفية ذلك الإحياء وذلك الإنشاء بأن يصب عليهم ذلك الماء فينبتونه منه أي يحيون وحالهم في ذلك تشبه حال البذور أو الأعشاب التي تنبت في محمول السيل . وهذه الجزئيات التفصيلية التوضيحية لكيفية تلك الحياة والإعادة لعلها تعطينا إحياء أنهم يعادون إلى الحياة ضعافاً من هول ما أصابهم وحل بهم من العذاب وأن قوتهم تعود إليهم تدريجياً كحال تلك الحبة التي تكون ضعيفة البنية سريعة الانكسار والذبول - والله أعلم - وهذا الإحياء يعضده

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ت . خليل مأمون شيجا - ج ٣ - ص ٢٣ .

إلى حد ما تعاقب الفاء في مراحل تلك النشأة في قوله ﷺ ( فيخرجون ، فيصب ، فينبتون ) وهذا التعاقب أضاف إلى معنى النشأة السرعة في التكوين كما أضاف إليها بيان التصوير البياني التشبيهي عنصر الضعف والتدرج ما بينه وبين اكتمال القوة . والله أعلم .

وفي هذا الخروج من النار تنبيه لعظم شهادة التوحيد وأثرها وأثر العمل بها والتيقن منها وأنها برحمة الله تكون سبباً للنجاة . قال ﷺ : ( من شهد أن لا إله إلا الله فهو له نجاته ) . (١)

قوله ﷺ : (( قد امتحشوا ) هو بالحاء المهملة والشين المعجمة ، وهو بفتح التاء والحاء كذا نقله القاضي عياض رحمه الله عن متقني شيوخهم ، قال : وهو وجه الكلام ، وقالوا في معناه احترقوا . قال القاضي : ورواه بعض شيوخنا بضم التاء وكسر الحاء ) . (٢)

وقوله ﷺ : (( فينبتون منه ) منه بالميم والنون ومعناه ينبتون بسببه وأما الحبة ، فبكسر الحاء ، وهي بذر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول . وجمعها حبيب بكسر الحاء المهملة وفتح الباء وأما ( حميل السيل ) فبفتح الحاء وكسر الميم ، وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء ، ومعناه محمول السيل ، والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطرأوته ) . (٣)

التصوير البياني في الرواية الأولى :

١- قوله ﷺ : ( فإنكم ترونه كذلك ) .

المشبه : رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة .

المشبه به : رؤية المؤمنين للقمر وللشمس في حال مخصوص .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الوضوح التام .

الغرض من التشبيه : التقريب .

٢- قوله ﷺ : ( وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان )

المشبه : كالليب جهنم .

المشبه به : شوك السعدان .

أداة التشبيه : مثل .

وجه الشبه : الشكل الظاهر .

(١) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف - ج ٣ - ص ١٥٧ - السيد الشريف إبراهيم بن محمد بن كمال الدين - ت . الحسيني عبد المجيد هاشم .

(٢) صحيح مسلم - ج ٣ - ص ٢٤

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٢٤ .

الغرض من التشبيه : تقريب صورة الكلايب الجهنمية وتقرير حقيقتها للجد في النجاة منها .

٣- قوله ﷺ : ( فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ) .

المشبه : هيئة وحالة أولئك المعذبين بذنوبهم في النار والذين امتن الله عليهم بإخراجهم من النار .  
وكيفية إعادة الحياة إليهم .

المشبه به : نبات الحبة في حميل السيل .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : السرعة في النماء والحسن والطراوة .

الغرض من التشبيه : بيان الحال .

الرواية الثانية للحديث جاءت بدايتها بالاستفهام كالرواية الأولى وهذا الاستفهام جاء ممهداً لتقرير حقيقة كائنة يوم القيامة وقد صحب الاستفهام عناصر بنائية تركيبية زادت المعنى إيضاحاً والبيان بياناً وذلك في قوله ﷺ ( بالظهيرة صحواً ليس معها سحب ) . فمنها تعاقبت ثلاث صفات زادت الصورة جلاء وهي :-

١- الظهيرة ٢- الصحو ٣- الخلو من السحاب

وهذه العناصر الوصفية كانت مع الشمس وكذلك نجد ثلاث عناصر مع القمر وهي :

١- ليلة البدر ٢- الصحو ٣- الخلو من السحاب

وكل هذه أفادت تقرير رؤية المؤمنين الله يوم القيامة على هيئة تليق بجلالة وعظمته بعيدة عن الكيفية والتمثيل . وإنما جاء ورود رؤية الشمس والقمر في حالة مخصوصة من الصفاء ليتقرر في النفس المؤمنة أنها ستري الله وسوف تعان ذلك النعيم إلا أننا نقف دون تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تقريب لكيفية ذلك وكنهه – براءة إلى الله من سقوط في مسارب التأويلات الباطلة والتشبيهات الفاسدة والتي قد تضر بعقيدة المسلم وتخل بإيمانه .

قوله ( فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ) ( والسراب رطوبة كثيفة تصعد على الأرض ولا تعلو في الجو تنشأ من بين رطوبة الأرض وحرارة الجو في المناطق الحارة الرملية فيلوح من بعيد كأنه ماء . وسبب حدوث السراب اشتداد حرارة الرمال في أرض مستوية فتشتد حرارة طبقة الهواء الملاصقة للرمل وتحتل الطبقة الهوائية التي فوقها حراً أقل من حرارة الطبقة الملاصقة ... وحرارة الطبقة السفلى التي تلي الأرض تحدث فيها حركات تموجية فيصعد جزء منها إلى ما فوقها من الطبقات وهكذا ..... ) (١)

(١) التحرير والتنوير – ابن عاشور – ج ١٨ – ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

( السراب هو الذي يترأى للناس في الأرض القفر والقاع المستوي وسط النهار في الحر الشديد لا معاً مثل الماء يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فالكفار يأتون جهنم وهم عطاش فيحسبونهم ماء فيتساقطون فيها .

وأما ( يحطم بعضها بعضاً ) فمعناه : لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها . والحطم الكسر والإهلاك .  
والحطمة اسم من أسماء النار لكونها تحطم ما يلقي فيها ) . (١)

ويحطم : يركب بعضها على بعض ويكثر بعضها على بعض كما يفعل البحر إذا هاج . (٢)

قوله ﷺ : ( كأنها سراب ) جاء بعده قوله ﷺ : ( فيتساقطون في النار ) وفيه من البلاغة في التناسب أن جهنم شبيهة أو قربت هيئتها بأنها كالسراب واليهود والنصارى كما في الرواية أنهم يسألون : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا . فيشار إليهم ألا تردون ؟

والعطش ناسبه التوهم الواقع في كلمة السراب وزاد المعنى وضوحاً الفعل ( فيتساقطون ) الموحى بأن النار هنا حفرة أو قاع هابطة عن أرض المحشر وفيه أيضاً أن اليهود والنصارى هم بأنفسهم يتساقطون في النار والسراب . ولعل ذلك مسارعة منهم إلى ذلك السراب الذي يتوهمون أن به ماء يروي عطشهم . وقد بدأت العبارة بقوله ( فيحشرون ) والفعل هنا على أن هناك من قام أو كلف بذلك الحشر والجمع أما الفعل فيتساقطون فهو صادر منهم وهذا مناسب لحال العطش التي أصابتهم .

وفي قوله ( كأنها سراب ) كشف ربما لحالة من حالات النار وبيان لهيئة من هيئاتها – والله أعلم – فعمل الصورة هنا أنها كالسراب في شكلها الخارجي ومظهرها وهذا يتناسب مع قوله ﷺ ( فيتساقطون ) توهماً أنهم يردون ماء وفي حقيقتها هي نار الله الموقدة .

وقوله ﷺ : ( يحطم بعضها بعضاً ) الضمائر هنا عائدة على النار ( والحطم : الكسر في أي وجه كان والنار حطمه ) أي شديدة وفي التنزيل ( كلا لينبذن في الحطمة ) لأنها تحطم ما تلقى وتجعله متحطماً متكسراً ) . (٣)

قوله ﷺ : ( كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ) ولعل من وجوه الجمع بين السراب والتحطيم :-

١- وجود أداة التشبيه كأن . الموحى بأن لها حقيقة مغايرة للسراب وإنما بدت في مرأى الكفار سراباً مناسبة مع حالة العطش التي يكونون فيها .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٢٥

(٢) المفهم ج ١ - ص ٤٤٥ .

(٣) لسان العرب لابن منظور . دار صادر - ج ٤ - ص ١٥٦ .

٢- أن يقف التشبيه عند قوله ﷺ ( كأنها سراب ) وتكون العبارة بعد ذلك صورة بيانية أخرى

لحقيقة من حقائق النار التي لا نستطيع تحديدها ولا الجزم بالقول في كنهها .

٣- أن تكون للنار هناك هيئة غير المعهودة لنا في الدنيا والله على كل شيء قدير فتكون هيأتها للرائي كالسراب خفة وشفافية حتى إذا وقع فيها دوت جوانبها تحطيماً عليه وتعذيباً له وبذلك يكون السراب صورة النار وهم مازالوا بعيدين عنها أما أنها ( يحطم بعضها بعضاً ) فهذا عند ورودهم عليها فيسمعون فيها - والله أعلم - صوتاً عظيماً من التكسير والتحطيم مما يزيد فزعهم وفي قوله ( يحطم بعضها بعضاً ) كناية عن شدة اتقادها وعظيم لهبها .

٤- أن قوله ﷺ : ( فيحشرون إلى جهنم ..... ) جاء فعل الحشر مبنيًا للمفعول أي بفعل فاعل يتم هذا الحشر فكأن فيه - والله أعلم - أنهم يحشرون إلى مجهول يتراءى لهم كالسراب حتى تفاجئهم النار في هيئة غير معهودة فيجتمع عليهم هول الموقف وعذاب الحشر وعذاب السوق إلى المجهول ثم عذاب النار التي بدت على غير ما يعرفون من أحوالها في الدنيا صورة وحقيقة

قوله ( قيل : يارسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك ... )

الجَسْرُ والجَسْرُ : لغتان ، وهو القنطرة ونحوه مما يعبر عليه والجميع القليل أَجْسَرُ والكثير : جُسُورٌ <sup>(١)</sup>

دحض : الدَحْضُ : الزلق ، والإِدْحَاضُ : الإزلاق ، وفي حديث وفد مذمج نجباء غير دُحَّض الأقدام ، وفي حديث الجمعة : كرهت أن أخرجكم فتمشون في الطين والدحض أي الزلق ، وفي حديث أبي ذر : أن خليلي ﷺ قال : إن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض قال الله تعالى : ﴿ حِجْرٌ دَاحِضَةٌ ﴾ ومكان

دحض إذا كان مزلة لا تثبت عليها الأقدام <sup>(٢)</sup>

مزلة : المزلة بكسر الزاي وفتحها : المكان الدحض ، وهو موضع الزلل ، والمزلة : الزلل في الدحض ، والمزلة : موضع الزلل وفي صفة الصراط : مزلة مدحضه ، المزلة مفعلة من زلَّ يزلُّ إذا زلق <sup>(٣)</sup>

خطاطيف : خطف : الخطف : الإستلاب ، وقيل : الخطف الأخذ في سرعة واستلاب .

خطفة : بالكسر ، يخطفه خطفا بالفتح وهي اللغة الجيدة ، والخطاف : حديدة تكون في الرحل تعلق منها الأداة والعجلة ، والخطَّاف : حديدة حنء تعقل بها البكرة من جانبيها فيها المحور وكل حديدة حنء

<sup>(١)</sup> لسان العرب لابن منظور - دار صادر - ج ٣

<sup>(٢)</sup> المصدر السابق - ج ٥

<sup>(٣)</sup> المصدر السابق - ج ١٤

خطاف ، ومخاليب السباع خطاطيفها وفي حديث القيامة : فيه خطاطيف وكلايب ، وخطاطيف الأسد : برائته شبهت بالحديدة لحجنتها ، والحجن والحجنة والتحنن : اعوجاج الشيء (١)

كلايب : الكلوب : المنشال وكذلك الكلاب والجمع الكلايب ويسمى المهاز ، والكلوب والكلاب : حديدة معطوفة كالخطاف وقيل خشبة في رأسها عقافة منها أو من حديد .  
وكلايب البازي : مخالبه ، كل ذلك على التشبيه بمخالب الكلاب والسباع وكلايب الشجر : شوكة كذلك . (٢)

حسك : الحسك : نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم ، وكل ثمرة تشبهها نحو ثمرة القطب والسعدان وما أشبهه حسك ، واحدته حسكه ، وهي عشبه تضرب إلى الصفرة ولها شوك يسمى الحسك أيضاً من مدحرج لا يكاد أحد يمشي عليه إذا يبس إلا من في رجليه خف أو نعل . (٣)

في هذا الجزء من النبوة النبوية خبر الجسر الذي هو نهاية العرض والحساب وبداية الاقتراب من دار الخلود إن كانت الجنة وإن كانت النار . ولا يمر عليه إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وهذا في صريح النبوة إذ تهلك اليهود والنصارى ويكون قد هلك قبلهم من كان يعبد غير الله فيبقى أولئك العابدون لله على قدر عبادتهم وقوة إيمانهم ويضرب الجسر على جهنم . وهذا الجسر هو البوابة التي لا بد أن تردّها وفود العابدين لله حتى تقربهم مقادير إيمانهم إما في الجنة ، وإما في النار ، وإن المؤمن ليستشعر رهبة الموقف وهول المصائب إذ يقف على شفا جرف هار لا يعلم إن كان لديه من الإيمان ما ينجيّه أم أن موازينه قد خفت من الحسنات فتتلقاه خطاطيف ذلك الجسر وكلايبه وحسكه لتنهش في جسده إن لم تقطعه إرباً وترديه في النار . بل لربما تكون قد زلت به القدم أو بالأصح زل به ضعف الإيمان وقلة العمل الصالح فهوى إلى جهنم والعياذ بالله قال تعالى ﴿ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن

الصراط لناكبون ﴾ [ المؤمنون - ٧٤ ] .

وذكر النبي ﷺ نبات السعدان في وصف ذلك الجسر تقريباً للسامعين لتتصور أذهانهم حالة ذلك الجسر وقد شبه حسكه بذلك النبات المعروف المعهود لديهم وإذا كانت الأجسام تتأذى من حسك ذلك النبات وشوكة في الدنيا وهو لا يقارب حسك جسر جهنم من حيث القوة والشدة والعنف إذ جاء به البيان النبوي تصويراً للإيضاح والاقتراب بالذهن لتلمس خطر الموقف وبؤسه .

(١) لسان العرب لابن منظور - دار صادر - ج ٥ .

(٢) المصدر السابق - ج ١٣ .

(٣) المصدر السابق - ج ٤ .



ثم بدأت النبوة ترسم حال المارين في صور متعددة كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب حتى تحتويهم ثلاث فرق كما أخبرت بها النبوة :

- ١- ناج مسلم .
- ٢- مخدوش مرسل .
- ٣- مكدوس في نار جهنم .

وقد تدرجت تشبيهات المصطفى ﷺ في حال المارين بدءاً بالأسرع وهو من علا إيمانه وأسرع به صالح عمله ونيتته حتى إن كلمة ( طرف العين ) لتوحي بأن المار عليه لم يشعر بمروره على الجسر ولم يكن لديه من الوقت ما يشعر فيه بخطر الزلق أو غيره مما يعوق سيره ذلك أنه قد طار به إيمانه نسمة تنجيه من خطر الموقف ، وتمنعه من خوف رؤية الجسر المتكتظ بالحسك والكلايب ثم أخذت الصورة البيانية تتدرج في الوصف والبيان من الأسرع إلى الأقل سرعة حتى تنتهي إلى من يلقي في النار .

وما زالت الرحمة الإلهية تنتزل فبعد أن انتهى العبور على الجسر تأتي شفاعاة المؤمنين لإخوانهم الذين في النار بإذن من الله فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه قال ﷺ : ( إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى عنقه ) وفي رواية زاد ( ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته ) (١)

( وهذه الصورة اللامسية البصرية مروعة لأنها تنقل لنا علو النار ، وهي ليست مشاهدة فحسب ، بل تتفاعل مع القوم بحسب جرائمهم بالتماس وتغطيتهم ، ويمكن أن نقول : هذه النار مغطاة ضاغطة لعدم ترحزهم عنها وهي صورة مشوهة تلتهم فيها جلودهم ولحومهم ، وهي ذات فاعلية كاشفة لما وراء الظاهر بعد أن تشوه هذا الظاهر ، والتدرج الذي قدم في النص حركات مقطوعة ثانية قصد به زيادة في الترهيب النفسي فكانت النار السياج المنيع والطاقة المتنوعة ) . (٢)

وقوله : ( من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة من خير ) ( قال القاضي عياض : قيل معنى الخير هنا اليقين ، قال : والصحيح أن معناه شيء زائد عن مجرد الإيمان لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي ، أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى ونية

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٧ - ص ١٧٨ .  
(٢) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ٥٣٢

صادقة ، ويدل عليه قوله في الرواية الأخرى : ( يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن كذا ) ومثله الرواية الأخرى ( يقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ) وفي حديث آخر ( لأخر جن من قال لا إله إلا الله ) قال القاضي : فهؤلاء الذين معهم مجرد الإيمان ولم يؤذن في الشفاعة لهم وإنما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان وجعل للشافعين دليلاً عليه وتفرد الله بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان وضرب بمثال الذرة المثل لأقل الخير )<sup>(١)</sup>

وفي تدرج العبارة من الدينار إلى نصف الدينار إلى مقدار الذرة زيادة التأكيد على شمول الرحمة الربانية والحرص على المجازاة بالعمل الصالح قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة- ٧] .

( قوله ( فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط .. )  
( يقبض قبضة : يجمع جماعة ، والحمم : بضم الحاء وفتح الميم الأولى المخففة وهو الفحم الواحدة حممة الأفواه : جمع فوهة ، بضم الفاء وتشديد الواو المفتوحة ، وأفواه الأنهار أوائلها قال صاحب المطالع : كأن المراد في الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها ) .<sup>(٢)</sup>

( وفي رواية ( فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال له ما الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل )

والمحش : احتراق الجلد وظهور العظم ، وفي تسمية النهر بنهر الحياة إشارة إلى أنهم لا يحصل لهم الفناء بعد ذلك .

الحبة : بكسر المهملة وتشديد الموحدة بزور الصحراء والجمع حبيب بكسر المهملة وفتح الموحدة بعدها مثلاً .

وأما الحبة بفتح أوله وهو ما تزرعه الناس فجمعها حبوب بضميتين . في حميل السيل : أي ما يحمله السيل وفيه إشارة إلى سرعة نباتهم لأن الحبة أسرع في النبات من غيرها وفي السيل أسرع لما يجتمع فيه من الطين الرحو الحادث مع الماء مع ما خالطه من حرارة الزبل المجذوب معه . وقال القرطبي : اقتصر المازري على أن موقع التشبيه السرعة وبقي عليه نوع آخر دل عليه قوله ( ألا ترونها تكون إلى

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٣١-٣٢

<sup>(٢)</sup> المصدر السابق - ج ٣ - ص ٣٢ ، ٣٣ .

الحجر ما يكون منها إلى الشمس أصفر واخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ( وفيه تنبيه على أن ما يكون إلى الجهة التي تلي الجنة يسبق إليه البياض المستحسن وما يكون منهم إلى جهة النار يتأخر النضوج عنه فيبقى أصفر وأخضر إلى أن يتلاحق البياض ويستوي الحسن والنور ونضارة النعمة عليهم ) . (١)

( وفي رواية عن أبي سعد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : ( يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من

يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من

إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حمما قد امتحشوا فبلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما نبت

الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية ) . (٢)

( والصورة في الجزء السابق مبنية على الاستعارة الفعلية ( ينبتون ) وفيها إسناد النبات إلى الآدمي وهي صورة نامية إلى الأعلى والأعلى يرمز إلى الخير وقد أكد البيان النبوي هذه الاستعارة باستحضار المشبه به بحسبته المقنعة الزائدة في الإيحاء بقوله ( ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية ) وذلك الالتواء يكون بعد كثرة النماء وزيادة الغذاء ، وجاءت النبتة في الصيغة الفعلية لتقابل الأسود بالصفير البهيج بل تتسع شيئاً فشيئاً كما يوحي زمن المضارعة والتفصيل في المشبه به أعان على تذوق الصورة وسكب الجزئيات على المشبه ، والحركة في ( ينبتون ) بصيغة المضارع كانت للدلالة على الاستمرار وهذا يفيد كبر الحجم شيئاً فشيئاً فنجد الأسود يتوارى ويظهر الأصفر متقدماً نحو البصر ، وفي هذه الصورة امتداد نحو الأعلى في الحجم والشكل واللون ) . (٣)

( وسأله ﷺ : ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية ، تأكيد للتشبيه وملاحظة الرجل وإعجابه بما ضربه الرسول ﷺ مثلاً لحال هؤلاء الجهميين يزيد التشبيه قوة لشهادة من يفقه معنى هذا التمثيل فيعجب به أن يكون مقرباً لأمر غيبي وبهذه الصورة الحاضرة الشاخصة أمام الناس ولا عجب فهذا شأن بلاغته ﷺ ) . (٤)

( قوله ( صفراء ) تأنيث الأصفر من الاصفرار وهو من جنس الألوان للرياحين ولهذا تسر الناظرين وسيد رياحين الحنة الحناء وهو أصفر . قوله ( ملتويه ) منعطفه منثنية وذلك يزيد الريحان حسناً يعني

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ( ٧٧٣ - ٨٥٢ ) هـ - ج ١١ - ص ٥٣٨ - ٥٣٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٣٦ .

(٣) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٤) مشاهد القيامة - في الحديث النبوي . أحمد محمد عبد الله العلي - ٣٣٤ .

اهتزازه وتميله ( وكما تنبت الحبة .. ) فيه تشبيه متعدد وهو التشبيه من حيث الإسراع ومن حيث ضعف النبات ومن حيث الطراوة والحسن والمعنى من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان يخرج من ذلك الماء نصراً حسناً منبسطاً متبخراً كخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء متميلة ) . (١)

قوله ﷺ : ( فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ) فيه إichاء أن انتفاء وجود عمل من الخير لهم لا ينفي وجود بذرة الخير والحق والإيمان في مستقر فطرتهم لكنها لم تلق العناية ولم يلتفت إليها ذلك الإنسان انصرف عنها كلياً وآب حالها في ذلك القلب مهجوراً منسياً فلم تعمل لها الجوارح ، ولم يهتف بها القلب الذي أغواه الشيطان واستزله ، ولم يأبه بها العقل الطاغي في جبروته حتى طال عليها الأمد فقسفت من قسوة مكانها ، لكن لما شاءت الرحمة الربانية مشيئتها في استنقاذ أولئك الناس شملتهم القبضة الإلهية ، وفي كلمة ( يقبض ) ما يوحى بالجمع من أنحاء متفرقة من النار ومواضع شتى كما انها تدل على شدة الرحمة في اكتمال قبضته تعالى عليهم من غير تمثيل لذلك بقبض اليد البشرية وانبساطها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً إلا أن معنى القبض يتسع لمعنى تلك الشدة في الرحمة الرحمانية التي تصحبها الرأفة التي تحوط تلك الجماعات . وجاءت كلمة ( قبضة ) لتدل على أن القبضة واحدة وهي مع ذلك تضم كل من قضت الرحمة الربانية خروجهم من النار .

وفي كلمتي ( فيلقون ويخرجون ) إيدان من الله تعالى بأن ذلك الإخراج لأولئك القوم قد أحاطته العناية الإلهية في الإلقاء وتتابعته فيه عناصر الرحمة في ذلك النهر حتى أخرجتهم في صفاء اللؤلؤ وزهو لونه

أما تمثيل الحبيب المصطفى ﷺ لحال أولئك في قوله ( كما تخرج الحبة ) فإنه إن كان للتقريب والإيضاح فإن جمالية البناء ودقة التصوير تذهب أبعد من ذلك الغرض المائل في كل حالات التصوير البياني تقريباً ، إذ بدأت العبارة في ذكر تفاصيل تزيد المبنى والمعنى معاً فالتشبيه وضح في قوله ( كما تخرج الحبة في حميل السيل ) إلا أننا نجد البيان النبوي قد بلغت به البلاغة الموحاة والإيحائية حداً تتفق عنده مغاليق الأفهام وأن كانت تتحسر دون بلوغ كل المرام من المعنى فامتداد صورة المشبه به ليس لغرض إيضاح حال المشبه به فقط بل لتتشرب العقول عظم البيان وتربط بين حال المشبه والمشبه به في أبعاد شتى قد تحيط هذه العبارة ببعضها لكن جلها وأدقها يختبئ في جنبات الوحي الإلهي والفة النبوي . تلك الحمم المحترقة والتي لم تعمل خيراً قط كما أفادت بذلك النبوءة النبوية قد أقيت في نهر الحياة بل نهر الخلود الأبدى بمشيئة الله وقدرته وجوانب المشبه به في قسميه :

١- ما يكون إلى الشمس

٢- وما يكون إلى الظل

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري - ج ١ - ص ١٧٠ - ١٧١ .

والتي جمعت الألوان أصيفر ، أخضر ، أبيض هي التي شقت أكمال التشبيه وفتقت أنواره في استشفاف بعض ما قد يكون عليه حال أولئك القوم الناجين . الجنة لا شمس فيها لتقابل الظل لكن حال النبات في الدنيا ما بين الحاليين يقابله في الآخرة حال أولئك القوم في تفاوتهم في الخير والإيمان الذي في فطرتهم وذلك على حسب ما ضمته دخالهم من حفظ ذلك فهم ليس لهم من خيرية العمل شيء يقاس به ذلك التفاوت .

كما أن عبارة ( لم يعملوا خيراً قط ) توحى بأن الناجين السابقين وهم :

١- من كان في قلبه مثقال دينار من خير .

٢- من كان في قلبه مثقال نصف دينار من خير .

٣- من كان في قلبه مثقال ذرة من خير

قد كان لهم من الأعمال الخيرة ولو اليسير . إلا أن بعض الناجين برحمة الرحمن ليس لهم عمل ، وقد صرح السلف بذلك :

( مثقال دينار .. مثقال نصف دينار ... مثقال ذرة ) معناه شيء زائد عن مجرد الإيمان لأن مجرد الإيمان

لا يتجزأ . قوله ﷺ : ( فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ..... )

( الخواتم : جمع خاتم بفتح التاء وكسر ها . قال صاحب التحرير : المراد بالخواتم أشياء من ذهب أو غير

ذلك تعلق في أعناقهم علامة يعرفون بها قال معناه : تشبيه صفائهم وتلألؤهم باللؤلؤ والله أعلم )<sup>(١)</sup>

ونجد أن للصورة البيانية هنا امتداد بلاغي بياني نبوي ابتداء بالكشف عن حال أولئك المخرجين من النار

في قوله : ( قد عادوا حمماً ) ثم بدأت بالتنفس في رحاب الرحمة الربانية في قوله ( فيلقيهم في نهر في

أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ) ثم لتكتمل في قوله : ( فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل )

ولتقرير ذلك وزيادة في تمكينه من القلوب امتد البيان النبوي لإيضاح حال المشبه به في نوع مخصوص

ومكان مخصوص وكيفية مخصوصة .

واكتمال الصورة في قوله ( فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ) كمال للنعمة بالخروج من النار

والإلقاء في نهر الحياة . أما قوله ﷺ : ( فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ) فهو كمال الامتنان عليهم

بحسن هياتهم واكتمال بنائهم .

التصوير البياني في الرواية الثانية :

١- قوله ﷺ : ( ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما )

المشبه : عدم المضارة في رؤية الله تبارك وتعالى .

المشبه به : عدم المضارة في رؤية الشمس والقمر في حالة مخصوصة .

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٣٣

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الجلاء التام وانتقاء المضارة .

الغرض من التشبيه: التقريب .

٢- قوله ﷺ : ( فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ) .

المشبه : النار .

المشبه به : السراب .

أداة التشبيه : كأن .

وجه الشبه : انخفاض المكان مع الحركة السريعة ( لأن السراب سمي سراباً لأنه يسرب سروباً أي يجري جرياً . يقال سرب الماء يسرب سروباً ، والسَّرب : حفير تحت الأرض )<sup>(١)</sup> .

وهذا المعنى يؤيده قوله ﷺ في الحديث ( فيتساقطون في النار ) .

الغرض من التشبيه : بيان الحال .

٣- قوله ﷺ : ( فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب ) .

المشبه : حال المؤمنين المارين على الصراط .

المشبه به : طرف العين ، البرق ، الريح ، الطير ، أجاويد الخيل والركاب .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : السرعة في الحركة .

الغرض من التشبيه : بيان مقدار السرعة التي يمر بها المؤمنون على الصراط .

٤- قوله ﷺ : ( فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير .... مثقال نصف دينار .. مثقال ذرة من خير ) .

فيه بيان استعاري في تشبيه الخير بماله ثقل ووزن ( الدينار ، الذرة ) بجامع المقدار في كل ثم أطلق لفظ المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية . وفي هذا التصوير الاستعاري كان تقريب المعنوي بالحسي .

٥- قوله ﷺ : ( فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل . ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى

الشجر . ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ) .

المشبه : خروج أولئك الناجين من النار بعد إلقائهم في نهر الحياة .

المشبه به : خروج الحبة في حميل السيل .

(١) لسان العرب لابن منظور - ج٧ - ص ١٦١ .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : السرعة في النمو وضعف البنية المبدئية واختلاف اللون .

الغرض من التشبيه : بيان حالهم . وقد صاحب المشبه به بيان لحالة النبات في تلك الحبة في مكان مخصوص ( حميل السيل ) وزمن مخصوص ( وقت السيل ) وحالة مخصوصة ( تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ) .

٦- قوله ﷺ : ( فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ) .

المشبه : خروج أولئك الناجين من النار بعد اكتمال بنيتهم في نهر الحياة .

المشبه به : اللؤلؤ .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الصفاء والجمال .

الغرض من التشبيه : بيان حالهم . وقد أتبع المشبه به بعبارة : ( في رقابهم الخواتم ) لخصوصيتهم بالعنق الرحماني .

١- قال ﷺ :- ( أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً .. يعرفونهم بأثر السجود . فيخرجون من

النار وقد امتحشوا فيصوب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل

السيل ) (١)

٢- ( فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر وإلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ... فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ) (٢) .

٣- ( انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم ترونها كيف تخرج صفراء ملتوية ) (٣) .

٤- ( لكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأماهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ) (٤)

(١) لسان العرب لابن منظور - ج ٣ - ص ٢٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٣٢-٣٣ .

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٣٦ .

(٤) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٣٧ .

٥- ( فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس ) (١) .

قوله ﷺ : ( ضبائر ضبائر ) منصوب على الحال ، وهو بفتح الضاد المعجمة ، وهو جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرها لغتان . أشهرهما الكسر . قال أهل اللغة : الضبائر جماعات في تفرقة . وأما قوله ﷺ ( فبثوا ) فهو بالباء الموحدة المضمومة بعدها ثاء مثلثة ، ومعناه : فرقوا والله أعلم ) (٢) .  
والقراطيس : جمع قرطاس بكسر القاف وضمها لغتان ، وهو الصحيفة التي يكتب فيها شبههم بالقراطيس لشدة بياضهم بعد اغتسالهم وزوال ما كان عليهم من السواد والله أعلم ) (٣) .

وردت هذه الروايات المختلفة وإن كان اختلافها اللفظي يسيراً في حديث واحد جمع بين رؤية الله تعالى وبدء العرض والحساب وإيضاح صورة لجهنم كالسراب ثم جاء وصف الجسر وبعد ذلك انتهى الحديث إلى بيان درجات الشفاعة وأحوال أهلها والجزئيات السابقة تجتمع حول وصف لقوم تدركهم الشفاعة فينظر إلى مالهم من صالح عمل كما يظهر في الرواية الأولى ( يعرفونهم بأثر السجود ) والرواية الثالثة ( مثقال حبة من خردل من إيمان ) على اعتبار مثقال حبة من خردل شيء زائد عن مجرد الإيمان كما صرح بذلك السلف الصالح ( المراد بحبة الخردل زيادة على أصل التوحيد ) (٤) .

والاختلاف اليسير في اللفظ وجه التصوير البياني البلاغي وجهات عديدة يتلمس بها أقرب الأحوال في تصوير حال أولئك والوقوف على شيء من حقيقة أمرهم وانتهاء مصيرهم بالشفاعة إلى الجنان .

فالرواية الرابعة تشارك الأولى والثالثة في أن أولئك المشفوع لهم كان لهم نصيب من العمل الصالح وإن قل ( أصابتهم النار بذنوبهم فأماتهم إماتة ) فالعبارة هنا واضحة في أن وقوعهم في النار أو بالأصح إصابتها لهم كان بسبب ذنوب تعارض معها صلاح حيث شملتهم الرحمة حتى قبل الشفاعة بالموت فهو راحة لهم من العذاب حتى إذا أذن بالشفاعة أخرجوا من النار .

فيما كانت الرواية الثانية صريحة في نفي أن يكون لهم أي خير اكتسبوه ( لم يعملوا خيراً قط ) أما الرواية الخامسة فلم يرد في سياق ورودها في الحديث ذكر عمل صالح لهم أم لا .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٤٩ .

(٤) عمدة القارئ - ج ١ - ص ١٧١ .



واشتركت الروايات الأربع الأولى في عناصر المشبه به وإن زاد في إحداها عن الأخرى اللفظ إلا أنها في سياق بياني واحد وزيادة المبنى زيادة في المعنى ، وربما كانت الرواية الخامسة قد أتت بعنصر المشبه به مختلفاً عن الروايات السابقة ، حيث ورد تشبيههم بعيدان السماسم وبالقرطيس .

( قال الإمام أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الإثير رحمه الله تعالى : معناه والله أعلم ، أن السماسم جمع سمس ، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت في الشمس ليؤخذ حبها دقاقاً سوداً كأنها محترقة فشبه بها هؤلاء . وقال بعضهم : السماسم كل نبت ضعيف كالسمسم والكزبرة وقال آخرون : لعله السأسم مهموز ، وهو الأبنوس . شبههم به في سواده ) .<sup>(١)</sup>

في قوله ﷺ : ( كأنهم عيدان السماسم ) تصوير بياني تشبيهي : المشبه : حال أولئك الخارجين من النار وما هم عليه .

المشبه به : عيدان السماسم .

أداة التشبيه : كأن .

وجه الشبه : الشكل الخارجي متمثلاً في اللون والدقة البنائية .

الغرض من التشبيه : بيان حالهم .

وفي قوله ﷺ : ( كأنهم القرطيس ) تصوير بياني تشبيهي :-

المشبه : حالة أولئك الخارجين من النار بعد اغتسالهم في نهر من أنهار الجنة .

المشبه به : القرطيس .

أداة التشبيه : كأن .

وجه الشبه : الصفاء والاستواء التكويني .

الغرض من التشبيه : بيان حالهم .

وقد جمعت الروايتان بين إثبات الرؤية وإن اختلفت فيهما بيانية البيان النبوي في زيادة الإيضاح والكشف عن ذلك وهذا ما يتبين من ملاحظة العبارات الواردة في هذا الشأن . ففي الرواية الأولى نجد قوله ﷺ : ( هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ فإنكم ترونه كذلك ) .

وفي الرواية الثانية قال ﷺ : ( هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوً ليس فيها سحاب ؟ ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ) .

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٤٩

والمعنى : ( لا يشتبه عليكم وترتابون فيه ، فيعارض بعضكم بعضاً في رؤيته ) . (١)

والتقييد الوارد مع القمر والشمس جاء مبالغة في الوضوح والبيان وأنهم يرون الله عز وجل دون حاجز أو مانع قال ﷺ : ( إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ) . (٢)

وإثبات الرؤية حسب الروايتين السابقتين جاء كالتالي : في الرواية الأولى جاءت عبارة ( فإنكم ترونه كذلك ) مؤكدة بأن الجملة الاسمية بينما جاءت بصيغة الاستثناء المفرغ في الرواية الثانية وتجمعان في إثبات الرؤية دون تمثيل ولا تحديد لكيفية ذلك .

أما الحديث عن الأحداث قبل ضرب الصراط فقد اجتمعت الروايتين في أن كل من كان يعبد غير الله يقضي به إلى جهنم وبئس المصير . وبقي الاستثناء في الرواية الأولى في قوله ﷺ : ( وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ) أما الاستثناء في الرواية الثانية فجاء في قوله ﷺ : ( حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر ) .

وكانت الزيادة في الرواية الثانية أتت من وصف الحالة التي ينتهي إليها اليهود والنصارى إلى جهنم ومن البيان التصويري التشبيهي في قوله ﷺ : ( فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ) .

ومن قوله ﷺ : ( فيكشف عن ساق ) ( ويكشف بفتح الياء وضمها ، وهما صحيحان وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث " الساق " هنا بالشدة . أي يكشف عن شدة وأمر مهول ، وهذا مثل تضربه العرب لشدة الأمر ، ولهذا يقولون قامت الحرب على ساق ، وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد ، شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام به ) . ( قال القاضي عياض رحمه الله : وقيل المراد بالساق هنا نور عظيم ، وورد ذلك في حديث عن النبي ﷺ . قال ابن فورك : ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطف .

قال القاضي عياض : وقيل قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة ، لأنه يقال ساق من الناس . كما يقال رجل من جراد . وقيل قد يكون " ساق " مخلوقاً جعله الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة . وقيل معناه كشف الخوف وإزالة الرعب عنهم ، وما كان غلب على قلوبهم من الأهوال ، فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم ، فيخرون سجداً . قال الخطابي رحمه الله : وهذه الرؤية التي في هذا المقام يوم القيامة ، غير الرؤية التي في الجنة ، لكرامة أولياء الله تعالى ، وإنما هذه للامتحان ، والله أعلم ) . (٣)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٢٠

(٢) المصدر السابق - ج ٣ - ص ١٩

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٢٦

وفي العبارة السابقة على اختلاف التأويلات لكلمة الساق إلا أننا يمكن أن نلاحظ أن جميعها تلتقي في أن شيئاً خارجاً عن المؤلف المعهود المعلوم لنا يحدث في ذلك الموقف . ومن عظم شأنه وشدة أثره يخر له المؤمنون سجداً اعترافاً وتذلاً واطمئناناً والأقرب – والله أعلم – أن هذا الشأن متعلق بالله جل جلاله لذلك أذنت الرحمة الربانية للمؤمنين بالسجود تحقيقاً لعبوديتهم لله وتطميناً لقلوبهم من فزع ذلك الموقف وتطبيباً لنفوسهم خاصة حينما تمنع فئات بسبب سوء أعمالهم من السجود .

وفي العبارة كناية عن حدث جلل وأمر عظيم ينبئ عنه هول الموقف والمكان ، والزمان ثم تحدثت الروايتان عن الصراط وورد في الرواية الأولى في قوله ﷺ : ( ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ) وفي الرواية الثانية قال ﷺ : ( ثم يضرب الجسر على جهنم ) .

وفي كلا القولين نجد أن التعبير دخل . باب التبيين والإيضاح عن طريق بلاغة المفردة اللغوية في اختيار الكلمات ( يضرب ) و ( الصراط ) و ( الجسر ) ( وبين ظهري ) و ( على ) ، وكلها أسهمت في إعطاء التركيب بنياته التأثيرية النبئية النبوية وفي حين نجد الرواية الأولى تخبر عن وجود كلاليب في جهنم وشبهتها بشوك السعدان نجد الرواية الثانية يتسع خبرها عن هذا الشأن وتختلف عن الرواية الأولى التي جعلت الكلاليب في جهنم بينما الرواية الثانية تجعل ذلك وزيادة من خصائص الجسر ذاته . وتشتركان في التشبيه بشوك السعدان .

إلا أن الزيادة في الرواية الثانية كانت أدخل في بيانية البيان التصويري التشبيهي من حيث التعدد والتنوع مما أسهم في إغناء الصورة واكتنازها فرائد بيانية تصويرية تبعث الخوف والفرع وتبث الرعب حين تتعاهدها فطرة القلوب السليمة وتراجعها العقول المستبينة للحق واليقين .

والصورة البيانية مجتمعة تشترك في أنها جاءت للتمثيل والتقريب والإيضاح والتبيين دون التقييد في الشكل أو الحجم وذلك واضح في قوله ﷺ : ( غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله ) كما أن تعدد المشبه به يدل على تنوع شدائد وأحوال ذلك الصراط خاصة وجهنم عامة ذلك أنه جاء في الرواية الأولى أن الكلاليب في جهنم وليس في الصراط وفي تنوعها إحياء – والله أعلم – أن ذلك بتباين أحوال الناس المارين فمن سبق عليه القول بأن يناله شيء من ذلك نتيجة ما جنت يدها فإنها تأخذه بحسب ذنبه تحقيقاً لما جاء في القرآن والسنة : قال تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضًى ثُمَّ أَنْجَى

الذين اتقوا وندم الظالمين فيها جثيا ﴿ [ مريم ٧١-٧٢ ] . وقال تعالى : ﴿ وإن الذين لا يقننون بالآخره  
عن الصراط لناكبون ﴾ [ آية ٧٤ المؤمنون ] .

وأما ما جاء في السنة عن توضيح حال المارين فهو جلي في الروايتين إلا أن الرواية الثانية امتازت بغلبة البيان والولوج في تفصيل الأمر أكثر من الرواية الأولى وقد صرحت الرواية الأولى بلفظ الخطف في قوله ﷺ : ( تخطف الناس بأعمالهم ) أي بسبب أعمالهم السيئة وكأنهم أخذوا على حين غرة من أمرهم فقد أخذوا في عبور الجسر ففاجأتهم عظام أموره فتقتص من كل حسب ما أمرت به وما أنبأها به العليم الخبير . فسيحان الذي خلقها وهبأها لهذا الشأن والله المستعان .

أما عن أحوال المارين على الصراط في الروايتين فقد اجتمعتا على تعدد الأحوال وهذا ما يتبين في الرواية الأولى من خلال تعدد واختلاف الروايات حول المفردة والتي بتغيرها يتغير الحال ويمكن أن نحصرها حسب رواياتها كالتالي :-

- ١- المؤمن يقى بعمله      ٢- الموثق      ٣- الموبق

والأول صريح في بيان حال الناجين السالمين وهذا ما جاء صريحاً في الرواية الثانية وجاء الكشف عن تباين سرعة مرورهم في قوله ﷺ : ( فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالطير وكأجويد الخيل والركاب ) وجاء أيضاً قوله ﷺ : ( فجاج مسلم ) .

ثم يأتي الحالان الثاني والثالث وينضم إليهما ( المجازي حتى ينجي ) و ( المخردل ) ( والمجردل ) وما جاء في الرواية الثانية من قوله ﷺ ( مخدوش مرسل ) و ( مكدوس في نار جهنم ) .

وكلها تنضم أو تجتمع تحت ثلاث طوائف :-

الطائفة الأولى : الناجين السالمين .

الطائفة الثانية : المجازين المرسلين .

الطائفة الثالثة : الهاوين الساقطين في النار .

وكل ما ورد من روايات تعددت فيها الأحوال كان بياناً وكشفاً عن كيفية الأخذ والمجازاة .

في قوله ﷺ : ( كطرف العين والبرق والريح والطير وكأجاويد الخيل والركاب ) نجد التصوير البياني التشبيهي يحمل طابع التدرج من الأعلى إلى الأدنى في رسم توضيحي كسفي تقريبي لذلك الحال. فالمشبه به متعدد وقد استفاد التشبيه من تعدده التفاوت في تحديد مقدار السرعة التي يمر بها المؤمنون

على الصراط مسبينين من ذلك - والله أعلم - تباين منازلهم ودرجاتهم في الجنة . قال تعالى : ﴿ ومن

يأتته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها .

وذلك جزاء من تركي ) . [ طه ( ٧٥ - ٧٦ ) ] .

والطائفة الثالثة من طوائف المارين وهي : الهاوين الساقطين في النار لعلها - والله أعلم - من قد سبق لهم في علم الله أنهم مخرجون برحمة الله من النار وذلك لعمل صالح قدموه وإن قل ، أو لمجرد الإيمان . ونستدل على ذلك بمرورهم على الصراط وأن الروايتين اتفقتا على أن من كان يعبد غير الله قد قضى الأمر فيه قبل ضرب الصراط ، قال ﷺ في الرواية الأولى : ( وتبقى الأمة فيها منافقوها ) وقال ﷺ في الرواية الثانية : ( حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر ) .

أما وجود المنافقين والفجار فلا يعارض ذلك لأن بقاءهم حتى آخر امتحان يمر به المؤمنون وذلك قبل ضرب الصراط أيضاً - قال ﷺ في الرواية الأولى ( وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون . فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا . فإذا جاء ربنا عرفناه . فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون . فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه )

وقال العلماء بأن الاستعاذة هنا تقع من المؤمنين ( وأنه آخر اختبار لهم ، ويعرفونه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له ، سبحانه وتعالى لأنهم يرونه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته وقد علموا أنه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته فيعلمون أنه ربهم . فيقولون : أنت ربنا . وإنما عبر بالصورة عن الصفة ، لمشابتها إيها ، ولمجانسة الكلام فإنه تقدم ذكر الصورة ) . (١)

أما المنافقون ( إنما بقوا في زمرة المؤمنين لأنهم كانوا في الدنيا متسترين بهم ، فيتسترون بهم أيضاً في الآخرة ، وسلخوا مسلكهم ودخلوا في جملتهم ، وتبعوهم ، ومشوا في نورهم ، حتى ضرب بينهم بسور ، له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، وذهب عنهم نور المؤمنين ) . (٢)

( والله جل جلاله لا يراه المنافقون بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين وليس في هذا الحديث - الرواية الأولى - تصريح برويتهم الله تعالى ، وإنما فيه أن الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرون الصورة ، ثم بعد ذلك يرون الله تعالى ، وهذا لا يقتضي أن يراه جميعهم ، وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المنافق لا يراه سبحانه وتعالى والله أعلم ) . (٣)

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ج ٣ - ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٢١ .

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٢٧ .

فإذا كانت الرؤية محجوبة عن المنافقين ، والحديث في روايته الأولى يذكر أن المؤمنين بعد رؤيتهم الله يتبعونه ، وكان قول السلف بعدم رؤية المنافقين بالإجماع . فلعل - والله أعلم - أنه بعد تلك الرؤية للمؤمنين وإتباعهم الله عز وجل يسير معهم المنافقون حتى يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهنا تنقطع الصلة بين المؤمنين والمنافقين وحينما يصل المؤمنون إلى ما قدر الله أن يكون الصراط يقفون فيضرب الصراط بين ظهري جهنم والله أعلم .

ويعضد ذلك ما جاء في الرواية الثانية استنشاء بقوله ﷺ ( حتى إذا لم يبق إلا مَنْ كان يعبد الله من بر وفاجر ..... ، فيكشف عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ..... ) .

فالفاجر في هذه الرواية يقابل المنافق وكما انتهى الموقف في الرواية الأولى بحجب المنافق عن الرؤية لله وانقطاع النور عنه حتى يتخبط في ظلمات ترديه جهنم فكذلك الفاجر هنا ينتهي به الموقف بعد عدم استطاعته السجود . إلى النار قبل أن يضرب الصراط .

ثم إن الرواية الثانية حملت ما يمكن أن نسترشد به على أن الطائفة الثالثة من المارين على الجسر هم من تجوز الشفاعة فيهم وذلك في قوله ﷺ ( ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ) فورود ذكر الشفاعة هنا بعد ضرب الصراط وقول الرسل : اللهم ! سلم . سلم . هاتان إشارتان ترمز إلى أن الخالدين في النار قد انتهى بهم الأمر إلى مصيرهم قبل هذا الموقف والله أعلم .  
أحوال المشفوع لهم :-

١- من قال لا إله إلا الله وله عمل صالح يدل عليه قوله ﷺ : ( يعرفونهم بأثر السجود )  
( فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ) .

٢- من في قلبه مثقال دينار من خير .

٣- من في قلبه مثقال نصف دينار من خير .

٤- من في قلبه مثقال حبة من شعير من إيمان .

٥- من في قلبه مثقال حبة من بر من إيمان .

٦- من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .

٧- من في قلبه مثقال حبة من ذرة من إيمان .

٨- من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان .

٩- من لم يعملوا خيراً قط وهؤلاء يخرجون برحمة الله ( وهم الذين معهم مجرد الإيمان وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم وإنما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم دليلاً عليه . وتفرد الله عز وجل بعلم ما تكنه القلوب ) . (١)

١- وقال ﷺ : ( حَرَّمَ الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ) . (٢)

٢- قال ﷺ : ( فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً ، فيلقى في نهر في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل . ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر ، و ما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ؟ فقالوا : يا رسول الله ! كأنك كنت ترعى بالبادية . قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ) . (٣)

٣- وقال ﷺ : ( أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابهم النار بذنوبهم أو قال - بخطاياهم - فأماتهم إماتة ، حتى إذا كانوا حمماً أذن بالشفاعة فجئ بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ) (٤)

هذه الروايات الثلاث جاء فيها الامتتان الإلهي في أربع مراحل من حالات هؤلاء المشفوع لهم خاصة وتتمثل تلك المراحل في :-

١- الإماتة بعد التعذيب وهذا من الرحمة الإلهية لأن أهل النار الخالدين فيها لا يموتون فيها ولا يحيون. وهذا ما جاءت الرواية الثالثة به تصريحاً لفظياً . أما الروايتان السابقتان عليها فقد فهم ذلك ضمناً من معنى الحديث في قوله ﷺ : ( حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ) واستثناء أثر السجود من الأكل يعني أن بقية الجسم قد أكلت وذهبت كما يمكننا أن نتلمس من كلمة الأكل الإحياء بالإماتة المؤقتة .

٢- الخروج من النار بعد ان احترقوا وأميتوا .

٣- إحياءهم بما ذكرته الروايتان الأولى والثانية من صب ماء الحياة عليهم أو إلقائهم في نهر الحياة وما جاء في الثالثة من بثهم على أنهار الجنة .

٤- اكتمال بنيتهم الجسدية وقوتهم . واكتمال جمالهم حتى خرجوا في صفاء اللؤلؤ .

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ج ٣ - ص ٣٢ .

(٢) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٣٢-٣٣ .

(٤) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٣٧ .

والصورة البيانية التشبيهية في أكثر الروايات عن حالة أولئك الذين عادوا حمماً تلتقي في الأركان التشبيهية الأساسية مع زيادة في المبنى في بعض الروايات مما يؤدي إلى زيادة المعنى وذلك يتضح بالتدقيق في دقائق الصورة البيانية من حيث تفصيلات أطرافها الأساسية .

فالمشبه هو حال المذنبين الذين عادوا حمماً في النار ممن كان لهم عمل صالح إلى جانب التوحيد . وهذا ما جاء صريحاً في الرواية الأولى للحديث والرواية الثالثة الآنفه ، وجاء في هاتين الروايتين أنهم يخرجون بشفاعة احد . أما الرواية الثانية فقد صرحت بأن أولئك الخارجين من النار ليس لهم عمل خير قط وإنما شملتهم الرحمة الإلهية بمجرد الإيمان لذلك جاء في الرواية ( فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ) .

فالمشبه تتفاوت حالاته ما بين مجرد الإيمان وبين الزيادة عليه بعمل خير ما وهذا يفسره اختلاف الناس فيما تصل إليه النار فهم كما صرحت بذلك الرواية الأولى والثانية للحديث . وفي المشبه به نجد أن عنصر الإنبات في مكان مخصوص هو أساس بناء التصوير ، ثم تصحب ذلك عناصر تفصيلية لحالاته تزيد المعنى وضوحاً وبياناً وذلك تقريباً لأفهام السامعين ولأن الشيء إذا تكشفت تفصيلات بنائه وعرفت دقائق تكوينه كان ذلك زيادة في اليقين به .

قال ﷺ : ( يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعاريير قلت : وما الثعاريير ؟ قال : الضغابيس )<sup>(١)</sup>

هذا الحديث يسير في ركب الحديث السابق في الإخبار عن خروج قوم من النار بالشفاعة إلا أن صفتهم هنا وردت بغير ما وصفوا به في الحديث السابق وإن كانا يلتقيان في المعنى المراد من التصوير البياني وهو إعادة نشأتهم بعد عذابهم وتكون بداية تلك النشأة ضعفاً وليناً وسرعة نمو حتى يكتمل بناؤهم بالرحمة الربانية

( الثعاريير : واحدها ثعور كعصفور ، وقيل هي : قثاء صغار ، وقيل : نبت كالقطن ينبت في الرمل ينسبط عليه ولا يطول وقيل : الأقط الرطب . والضغابيس : نبات يسلق ثم يؤكل بالزيت والخل ، وقيل ينبت في أصول الشجر وفي الأنخر يخرج قدر شبر في دقة الأصابع لا ورق له وفيه حموضة ، وفي غريب الحديث للحربي : الضغبوس شجرة على طول الإصبع وشبه به الرجل الضعيف . وهذا التشبيه لصفته بعد أن ينبتوا وأما في أول خروجهم من النار فإنهم يكونون كالفحم ) .<sup>(٢)</sup>

(١) فتح الباري - ج ١١ - ص ٤٩٧ .

(٢) المصدر السابق - ج ١١ - ص ٥٠١ .



( وورد في معنى الضغابيس : أنها صغار القثاء واحدها ضغبوس ، وقيل : نبت ينبت في أصول الثمام يشبه الهليون يسلق بالخل والزيت ويؤكل .

الثعارير : هي القثاء الصغار شبهوا بها لأن القثاء ينمي سريعاً ، وقيل هي : رؤوس الطراثيث تكون بيضاً شبهوا ببياضها واحدها طرثوث وهو نبت يؤكل . (١)

في قوله ﷺ : ( كأنهم الثعارير ) تصوير بياني يقوم على :

المشبه : هيئة أولئك الخارجين من النار .

المشبه به : الثعارير .

أداة التشبيه : كأن .

وجه الشبه : الدقة واللين والضعف والبياض .

الغرض من التشبيه : بيان حالهم .

ويتبع الأحاديث السابقة المختصة بالشفاعة قوله ﷺ :

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : ( يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيره ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة ) (٢)

وفي رواية أخرى ( ... فأقول يارب أمتي أمتي فيقال لي انطلق ، فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل ) (٣)

تتضمن الأحاديث السابقة من تدركهم الشفاعة وتحل عليهم الرحمة فتستنقذهم من النار وإن بدا التمثيل التقريبي لأقل ما تحمله تلك القلوب من الخير والإيمان قد تضاعل إلى الحد الذي يقف فيه على مشارف الشهادة التوحيدية بجانب الأقل الأقل من الإيمان إن- بدا ذلك - فلا يغرنك بالله الغرور ولا تلهك عن نفسك واستنقاذها الشهوات والهفوات قال تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ [ الانفطار - ٦ ] .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير - ج ١ ص ٢١٠ + ج ٢ ص ٨٣

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٥٦

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٥٩ .

وقال تعالى ﴿فلا تعزكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [ لقمان- ٣٣ ] ، فلا خطاب للمذنبين يوم الدين إلا ﴿ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحياة الدنيا ﴾ [ الجاثية- ٣٥ ] ، ﴿ وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرتكم بالله الغرور ﴾ [ الحديد- ١٤ ]

فإن كانت قد طرحت حقيقة الرحمة الربانية والإذن بالشفاعة للملائكة والنبیین والمؤمنين فإن تحذيرات العذاب وتنبيهات العقاب لن تزال قائمة مسطرة في الذكر الحكيم قال تعالى ﴿ نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ [ الحجر ٤٩-٥٠ ] .

وقد أخبرت النبوءة النبوية بما عهد به إليها ربها من الشفاعة في أمته ، ولا يوقع ذلك ضعاف الأنفس في التواكل فما يدريك أن تدرك تلك الكرامة ، بل يجب أن تكد وتجتهد لتنمي بذرة الخير والإيمان في قلبك وتثمر شهادة التوحيد ثمار الحق واليقين فتؤتي أكلها في رفع ميزان حسناتك وتثبت قدمك على الصراط .

والتصوير البياني في الأحاديث السابقة قام على التمثيل بأقل مقدار للإيمان في قوله ( ما يزن شعيرة ، ما يزن إبرة ، ما يزن ذرة ، مثقال حبة من خردل ) وكلها على سبيل الاستعارة المكنية في تشبيه الإيمان والخير بالجسم الذي يوزن ويكون له ثقل ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو الوزن والمثقال على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية .

وقوله ﷺ : ( أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان ) كناية عن أقل مقدار من الإيمان .

( الخير في الحقيقية ما يقرب العبد إلى الله وما ذلك إلا الإيمان . وفيه استعارة بالكناية بيانه أن الوزن إنما يتصور في الأجسام دون المعاني والإيمان معنى ولكنه شبه الإيمان بالجسم فأضيف إليه ما هو من لوازم الجسم وهو الوزن وفيه تنكير خير الذي هو الإيمان بالتتوين التي تدل على التقليل ترغيباً في تحصيله ) (١)

(١) عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري - للعيني - ج ١ - ص ٢٦٠

## المبحث الرابع : الحوض

### ٤-الحوض

( الحوض : الذي يجمع فيه الماء ويجمع على أحواض وحياض ، والأحاديث التي وردت فيه كثيرة بحيث صارت متواترة من جهة المعنى . والإيمان به واجب ، وهو الكوثر على باب الجنة يسقى المؤمنون منه وهو مخلوق اليوم ، وقال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون إلى العكس والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرًا ) . (١)

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى مقبره فقال : ( السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإننا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا أولسنا إخوانك ، يا رسول الله ! قال : أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك ؟ يا رسول الله ! فقال : أرايت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطكم على الحوض ، ألا ليأذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحراً سحراً ) (٢)

( في حديث الحوض : إني لبعقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن ، أي : أطردهم وأدفعهم ) (٣) في قوله ﷺ : ( فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ) تصوير بياني قام على تشبيه تنوير وبياض أماكن الوضوء عند المؤمنين بالغرة والتحجيل في الخيل ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .

( قال الإمام الحافظ أبو عمرو بن عبد البر : كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء قال : وكذلك الظلمة المسرفون في الجور ، وطمس الحق والمعلنون بالكبائر قال : وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر ) (٤)

في قوله ﷺ : ( ألا ليأذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال ) صورة بيانية تشبيهية تقوم أركانها على : المشبه : ذود رجال عن حوض النبي ﷺ .

(١) عمدة القارئ - ج ٢٣ - ص ١٣٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء - ج ٣ ص ١٣١ - ١٣٢

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير - ج ١ - ص ٦١٤

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ١٣٠

المشبه به : ذود البعير الضال .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الطرد والإبعاد والإقصاء .

وقد جاء وصف البعير بأنه ضال مما يوحي بضلال أولئك المبعدين عن الحوض وانحرافهم عن الدين والسنة النبوية . والصورة البيانية في الحديث هي مما يقع في الدنيا وتعرفه البادية وتدركه العقول عامة ، والتقابل بين الصورتين : الدنيوية في ذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه ومرتعته . والأخروية في ذود الرسول ﷺ بعض الناس عن حوضه بسبب انحرافهم عن ملته وابتداعهم ما ليس منها وإدخاله فيها وإن كان ذلك التقابل قد قرب الصورة وأوضح المقصود إلا أن الصورة الأخروية تبعد في مضامينها الإيحائية حتى تبلغ حد النفي والإبعاد من الجنة كما صرحت بذلك أحاديث أخرى .

قال الرسول ﷺ : ( بينا أنا نائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم ، فقلت أين ؟ قال : إلى النار والله ، قلت وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم فقال : هلم ، قلت أين ؟ قال : إلى النار والله ، قلت وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم )<sup>(١)</sup> .

والهمل بفتح الحين الإبل بلا راع والمعنى أنه لا يرده منهم إلا القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره<sup>(٢)</sup> . في قوله ﷺ : ( على أدبارهم القهقري ) كناية عن الردة عن الإسلام ، وترك تعاليمه ، والعودة إلى الجهل والكفر . وفي قوله ﷺ : ( فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم ) تصوير بياني تشبيهي تتمثل أركانه في :

المشبه : العدد الذي يرد حوض النبي ﷺ .

المشبه به : هُمْلُ النعم .

أداة التشبيه : مثل .

وجه الشبه : القلة .

الغرض من التشبيه : بيان المقدار والعدد .

وقال ﷺ : ( أنا فرطكم على الحوض ، من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم )<sup>(٣)</sup>

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ص ٥٥٧ .

(٢) فتح الباري - ج ١١ - ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٥ - ص ٥٤

قوله ( لم يظماً ) كناية عن أنه يدخل الجنة لأنه صفة من يدخلها . (١)

وقال ﷺ : ( حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظماً بعده أبداً ) (٢)

قوله ( ماؤه أبيض من الورق ) الورق : الفضة وهو كناية عن شدة بياضه .

( أطيب من المسك ) كناية عن طيب رائحته .

قوله ﷺ : : ( كيزانه كنجوم السماء ) فيه تصوير بياني تشبيهي :

المشبه : كيزان حوض الرسول ﷺ .

المشبه به : نجوم السماء .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الكثرة واللمعان والجمال .

الغرض من التشبيه : البيان والإيضاح والتقريب .

وفي قوله ﷺ : أنيته عدد النجوم تصوير بياني تشبيهي الغرض منه بيان كثرة أنيته .

وأيضاً ما نجده في قوله ( أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيلة ) (٣)

قال أهل اللغة : الغرة بياض في جبهة الفرس ، والتحجيلة : بياض في يديها ورجليها قال العلماء : سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجلاً تشبيهاً بغرة الفرس (٤)

( الغرة : بياض يكون في وجه الفرس ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : الغرة عبد أبيض أو أمة بيضاء وسمي غرة لبياضه فلا يقبل في الدية عبد أسود ولا جارية سوداء . وفي الحديث ( غر محجلون من آثار الوضوء ) الغر : جمع الأغر من الغرة : بياض الوجه ، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة ومنه الحديث : ( في صوم الأيام الغر ) أي البيض الليلي بالقمر وهي ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر ) (٥)

(١) عمدة القارئ - ج ٢٤ - ص ١٧٧ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٥ - ص ٥٥ .

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق - ج ٣ - ص ١٢٩ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير - ج ٢ - ص ٢٩٦ .

( حجل : في صفة الخيل : خير الخيل الأفرح المحجل ) وهو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين لأنهما مواضع الأحبال وهي : الخلاخيل والقيود ومنه حديث ( أمتي الغر المحجلون ) أي ببيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه (١)

( إسباغ : السبوغ : الشمول : ومنه الحديث ( كان اسم درع النبي ﷺ ذو السبوغ لتمامها وسعتها ) ومنه حديث ( أسبغوا لليتيم في النفقة ) أي انفقوا عليه تمام ما يحتاج إليه ووسعوا عليه فيها ) . (٢)

هذه الكرامة بأثار الوضوء وكل ما للمسلم من الإسلام كرامة ، وقد ورد قوله ﷺ ( أنتم الغر المحجلون ) بالصيغة الاسمية الثبوتية التي تقرر المعنى في النفوس ، وتفتح لها باب الاتساع في الزيادة من هذا التكريم بعد أن أوضح قوله ( من إسباغ الوضوء ) أن تلك الغرة وذلك التحجيل سببه وأس وجوده إسباغ الوضوء وتام تغطية الأعضاء به .

وقوله ( من استطاع ) توحى بالترغيب والحث الذي أعقبه فعل الأمر في قوله ( فليطل ) ليلبغ بالخبر ذروته ولترتقي الصورة البيانية في فضاء الرحمة الربانية والبشارة النبوية فتقع من النفوس موقعاً .

والصورة البيانية التي أطلت منها النبوءة النبوية بنور البشارة في الدنيا تعيش في كنف البلاغة الاستعارية حيث شبه النور الذي يكون في موضع الوضوء بغرة الفرس وتحجيلة ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير - ج ١ - ص ٣٣٨ ، ٣٣٩

(٢) المصدر السابق - ج ١ - ص ٧٥١

## المبحث الخامس : من أحوال الجنة وأهلها

### هـ- من أحوال الجنة وأهلها

١- قال رسول الله ﷺ : ( أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما في الجنة عزب ) .<sup>(١)</sup>

قال تعالى ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنها سلام عليكم طيناً فادخلوها خالدين ﴾ [ الزمر - ٧٣ ]

في هذه النبوة بيان عن هيئة الخلقة التي ينعم بها أهل الجنة وأهلوه ، فجمال الباطن يقابله جمال الظاهر وما دام الباطن قد بلغ الذروة في الجمال الإيماني حتى أبلغ صاحبة مداخل الجنة وهياً له القرار ووضع في استقباله زوجتان لهما من الجمال وفيهما من الحسن ما يزيده نعيماً فوق نعيم فحق حينئذ أن يكون جمال مظهره منبئاً عن جمال مخبره وكفناً له . قال تعالى ﴿ إن هذا كان لكرم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾ [ الإنسان - ٢٢ ] .

فاجتمع لأصحاب الجنة النعيم من عدة طرق :

- ١- الإيمان الذي أضاء بواطنهم وأصلح سرائرهم .
  - ٢- الجمال الظاهري الذي أضاءت به وجوههم وأعاد بنية الشباب في أجسادهم .
  - ٣- الحور العين .
  - ٤- دخول الجنة الذي يمحو من النفس والجسد كل عذاب دنيوي .
  - ٥- طمأنينة الخلود في الجنة .
- والزمرة الأولى جاءت على صورة القمر في زمن مخصوص فجاء القيد في العبارة بلفظ ( ليلة البدر ) ليزيد التأكيد على كمال الجمال في الإضاءة والاستدارة معاً . ثم تأتي الزمرة الثانية على أضوأ كوكب دري في السماء والكوكب الدري هو ( الكوكب العظيم سمي درياً لبياضه كالدر وقيل لإضاءته وقيل : لشبهه بالدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر )<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم بشرح النووي - بابا أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، وصفاتهم وأزواجهم - ج ١٧ - ص ١٦٩

<sup>(٢)</sup> المصدر السابق - ج ١٧ - ص ١٦٧

وقد جاء في روايات أخرى للحديث أن من أوصافهم :

( لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء ) ( ١ )  
وفي رواية أخرى ( .. لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشياً ) ( ٢ )  
وفي رواية أخرى ( ... قالوا فما بال الطعام ، قال : جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس ) ( ٣ )

والروايات السابقة تزيد في إيضاح النعيم الذي يهنأ به أولئك الفائزون بالجنة ، ويتضمن نعيماً باطنياً وظاهرياً ، فيضاف إلى الطرق السابقة المذكورة التي جاءهم منها النعيم ، يضاف إليها ما يلي :

٦- انتفاء ما يناقض ذلك النعيم من التبول وغيره ، أما الرشح فقد وردت عبارته بصيغة الجملة الاسمية المقررة ثبوت الحال في قوله ( رشحهم المسك ) وهذا من زيادة النعيم فأجسادهم طيبة الظاهر والباطن والطيب لا يطرح إلا طيباً وفي قوله ( ورشح كرشح المسك ) إيضاح لحال ذلك الرشح فهو قد يشابه العرق الدنيوي صورة لكنه يفوح بعبق المسك ورائحته .

٧- اتحاد الخلقة وتساوي أقدارها الجسمية والنفسية : أما الجسمية فكما جاء في الحديث ( على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً ) وأما النفسية فكما جاء في الحديث ( قلوبهم قلب واحد ) ( لا اختلاف بينهم ولا تباغض ) ( يسبحون الله بكرة وعشياً ) .

٨- نعمة الإلهام للذكر التي تعادل الإلهام في النفس وذلك مما يزيد النور نوراً، فكما تكون الحياة بالأنفاس تكون سعادة تلك الحياة بالذكر لله .

( والصورة في الحديث بمعنى الصفة أي أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه ومقتضى هذا أن أبواب الجنة متفاوتة بحسب درجاتهم ، ونعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم ، فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم عن نتن وإنما هي لذات متوالية ونعم متتابعة قال تعالى ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا جُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴾ [ طه ١١٨-١١٩ ] ، وحكمة ذلك أن

الله نعمهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله ( ٤ )

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٧ - ص ١٧٠ - باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم .

(٢) المصدر السابق - ج ١٧ - ص ١٧١ - باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً .

(٣) المصدر السابق - ج ١٧ - ص ١٧٢ - باب في صفة الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً .

(٤) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي - ج ٧ - ص ١٧٩ - ١٨٠



( قلوبهم قلب واحد ) ( أي كقلب واحد مطهرة عن مذموم الأخلاق مكملة بمحاسنها . أن قلوبهم قد تنورت بمعرفة الله ، وأبصارهم قد تمتعت برؤيته ، وقد غمرتهم سواغب نعمته ، وامتألت أفئدتهم بمحبة فأسنتهم ملازمة ذكره ) (١)

( هذه الأمة المختارة تدخل الجنة على هيئة حسنة لطيفة تكريماً لها لما أحسنت في أولها فأنعم عليها ربها في آخرها ، والمرء يستشعر من قراءة النص أن الشيء واحد فلا فرق بينهم إذ أنهم يكادون يكونون حقيقة القمر في ضيائه ونوره ولألأته وأن القلوب جمعت في قلب واحد من شدة الحب والصفاء ) . (٢)

وقد تمثل التصوير البياني في روايات الحديث السابق المتعددة في عدة زوايا :

١- التشبيه : قوله ( إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ) ، المشبه : هيئة أول زمرة تدخل الجنة ، المشبه به : إضاءة القمر ليلة البدر . ، الوجه : الإضاءة والصفاء والبياض والاستدارة

الغرض : بيان مقدار تلك النضارة وشدتها وصفائها واكتمال الهيئة التكوينية جمالاً وإضاءة .

وفي قوله ﷺ ( على صورة القمر ) ما يوحي بطبيعة الخلقة التي يكونون عليها وأن صورة القمر ليلة البدر استنارة واستدارة قد تمثلتها تلك الطبيعة فهي جزء من تكوينها وليست عرضاً فيها . فلقد بقيت للإنسان اتجاهات الشكل في التكوين الخارجي إلا أن الهيئة غير الهيئة إذ ارتقت بهم سلامتهم من النار إلى مراتب في الخلقة لم تعدها البشرية من الكمال والجمال .

٢- كما نجد في قوله ( والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء ) تشبيه

و المشبه : وجوه الزمرة التالية للأولى

المشبه به : إضاءة الكوكب الدري

الوجه : الإضاءة والبياض

الغرض : بيان مقدار تلك الإضاءة .

كذلك قوله ( على أضواء كوكب دري ) يبسط في المعنى أن دخول تلك الهيئة في الإضاءة والجمال هو في أصل التكوين الخلقي لهم وليس ذلك بريقاً ظاهراً ولا عرضاً زائلاً .

(١) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم - ج ٧ - ص ١٨١ .  
(٢) مشاهد القيامة في الحديث النبوي - احمد محمد العلى - ص ٣٣٨ .

٣- ( يرى مخ سوقها من وراء اللحم ) كناية عن شدة الصفاء والبياض .

٤- ( ورشحهم المسك ) ( جشاء ورشح كرشح المسك ) .

هذا هو عرق أهل الجنة وما ينتج من تلذذهم بالطعام والشراب ، وذلك لانتفاء القذارات عنهم مما كان في الدنيا ، فهو عرق ورشح له من الحال الدنيوي الاسم فقط أما محتواه فهو المسك والطيب الذي تتناسب حاله مع حال المكان وتليق بحال المكرمين فيه .

( وشحهم المسك ) جاء بالصيغة الثبوتية التقريرية لكنه ذلك الرشح وحقيقة تكوينه دون ذكر أداة التشبيه لزيادة التأكيد في الثبوت .

( رشح كرشح المسك ) فيها ما ينبئ عن عطرية تلك الأجساد فالرشح إذا كان يفوح بريح المسك فلأن طيب الأصل والتكوين قد كان مسكاً في ذلك الجسد .

٥- ( قلوبهم قلب واحد ) أضحت قلوب جميع ساكني الجنة من تلك الزمرة كالقلب الواحد في الصفاء والنقاء والمحبة والذكر لله وانتفاء الحسد والبغضاء وعوارضهما منها ، وصيغة الجملة البيانية تنبئ عن انتهاء تلك الحال إلى الغاية في الوحدة والخيرية وفي ذلك كناية عن صفائها وسلامتها من عوارض القلوب في الحياة الدنيا واتحادها وتساويها في الذكر والتسبيح لله عز وجل .

وفيهما تصوير بياني تشبيهي :

المشبه : قلوب الزمرة الأولى التي تدخل الجنة .

المشبه به : قلب واحد .

وجه الشبه : الاتحاد فيما تضمنته من ذكر الله .

الغرض : الكشف والبيان عن مبلغ الوحدة التكوينية المعنوية التي ملأت تلك القلوب وعمرتها .

٦- ( يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس )

المشبه : إلهام الذكر .

المشبه به : إلهام النفس . أداة التشبيه : الكاف .

الوجه : صدور كل منهما لا عن كلفة ولا عن مشقة ولا عن تكليف ، وإنما قد أصبح هذا الذكر حياة تجري في ذلك الجسد وتخالط تلك الأنفاس ، فقد اتخذ صفة الديمومة والملازمة تكريماً وتشريفاً لتلك النفوس المطمئنة والأجساد الطيبة .

الغرض من التشبيه : بيان صفة الذكر الملازمة لهم وبيان هيئته وحاله وتقريب ذلك للأذهان ، فقد خالط من الأنفاس أرواحها ومن الأجساد دماءها ، لتتجلى القدرة الإلهية في إعادة التركيب الجسدي وبناء التكوين الداخلي الذي يمد الجسد بما يحييه ويحفظ فيه نضارته وصلاحيته بباطنه بعمارته بالذكر لله .

وإذا كان الحديث السابق عاماً في أول زمر تدخل الجنة فإن الحديث التالي مختص بفئة معينة من أهل الجنة وهم السبعون ألفاً وإن ورد في بعض الروايات بياناً للهيئة التي يكونون عليها حين دخول الجنة في هيئة مقاربة للزمرة الأولى في الحديث السابق .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ( يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ) ، وفي رواية ( ..... زمرة واحدة منهم على صورة القمر ) ، وفي رواية ( متماسكون آخذ بعضهم بعضاً لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ) .<sup>(١)</sup>

الزمرة : ( الجماعة في تفرقة بعضها في إثر بعض ) .<sup>(٢)</sup>

قوله ( تضيء وجوههم إضاءة القمر )

المشبه : إضاءة وجوه المؤمنين من السبعين ألفاً

المشبه به : ضوء القمر ليلة البدر

الغرض : بيان مقدار الإضاءة التي تكون عليها وجوه السبعين ألفاً قال تعالى ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [الجمعة ٤]

شملت الرحمة الربانية والفضل الإلهي أولئك السبعين ألفاً فأدخلهم الجنة وجاء من أوصافهم أن الكرامة تحل منهم محل الإضاءة من القمر ليلة البدر فتضيء وجوههم وتشرق نفوسهم وتطمئن قلوبهم ألم يرض عنهم ربهم فأدخلهم جناته بغير حساب .

وتعبير الفعل ( تضيء ) بالصيغة المضارعة ينبئ عن ذاتية الإضاءة في تلك الوجوه استبشاراً وسروراً وحبوراً وزاد في فاعليتها اشتقاق لفظ إضاءة لتستقر الهيئة الحاصلة من الشبه بين إضاءة وجوههم وإضاءة القمر مع خصوصية ليلة البدر .

وجاء في رواية أخرى أن زمرة واحدة من السبعين ألفاً تكون صورتهم على صورة القمر واستبعد من العبارة لفظ المماثلة أو المشابهة أو حروف التقريب لتستيقن النفوس هيأتهم الجديدة كما أن عبارة ( على صورة القمر ) توحى بالتكوين التجديدي الذي قام فيهم .

والرواية الأولى جاء التصوير البياني للوجه خاصة وذلك في قوله ﷺ ( تضيئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ) وساعد في إيضاح ذلك البيان ورود الفعل ( تضيئ ) والمصدر إضاءة والتقيد بـ ( ليلة

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم بشرح النووي - باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب - ج ٣ - ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ .

<sup>(٢)</sup> المصدر السابق - ج ٣ - ص ٨٥ . - باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب .

البدر ) فكانت اسهامات هذه البنيات البيانية النبوية عاملاً مهماً في تقريب تلك النبوءة ورسم تلك الحقيقة الكائنة فقد ابتدرت البيان التشبيهي عناصر البيان النبوي بنية وتركيباً وتصويراً .

أما الرواية الثانية فقد ورد فيها قوله ﷺ ( زمرة واحدة منهم على صورة القمر ) وفيها إحياء تمدنا به بنيتها اللغوية والتركيبية أن الصورة البيانية هنا فيها اتساع وشمول وامتداد تفتقر به عن خاصية الوجه في الصورة البيانية السابقة في الرواية الأولى .

والرواية الثالثة جاء فيها قوله ﷺ : ( وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ) بالصيغة الاسمية الثبوتية لا اكتمال وجوههم استدارة واستضاءة واستنارة ، والصورة البيانية في هذه الرواية تلتقي مع الصورة البيانية في الرواية الأولى وإن قدمت كل واحدة منها إشارات بيانية من جهة تختلف عن الأخرى ومن تلك الإشارات .

١- الفعل ( تضيء ) بإحياءاته التجديدية التأصيلية في التكوين الخلقي لتلك الزمرة . وإسناد الفعل إلى الوجوه والذي أكد بديهية تلك الإضاءة دون عوارض خارجية تأثيرية والذي يؤكد بدوره خصوصية البناء الخلقي لتلك الزمرة .

٢- قوله ﷺ : ( إضاءة القمر ليلة البدر ) جاء المصدر مضافاً إلى القمر فتحدد بذلك مصدر الإضاءة في المشبه به وزاد معالم هذا الطرف التصويري . قوله ﷺ ( ليلة البدر ) بما تمتلئ به من نور وضياء وصفاء .

٣- قوله ﷺ : ( على صورة القمر ) هذه العبارة التصويرية البيانية المفتوحة على جانبي التكوين الإنشائي لهم والشكل الخارجي أذاعت عقبها التشبيهي لخاصة الوجه كما جاء في الرواية الثالثة ( وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ) وبذلك تفتقر عن العموم الوارد في الرواية الثانية .

قال رسول الله ﷺ : ( يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ) .<sup>(١)</sup>

وتتوالى أوصاف الداخلين إلى الجنة ففي هذا الحديث تتجلى النبوءة عن وصف باطني لحال قلوب أولئك الداخلين إلى الجنة والكشف عن طبيعتها المقاربة في الخوف والرجاء لقلوب الطير .

قال ﷺ : ( ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار كل جواظ زنيم متكبر ) ، وقال ﷺ : ( رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره )<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - باب : يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير - ج ١٧ - ١٧٤

(٢) المفهم - ج ٧ - ص ١٦٨ + ص ١٧٠

في هذه النبوءة الكريمة بيان لصفة قلوب جماعة من أهل الجنة تكون أفئدتهم شبيهة أفئدة الطير في الخوف والفرح من الله تعالى ورهبة عقابه وفي أقوال الرسول ﷺ السابقة ما يفسر بلاغة الصورة البيانية وعمقها في الكشف عن المعنى المقصود .

كما أن في قوله ﷺ ( مثل أفئدة الطير ) ما يوحي بتعدد الأسباب لدخول الجنة وإن جمعها رابط التوحيد والإيمان يزيد ذلك يقيناً أن الجنة درجات والأحاديث في بيان ذلك كثيرة كما أن الآيات القرآنية قد أوضحت هذا الأمر قال تعالى ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم . . . . . وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ [ الواقعة - ١٠ ، ٢٧ ]

وقال ﷺ : ( إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ومثل له شجرة ذات ظل ، فقال أي ربي قدمني إلى هذه الشجرة ، أكون في ظلها واشرب من مائها حتى ترفع له شجرة عند باب الجنة فيسأل الله أن يدينه منها فيدينه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول : أي ربي أدخلنيها فيقول : يا ابن آدم أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ) (١)

وفي صفة القلوب الممتلئة خوفاً من الله قال تعالى ﴿ وبشر المخبين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ [ الحج - ٣٤-٣٥ ] ، وقال تعالى ﴿ يخافون يوماً تقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ [النور - ٣٧] ، وقال تعالى

﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أهر إلى ربهم راجعون ﴾ [المؤمنون - ٦٠]

وقوله ﷺ ( كل ضعيف ) (يعني أن الغالب على صفة أهل الجنة الضعيف عن نيل الدنيا علماً منهم بأنهم على جادة سفر ) . (٢)

وقوله ( يدخل الجنة قوم أفئدتهم مثل أفئدة الطير ) ( يحتمل أنه شبهها بها لضعفها ورقتها كما قال في أهل اليمن هم أرق قلوباً وأضعف أفئدة ) ويحتمل أنه أراد بها أنها مثلها في الخوف والهيبة وقد غلب الخوف على كثير من السلف حتى انصدعت قلوبهم فماتوا ) . (٣)

والصورة البيانية التشبيهية تتمثل في :

المشبه : أفئدة أقوام يدخلون الجنة .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٤١-٤٢

(٢) المفهم - ج ٧ - ص ١٦٩

(٣) المصدر السابق - ج ٧ - ص ١٧١

المشبه به : أفئدة الطير .

أداة التشبيه : مثل .

وجه الشبه : الخوف والفرع والرغبة والرقعة .

الغرض من التشبيه : الكشف والبيان والامتنان فقد كان ذلك الخوف وتلك الرغبة سبباً في النجاة من النار ودخول الجنة . قال تعالى : ﴿ تخافون يوماً تقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ [ النور - ٣٧ ] ، وقال تعالى : ﴿ تخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [ النحل - ٥٠ ] .

وجاء أن معنى الحديث : ( متوكلون ، وقيل : قلوبهم رقيقة وقوله ﷺ : يدخل الجنة ، ظاهره مع الفائزين كما يدل عليه سياقه في مقام المدح لهم ، وإلا فجميع أهل الإيمان يدخلون الجنة بوعد الله الذي لا يخلف .

أقوام : جمعٌ واحد قوم . وفي مفردات الراغب : القوم جماعة الرجل في الأصل دون النساء ، ولذا قال تعالى ﴿ لا يسخر قوم من قوم ﴾ ﴿ ولا نساء من نساء ﴾ [ الحجرات - ١١ ] . وفي عامة القرآن أريد به

الرجال والنساء . وظاهر أن ما نحن فيه من قبيل الثاني . مثل أفئدة الطير : جمع طائر ، ويقع على الواحد ، وجمعه طيور وأطيوار . وقيل معناه أقوام متوكلون ففي الحديث قوله ﷺ : ( لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بظانا ) وفيه إشارة إلى أنها لما لم تتسبب للأرزاق

بتدابيرها يسر الله وصول الرزق إليها مع ضعفها وقلة حيلتها ) . (١)

وبعد بيان وصف أحوال بعض الداخلين إلى الجنة نجد الوصف لحال نعيم الجنة قال رسول الله ﷺ :

( إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء ) . (٢)

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : ( إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من

فوقهم ، كما تترأون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم ..... ) . (٣)

الغرفة : البيت المعتلي يصعد إليه بدرج وهو أعز منزلاً من البيت الأرضي . (٤)

والغرف : جمع غرفة بضم الغين وسكون الراء ، وهي البيت المرتكز على بيت آخر ويقال له العلية

( بضم العين وكسر ها وبكسر اللام مشددة والتحتية كذلك ) . (٥)

والتصوير البياني جاء في قالب التشبيه وأركانه قامت على :-

المشبه : ترائي الغرف في الجنة .

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - محمد علي بن محمد علان المكي - ص ١٩٦ ، ١٩٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - باب : ترائي أهل الجنة أهل الغرف . كما يرى الكوكب في السماء - ج ١٧ - ص ١٦٧

(٣) المصدر السابق - ج ١٧ - ص ١٦٧-١٦٨ - باب : ترائي أهل الجنة أهل الغرف . كما يرى الكوكب في السماء -

(٤) التحرير والتنوير - ابن عاشور - ج ١٩ - ص ١٠٢

(٥) المصدر السابق - ج ٢٤ - ص ٥٧ .

المشبه به : ترائي الكوكب في السماء .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : ابتعاد المسافة وتفاوت الدرجات والمنازل .

والنبوءة أو الخبر الغيبي هنا يعيش في كنف الصورة البيانية التشبيهية وتلتئم عليه أطرافها متجلية في

إحياءات أركانها حقيقة نعيم أخروي تتاله طائفة مخصوصة قال تعالى ﴿ أولئك تجزؤون الغرف بما صبروا

ويلقون فيها خية وسلاما خالدین فيها حسنت مستقراً ومقاماً ﴾ [الفرقان ٧٥-٧٦] .

الجنة دار أخروية لا تحيط الذات البشرية بكيفيتها ولا يستطيع الذهن الولوج في عالمها ، فهي بعيدة عن

العالم المحسوس المعهود وبعيدة في ذات الوقت عن المحيط الذي ينطلق في حدوده التفكير الإنساني ،

لكن ثمة طريق واحد امتن الله به على عباده المؤمنين ليكون الفتح المبين في الإدراك البشري ذهنياً

وقلبياً وبصرياً وهو طريق الإيمان عامة والإيمان بالغيب خاصة فتعمل النواحي الثلاثة في تمثل ذلك

العالم الأخروي محاولة معايشة نعيمه حتى تتحسس العقول وتتلمسه القلوب ويعاينه البصر فتشرق

النفوس بنور الإيمان متطلعة إلى عطايا الكريم وجزيل ثوابه وقد صحبت ( إن ) البيان النبوي في هذه

النبوءة لتنتشر منذ البدء عبق الخبر حتى إذا بدأت تنفجر أسارير الذهن ألقت ظلال اللام في قوله

( ليتراءون ) فتقلب تلك الأسارير في أحضانها حتى تتفتح معها أنوار البصيرة فتبصر ما لا يبصره

البصر البشري بعيداً عن نورية الإيمان وصدق اليقين

قال تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبوئهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدین فيها نعيم أج

العالمین ﴾ [العنكبوت- ٥٨] ، وقال تعالى ﴿ لكن الذين اتقوا هم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري

من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾ [الزمر- ٢٠]

ومن نعيم الجنة ولذتها ومتعة الحياة فيها وزينتها قال رسول الله ﷺ : ( أن في الجنة لشجرة يسير الراكب

في ظلها مائة سنة ) .<sup>(١)</sup> ، وفي رواية عن أبي هريرة زاد : ( لا يقطعها ) .<sup>(٢)</sup> ، وفي رواية عن أبي

سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : ( إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع ، مائة عام ما

يقطعها ) .<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - باب : ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها - ج ١٧ - ص ١٦٥ .

(٢) المصدر السابق - ج ١٧ - ص ١٦٦ .

(٣) المصدر السابق - ج ١٧ - ص ١٦٦ .

هذه النبوة نقلة من عالم دنيوي إلى عالم أخروي وإن وجد فيه مسميات من عالمنا هذا إلا أن كنهها وكيفية خلقها تختلف كثيراً عما نعهده في الدنيا هنا إخبار عن جزء بسيط صغير من جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فالحديث ينقلنا نقلة فيها من المباشرة في التعبير ما يساعد العقل البشري على الإدراك والاتساع في الخيال ، وفيها من الغيب ما يجعل القلب تتحرك فيه طمأنينته ولتتسع بنور الإيمان منه إحياءات التصديق واليقين بحقيقة ما عند الله وصدق قول رسول الله ﷺ . والعقل والبصر البشري اعتادا الشجرة في الدنيا واعتادا السير في ظلها الصغير ويعلمون في الوقت ذاته مقدار المائة سنة الدنيوية ، ويعلمون سرعة الراكب ( على جواد مضمر ) هذه هي العناصر التي أعطت المباشرة في الخبر السابق . لكننا نقابل نقلة ذهنية قلبية :

**أولاً :** في أن الشجرة في الجنة .

**ثانياً :** في الراكب الذي يركب جواداً مضمرأ .

**ثالثاً :** في الزمن الذي جاء بلفظ ( مائة سنة ) ولا يستطيع الذهن البشري حسابه إلا بالتقدير الدنيوي للسنين وهذا ما يخالف عدد السنين في الدار الآخرة قال تعالى ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعْدُونَ ﴾ [ الحج - ٤٧ ] .

**ورابعاً :** في أن الذي يسير في ظلها يركب جواداً وهذا ليتساوى مع الزمن المذكور في الحديث .

وقوله ﷺ : ( يسير الراكب في ظلها مائة سنة ) . وقوله ﷺ : ( لا يقطعها ) كناية عن عظمها وكبر حجمها واتساع خلقها . كما أن قوله ﷺ : ( يسير الراكب الجواد المضمر السريع ) يزيد في النفس استيقان ابتعاد هياتها عن هيئة شجر الدنيا تناسباً مع نعيم الجنة التي أعد الله فيها للصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبذلك يمكن القول بأن قوله ﷺ الأنف كناية عن بلوغ تلك الشجرة الغاية في العظم وأنها على درجة عظيمة من التكوين الذي لا يستطيع أمام الإخبار عنه عقل الإنسان إلا إذعانا وقلبه تصديقاً وإيماناً بالغيب الأخروي وحقيقة ما أخبر به المصطفى ﷺ وبالإيمان بالغيب يستيقن القلب وتستقر في الذهن حقيقة ذلك الوجود .

كانت الأحاديث السابقة قد اختص كل منها ببيان حالة من أحوال أهل الجنة وفي هذا الحديث نجد الجمع بين بيان حال من أحوالهم وبشارة بأن الأمة الإسلامية أمة محمد ﷺ هي أكثر أهل الجنة .

عن عبد الله قال : قال لنا رسول الله ﷺ : ( أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ،



وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود ، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض<sup>(١)</sup> .

في هذه النبوة إخبار عن حال أمة محمد ﷺ في الجنة وقد بدأت بالسؤال عن الرضا الذي تقر به نفوس المؤمنين وتطمئن به أفئدتهم في أن يكونوا غالب أهل الجنة فجاء الربع أولاً ثم الثلث ليكون الرجاء من النبي الكريم في أن يكونوا شطر أهل الجنة وصحب الرجاء صيغة التأكيد بأن واللام ليكون أقرب إلى التحقيق والوقوع ثم أعقب ذلك بالتمثيل الذي يزيد ذلك الرجاء تحقيقاً فقال : ( ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود ) .

وبذلك نجد عدة صيغ بلاغية أسهمت في توضيح الرؤية وزيادة اليقين بها وهي :

- ١- إن واللام .
- ٢- الصيغة التشبيهية .
- ٣- صيغة الحصر المؤكدة .
- ٤- يضاف إلى ذلك البنية التركيبية التي تدرجت بالمعنى من الربع إلى الثلث إلى الشطر والتي كانت بكل درجة إضافية تزيد البهجة وتبعث السرور .

الصورة التشبيهية تمثلت في :

المشبة : عدد المسلمين ونسبتهم إلى الكفار .

المشبه به : شعرة بيضاء في ثور أسود أو شعرة سوداء في ثور أبيض .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : القلة التي تقاس في كل من المسلمين بالنسبة إلى الكفار ، والشعرة البيضاء في الثور الأسود أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض .

ثم نلمح ما بثته عبارة الرجاء من الرسول ﷺ من زيادة التأكيد في كثرة المسلمين نسبة إلى غيرهم ، وجاء بعد ذلك قوله ( سأخبركم ) وما أضافه من ثبوت خبر لديه ووقوع يقين بالكثرة والغلبة عموماً دون الوقوف على حد معين في الربع أو الثلث أو الشطر .

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم بشرح النووي - باب : كون هذه الأمة نص أهل الجنة - ج ٣ - ص ٩٠

## المبحث السادس : من أحوال النار وأهلها

### ٦- من أحوال النار وأهلها

قال ﷺ : ( ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم ، قالوا : والله ! إن كانت لكافية يا رسول الله ! قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها )<sup>(١)</sup>

( ولو جمع حطب الدنيا فوقد كله حتى صار ناراً ، لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذي هو من سبعين جزءاً أشد من حر نار الدنيا )<sup>(٢)</sup>

الصورة البيانية في الحديث السابق رعتها البلاغة التشبيهية التي حضنت المعنى لتبث في ثنياه معاني الرهبة والتهويل والإيضاح والتقريب والعناصر التشبيهية جاءت متمثلة في : المشبه : حر جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة .

المشبه به : حر نار الدنيا .

وجه الشبه : شدة تفاوت مقدار الحرارة فيهما .

الغرض : بيان مقدار ذلك التفاوت وتقريب الصورة الأخروية لحر النار الجهنمية .

( وفي الحديث السابق تصوير يعتمد على النسبة وقد استخدمت الأرقام لإبرازها ، واستخدام النسبة للتعريف بأمر غيبي شيء طبيعي ، فنحن لا نعرف إلا هذه النار التي يوقدها ابن آدم وقد تصل درجة حرارتها إلى خمسين ألف درجة كما يقرر العلماء المختصون فإذا ضرب هذا العدد بسبعين كان الناتج هو مقدار حرارة النار ، والصورة بيان لإرتفاع درجة حرارة نار جهنم وقد اعتمدت على النسبة التي توازن بين نار الدنيا ونار جهنم )<sup>(٣)</sup> .

وحتى تقترب الصورة للنار الجهنمية في الآخرة جاء وصف أدنى أهل النار عذاباً قال ﷺ : ( إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه )<sup>(٤)</sup> ( وقوة هذه الصورة لا تعتمد على مشاهدة النعل الناري فحسب بل أيضاً على تحسس السخونة التي تنتقل في حركة باطنية مؤلمة من الأسفل إلى الأعلى حتى يغلي منها الدماغ ، وثمة تضاد في النص بين النار التي صارت كثيفة حتى انتعلت نعلاً ، وبين الدماغ الذي صار مائعاً سائلاً يغلي وقد أفاد حذف حرف العطف في ( تغلي ) بأن الغليان سريع جداً فمجرد الانتعال يعني الغليان وكأنما انعدم الزمن بين المرحلتين )<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح مسلم بشرح النووي باب : في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين - ج ١٧ - ص ١٧٧

(٢) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم - الإمام الحافظ أبي العباس أحمد القرطبي - ج ٧ - ص ١٨٧

(٣) التصوير الفني في الحديث - محمد الصباغ - ١٨٣

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٨١

(٥) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ٥٣٢-٥٣٣

وفي مقابلة بسيطة بين حال أدنى أهل النار عذاباً وحال أدنى أهل الجنة منزلة وهو من قال في حقه ﷺ ( إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ) (١)

تقوم في النفس الآيبة الوجلة مكامن الخوف التي تحركها قدماً نحو المضي في إصلاح شأنها والتزود بما يقيها من هول الموقف يوم القيامة وينجيها من حر النار وقسوة عذابها حراً أو زمهريراً .

قال رسول الله ﷺ : ( يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان ، مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية ) (٢)

بعد بيان حال النار ذاته جاء هذا الحديث ليكشف جانباً من أحوال أهل النار .

( تتضمن هذه اللوحة خمسة مشاهد :

١- الإلقاء في النار

٢- اندلاق الأمعاء

٣- الدوران

٤- اجتماع أهل النار

٥- جواب المرئي ، ونجد صفة الإكراه في صيغة الفعلية : ( يؤتى ويلقى ) والبناء للمجهول هنا له ميزتان : إيماء إلى القوة الخارجية العظيمة التي تصنع ما تصنع ولفت نظر المتلقي إلى الحدث نفسه لأهميته التصويرية ، والتشبيه بأمر يتصل بالحمار لا يكون إلا تقبيحاً وذلك سر اختياره دون ما يجر الرحي من سائر الحيوان ) . (٣)

( وهذا التشبيه يأتي في سياق قصة يتخللها حوار ، وهو تصوير للرجل يظهر أمام الناس بصورة العالم الواعظ حتى إذا غاب عنهم بدت نزواته وشهواته ونسي الله تعالى وأنه مطلع على مخبره وجاء عذابه في صورة مهينة أمام من كان ينصحهم فيسخررون منه ويسألونه عن أمره فيكشف لهم عن حقيقته ، وأما التشبيه الذي خصص له فهو التشبيه المرسل ذكرت فيه أداة التشبيه لتدل على ما استحق أن يكون عليه فسورته مؤلمة حقاً فأمعأؤه تخرج بقوة وهو يدور معها ليجمعها فتنتاثر من حوله ، والصورة حافلة بالإثارة والحركة والحيوية والرغبة ) . (٤)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٤٢

(٢) المصدر السابق - باب : عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله - ج ١٨ - ص ٣١٨-٣١٩

(٣) الصورة الفنية في الحديث الشريف - أحمد ياسوف - ٦٦٢ - ٦٦٣

(٤) مشاهد القيامة في الحديث النبوي - أحمد العلي - ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(إن هذا العذاب هو نتيجة المقت الرباني الذي يحل بالذين يقولون ما لا يفعلون قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لِمَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصف- ٦١] ، ومن بيان الرسول

ﷺ وبلاغته أنه أورد تهديد الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم بأسلوب القصة المزيينة بالحوار وذلك على سبيل فتح صفحة رهيبية من صفحات المستقبل الآتي يوم القيامة لا محالة).<sup>(١)</sup>

والصورة البيانية تتمثل أركانها في :

المشبه : دوران ذلك الرجل بأمعائه في النار .

المشبه به : دوران الحمار بالرحى .

أداة التشبيه : الكاف .

وجه الشبه : الغفلة والسفه والألم .

الغرض من التشبيه : تقريب حالة ذلك المعذب في النار للإنذار والتحذير من الوقوع فيما وقع فيه .

( يقول دراز : والإعجاز هنا انتقال الخيال بين مشاهد القيامة الرهيبة المتخيلة وبين الدنيا ) .<sup>(٢)</sup>

ويلتقي مع الحديث السابق في بيان بعض هيآت وأحوال أهل النار الحديث التالي عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : ( ضرس الكافر أو ناب الكافر ، مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث ) ، وفي رواية أخرى

( ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع )<sup>(٣)</sup>

قال تعالى ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ [الطارق- ١٧] ، وقال تعالى ﴿ وما ظلمناهم ولكن

كانوا هم الظالمين ﴾ [الزخرف- ٧٦] .

جاء اليوم الآخر يوم القضاء الحق ، جاء ما كان يكذب به الكافرون ، وانتهت بهم كبرياؤهم واستعلاؤهم عن التصديق بالرسول ﷺ والعبودية لله وحده ، انتهت بهم سيئاتهم إلى جهنم وبئس المصير . والنبوءة السابقة تنقل لنا صورة من صور الهيئة الخلقية التي تتبدل إليها أجساد الكفار وما تكون عليه من العظم الذي يزيد وقع العذاب ويبعث الفزع في النفس ، هذا نتيجة ما جنته يداك أن تبئنس بهذا العظم المشين وتقر في العذاب المقيم ، وإذا كانت الصورة قد تناولت طرفاً بسيطاً من ذلك الجسد وبثت الخوف في النفوس فما الشأن في رؤية الصورة مكتملة .

(١) روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم - عبد الرحمن الميداني ١٦٥-١٦٧

(٢) البلاغة النبوية دراسة وتحليل - صباح عبيد اسماعيل دراز - ص ٢٨٣ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء - ج ١٧ - ص ١٨٤

( إنما عظم خلقه ليعظم عذابه ، ويتضاعف ، وهذا إنما هو بعض الكفار بدليل ، أنه قد جاءت أحاديث آخر تدل على أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس " وقوله ﷺ ( إن أهون أهل النار عذاباً من في رجليه نعلان من نار تغلي منها دماغه وهو أبو طالب ) ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة ) . (١)

( وقال ﷺ : ( ضرر الكافر يوم القيامة مثل احد ، وعرض جلده سبعون ذراعاً وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده في النار ما بيني وبين الربرة ) .

البيضاء : موضع في بلاد العرب .

ورقان : جبل أسود على عين المار من المدينة إلى مكة .

الربرة : قرية قرب المدينة .

وكلما كبرت المسافة المعرضة للعذاب زاد الإحساس به وقد شبه الحديث أعضائه التي ستضخم في يوم القيامة بمواضع يعرفها المخاطبون حتى لتبدو هذه الصورة رسماً خيالياً بالغ التأثير ) . (٢)

( وفي سماكة الجلد اقتراب من الحيوان وكذلك ضخامة الضرر كل هذا يعني الكبر الهائل المروع وطغيان الطابع الحيواني الجسدي في سلوك الحياة ) . (٣)

والصورة البيانية الواردة في الأحاديث السابقة يمكن تبين أركانها كالتالي :

قوله ﷺ : ( ضرر الكافر أو ناب الكافر مثل أحد )

المشبة : ضرر أو ناب الكافر .

المشبه به : جبل أحد .

وجه الشبه : الكبر والعظم .

الغرض من التشبيه : بيان المقدار في الضخامة الجسدية لتبين مقدار العذاب وشدته وقوته وعظم الإحساس به والتألم منه .

قوله ﷺ : ( و غلظ جلده مسيرة ثلاث ) في هذه العبارة نجد الاتساع المساحي ، والتقدير القياسي لغلظ جلد الكافر . وفيها من التعبير البياني البلاغي كناية عن التمدد والاتساع مع الغلظة والقسوة ، ليكون أبلغ في العذاب النفسي والجسدي . و كناية عن الشدة التي يكون عليها جلده .

وقوله ﷺ : ( ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاث أيام ) كناية عن العظم المشين الذي يزيد في

بأس عذابه وشدته ألمه . وقوله ﷺ : ( للراكب المسرع ) كناية عن بلوغ ذلك الحجم في العظم مبلغاً

(١) المفهم - ج ٧ - ص ١٨٨ ، ١٨٩

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ص ١٣٦

(٣) الصورة الفنية في الحديث - احمد ياسوف - ص ٦٩١

يسمح فيه بسير الراكب المسرع عليه . مما يوحى بالنفور والفرع من تلك الهيئة الحاصلة للكافر في النار وهي كناية تنطوي فيها كل معاني الرهبة التي تتصدع منها القلوب المتحجرة ، وتنكسر أمامها العقول المستكبرة ، و تنفطر من هولها النفس اللوامة .

عن العباس بن عبد المطلب ، أنه قال : يا رسول الله ! هل نفعت أبا طالب بشيء ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار .<sup>(١)</sup>  
الضحضاح : بضادين معجمتين مفتوحتين وهو مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير في النار .<sup>(٢)</sup>

الدرك : فيه لغتان فصيحتان مشهورتان : فتح الرائ إسكانها ، قال الفراء : هما لغتان جمعهما أدراك ، والدرك الأسفل : قعر جهنم وأقصى أسفلها ، قالوا : ولجهنم أدراك فكل طبقة من أطباقها تسمى دركاً والله أعلم .<sup>(٣)</sup> ، وفي رواية : ( وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح ) . ( ٤ )

الغمرات بفتح الغين والميم واحدها غمرة بإسكان الميم وهي المعظم من الشيء .<sup>(٥)</sup>

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : ( إن أدنى أهل النار عذاباً ، ينتعل بنعلين من نار ، يغلي دماغه من حرارة نعليه ) . ( ٦ ) ، وفي رواية عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : ( أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه ) . ( ٧ ) ، وفي رواية ( إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه ) .<sup>(٨)</sup> ، وفي رواية ( إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشرا كان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً ) .<sup>(٩)</sup>

( أخمص ) بفتح الهمزة وهو المتجافي من الرجل عن الأرض .

الشراك : بكسر الشين وهو أحد سيور النعل وهو الذي يكون على وجهها وعلى ظهر القدم .

(١) صحيح مسلم باب : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه - ج ٣ - ص ٧٩ .

(٢) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٨٠ .

(٣) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٨٠ - باب : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه .

(٥) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٨٠ .

(٦) المصدر السابق - ج ٣ - ص ٨١ - باب أهون أهل النار عذاباً .

(٧) المصدر السابق - ج ٣ - باب أهون أهل النار عذاباً - ص ٨١ .

(٨) المصدر السابق - ج ٣ - باب أهون أهل النار عذاباً - ص ٨١ .

(٩) المصدر السابق - ج ٣ - باب أهون أهل النار عذاباً - ص ٨١ .

المرجل : بكسر الميم وفتح الجيم وهو قدر معروف سواء كان من حديد أو نحاس أو حجارة أو خزف. <sup>(١)</sup> ، وجاء ( عن النعمان بن بشير قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إن أهون أهل النار عذاباً يوم

القيامة رجل على أخصم قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم ) . <sup>(٢)</sup>

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب فقال : لعله تنفعه

شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه ) . <sup>(٣)</sup>

( المرجل : بكسر الميم وبسكون الراء وفتح الجيم بعدها لام قدر من نحاس ويقال أيضاً لكل إناء يغلي فيه

الماء من أي صنف كان . القمقم : إناء ضيق الرأس يسخن فيه الماء يكون من نحاس وغيره .

قال عياض : الصواب ( كما يغلي المرجل والقمقم ) بواو العطف لا بالباء وجوز غيره أن تكون الباء

بمعنى مع ، ووقع في رواية الاسماعيلي كما يغلي المرجل أو القمقم بالشك ) . <sup>(٤)</sup>

وفي قوله ﷺ : (ضحضاح من نار ) تشبيه حالة النار التي تصيب أهون أهلها عذاباً ، من حيث عدم

أكلها جميع الجسد ، أو حرقه كاملاً وبلوغها منطقة معينة ، بضحضاح الماء الذي يبلغ منطقة معينة من

الارتفاع لا تتجاوز الكعبين ، ثم استعير المشبه به لحالة المشبه تقريبا وإيضاحاً ، إذ إن النار المعروفة لنا

في الدنيا إذا اشتعلت في شيء فإنها لا تقف عند حد معين ، ويكون لها تأثير يخص بعضه دون بعض في

الغالب الأعم . أما الماء فإنه يقف عند ارتفاع معين بحكم طبيعته ولمخالفة طبيعة النار الدنيوية ، لذلك

استعير الضحضاح من الماء لتصوير حالة من حالات النار الأخروية – أعادنا الله منها – والتي جاءت

في هذه النبوءة مخصوصة بشخص معين وهو عم النبي ﷺ وفي حالة مخصوصة ، من حيث عدم

شمولها كامل جسده ظاهرياً وإن بلغ عذابها كامله . كما جاء ذلك في الروايات الأخرى . وخصوصية

الصورة البيانية في هذه الرواية تأتي من البعد المكاني الذي ناله المعذب ، وهو ما يشمل إلى الكعبين ،

والبعد المكاني أيضاً من حيث إخراجهم من الدرك الأسفل من النار . وبذلك نجد أن البعد المكاني أخذ

زاويتين رئيسة في التصوير البياني في قالب الاستعارة التصريحية الأصلية .

ويدعم هذا البعد المكاني ما جاء في الرواية الثانية في قوله ﷺ : ( وجدت في غمرات من النار فأخرجته

إلى ضحضاح ) . وهذا الانتقال من الغمرات إلى الضحضاح يفيد في الكشف عن جوانب المشبه به

المستعار وذلك أن ( غمرة كل شيء كثرتة ومعظمه ، ومنه غمرة الماء ، وغمرة الحرب ، ويقال غمره

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٣ - ص ٨٢

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - ج ١١ - ص ٥٠٤ - باب صفة الجنة والنار - كتاب الرقاق

(٣) المصدر السابق - ج ١١ - ص ٥٠٤ - باب صفة الجنة والنار - كتاب الرقاق .

(٤) المصدر السابق - ج ١١ - ص ٥٠٤ - باب صفة الجنة والنار - كتاب الرقاق .

الشيء إذا علاه وغطاه . وقال الزجاج : يقال لكل من كان في شيء كثير قد غمره ذلك . وغمره الدين إذا كثر عليه هذا هو الأصل ، ثم يقال للشدائد والمكاره : الغمرات ( <sup>(١)</sup> ) .  
( والغمرة – بفتح الغين – ما يغمر ، أي يغمر من الماء فلا يترك للمغمور مخلصاً ، وشاعت استعارتها للشدة تشبيهاً بالشدة الحاصلة للغريق حين يغمره الوادي أو السيل ، حتى صارت الغمرة حقيقة عرفية في الشدة الشديدة ) . ( <sup>(٢)</sup> )

( وفي حديث القيامة : فيقذفهم في غمرات جهنم أي المواضع التي تكثر فيها النار ) . ( <sup>(٣)</sup> )  
( والضحضاح : الماء القليل يكون في الغدير وغيره وقيل : هو الماء اليسير ، وقيل : هو ما لا غرق فيه ولا له غمر . وقيل : هو الماء إلى الكعبين إلى أنصاف السوق . وماء ضحضاح أي قريب القعر . وفي حديث أبي المنهال : في النار أودية في ضحضاح . شبه قلة النار بالضحضاح من الماء فاستعاره فيه ) . ( <sup>(٤)</sup> )

( ومنه قول عمرو في عمر : أنه جانب غمرتها ، ومشى ضحضاحها ، وما ابتلت قدماءه ، يعني : لم يتعلق من الدنيا بشيء . والدرك في مراتب التسفل والنزول كالدرج في مراتب العلو و الارتفاع ، ويراد به : آخر طبق في أسفل النار ، وهو أشد أطباق جهنم عذاباً ولذلك قال تعالى : { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } وكان أبو طالب يستحق ذلك ، إذ كان قد علم صدق النبي ﷺ في جميع حالاته ، ولم يخف عليه شيء من أموره من مولده إلى حين اكتهاله ، ولذلك كان يقول لعلي ابنه : اتبعه فإنه لا يرشدك إلا إلى خير أو حق ) ( <sup>(٥)</sup> )

في قول ﷺ : ( كما يغلي الرجل ) تصوير بياني تشبيهي للتقريب والإيضاح . والبيان لحالة الغليان التي ورد ذكرها في أكثر من رواية ، وذلك أن هذا الغليان غريب على الفهم البشري بعيد عن التصور الذهني؛ فجاء التشبيه تقريراً وتأكيداً لتلك الحال التي اختصت بأهل النار عذاباً ، وهي على هونها تبلغ به الشدة في العذاب ، وإنما يقاس هونها بالنظر إلى حال من هم أشد منه عذاباً .

وطرفا البيان التشبيهي يتمثلان في :-

المشبه : غليان دماغ أهون أهل النار عذاباً .

المشبه به : غليان الماء في الرجل .

وجه الشبه : حركة الالتقاد والاضطراب وشدهما .

( <sup>(١)</sup> ) التفسير الكبير – للإمام فخر الدين الرازي - ج ١٣ - ص ٧٠ .

( <sup>(٢)</sup> ) التحرير والتنوير – ابن عاشور - ج ٦ - ص ٢٢٢ .

( <sup>(٣)</sup> ) لسان العرب لابن منظور - ج ١١ - ص ٨١ .

( <sup>(٤)</sup> ) المصدر السابق - ج ٩ - ص ١٩ .

( <sup>(٥)</sup> ) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي - ج ١ - ص ٥٦٤ .



أداة التشبيه : الكاف .

الغرض من التشبيه : التقريب .

والروايات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة تشترك كلها في تصوير حالة المشبه في غليانه إلا أن الرواية السادسة جاء فيها تجلي المشبه به مما كشف الحجب عن حالة المشبه ، من حيث صعوبة تخيل ذلك الغليان الجسدي ، فالتشبيه وقع من التقريب موقعه ، ومن البيان أمكنه ، وهو بذلك قد ساند ضعف العقل البشري في إدراكه ذلك الوضع وتصوره تلك الحال من أحوال اليوم الآخر والتي تغاير طبيعتها ما نراه وما نعهده في حياتنا الدنيا . وقد ذكرت تفصيلات تتعلق بالمعذب من حيث انتعاله بنقلين من نار ، أو وضع جمرتين في أخمص قدميه ، مما يزيد وضوح الحالة التي هو فيها والهيئة التي يكون عليها ، وزيادة التفصيل أوقع في النفس ، وأقرب للعقل في تصور تلك الحال .

وفي روايتي صحيح البخاري جاءت فيهما زيادات في الإيضاح والبيان ففي الرواية الأولى نجد قوله ﷺ : ( كما يغلي الرجل بالقمقم ) . ووقع التفصيل هنا في حالة المشبه به والتي تنعكس آثارها إيجاباً على المشبه من حيث التمثيل والتقريب .

وفي قوله ﷺ : ( يغلي منه أم دماغه ) كناية عن بلوغ العذاب به مبلغه وإصابته منه كل جزء ، مما يوحي بالشدة والكرب الذي يغلب على من هذا حاله ( لأن أم الشيء : أصله ) .<sup>(١)</sup> قوله ﷺ : ( وجدته في غمرات من النار ) هذه العبارة تتعاهدها ثلاثة محاور لغوية تبث فيها عظم الحدث وهول المصاب . وتلك المحاور تتمثل في : -

١- فعل ( وجدته ) الذي بث اليقين وصاحبه الجزم بالوقوع لخصوصية القائل .

٢- ظرفية حرف الجر ( في ) والتي تذهب بالمعنى إلى عمق لا محدود ولا معلوم في تلك النار ، وصحبة حرف الجر ( في ) لكلمة غمرات زادت في عمقها وكثرتها ، وذهبت بها أبعد ما يمكن للعقل البشري أن يتصوره من تقلبات تلك النار بعضها إلى بعض وفوق بعض . وجاءت العبارة ( من النار ) ولم تأت ( في النار ) وكأن الغمرات هي ذات النار .

٣- ( من ) وما أطلقتها من العموم للنار ومن الخصوص للغمرات ، وفيها أيضاً إحياء أن نار الآخرة تختلف دركاتها وتتعدد ألوان عذابها ما بين الجسدي والنفسي والناري والزمهري .

والمحاور الثلاثة التقت جميعاً لتصب في قالب التصوير البياني الاستعاري ، فغمرة النار شدتها وكثرتها وعظمة بأسها ، وأشبعت في ذلك غمرة الماء شدة وبأساً فكانت استعارة الغمرة من الماء للنار على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

(١) لسان العرب - لابن منظور - ج ١ - ص ١٥٩ .

قوله ﷺ : ( يغلي دماغه ) . ( يغلي منها دماغه ) .

الغليان في العرف البشري وفي حدود العقل الإنساني لا يجري على الجسد الإنساني ، لكننا هنا أمام غيب أخروي وحدث عذابى ناري ليس له من علمنا الدنيوي إلا الاسم أو التقريب والتمثيل . أما الحقيقة لكنهه وكيفيته فهذا مالا نستطيع تقديره ولا تحديده ، وإنما نقف فيه عند النبأ النبوي المستمد من العلم الوحيي . المستمد من الله تعالى .

والصورة البيانية في العبارة السابقة جاءت في قالب الاستعارة المكنية التي قربت المعنى وكسته حلة البيان و التوضيح .

( ومثل هذه الصور يستفز ما هجع من القوى والخواطر ، وهكذا كل غريب يطرق النفس لا يدع هواجعها لأن هذه الهواجع إنما هجعت لما طالت مصاحبته للمألوف فيما ترى وتسمع وتعقل فإذا أتاها من ذلك غير ما ألفت تيقظت واستنفرت قواها حتى تعي الشيء الذي لم يسبق لها أن وعته ) .<sup>(١)</sup>

---

<sup>(١)</sup> شرح أحاديث من صحيح البخاري - د. محمد محمد أبو موسى - ص ٣٦٦ .

# الفصل الثالث

## خصائص الصورة البيانية ووظائفها أصول وفروق

## نوطئة

الصورة البيانية في الحديث الغيبي هي البريد الزمني المنذر المبشر في آن واحد . وهي ركن مكين من أركان الكشف عن الحادث المتجدد في عالم الغيب الدنيوي والأخروي . لا تضعف قوته ، ولا تهزم قدرته ، ترد إليه حيرة العقول فيرشدها وضلالة القلوب فيهديها ، وضعف الأنفس فيشد أزرها . هي ريحانة النبوة النبوية وروحها ترتوي من سياقاتها وتندى بإيحاءاتها وصدقها وتحقق وقوعها .

وإذا كانت مادة الصورة البيانية النبوية هي مادة كل صورة نراها في كتب الأدب ودواوين الشعر؛ فإنها تفترق عنها في خاصة وحيها وخصوصية قائلها وبناء مادتها . فلقد أقرت نبوءاتها مصيراً محتوماً لا بد من معاشته ، وقدمت الرسم البياني التوضيحي للعاقبة والمآل الذي ستؤول إليه الأمة الإسلامية خاصة والعالم عامة في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ مَا كُنْتُ نَذِيرٌ مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا لَهْدِي بِهِ مِنْ نِشَاءٍ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنْ كُنْتَ لَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [الشورى ( ٥٢ ، ٥٣ ) ] .



الحديث عن خصائص ووظائف الصورة البيانية في الحديث الغيبي تحيط به ركائز عدة من حتمية الوقوع إلى التجدد والتوافق مع كل عصر وكل مكان ، إلى لزومها حد الصدق واليقين الذي يبلغ بها درجة الخلود والأبدية . ومن هنا نفتح بوابة البحث في الصورة الغيبية التي ما تلبث أن تتكشف عن حال المخبر وكنه الخبر ، وعن أثرها في القائل وتأثيرها في المتلقي ، وفاعليتها المتواصلة مع المستمع والتي تظل متجددة متصلة مع كل نفس مؤمنة مصدقة في كل زمان ومكان .

( فالصورة البيانية تمتاز على التعبير الوضعي أو التقريري بأنها أكثر إقناعاً بالمعنى لأن الصورة تنطوي تلقائياً على برهانها ودليل صدقها ولأنها تشي بالحالة النفسية أو الموقف الشعوري لقائلها ) (١)

و الصورة البيانية في الحديث الغيبي قد جمعت ذلك وفاقت بالروح النبوية وإيحاءاتها التي بثت عوامل التأثير والإثارة حتى أسلمت لها القلوب حراكها والأنفس قيادها . ( نظراً لما تبعثه من حيوية وحركة، ومالها من قدرة على الربط بين المتماثل والمتضاد من المعاني ، وخلق علاقات بينها وإبراز التجربة وتجليه الموضوع عن طريق العلائق التي تربط بها بين الكلمات والعبارات ، يضاف إلى ذلك ما تقوم به من دور فاعل في توضيح وتشكيل المعنى و تنظيم التجربة الإنسانية الشاملة للكشف عن المعنى الأعظم للحياة والوجود ) . (٢)

( والأساليب البيانية من شأنها أن تعمل على تصوير المعنى تصويراً يعمل على توضيحه ويبين فائدته بشكل يكون أكثر وقعاً في النفوس وعليه فقد استحسنت تسمية تلك الأساليب بالصور ) . (٣)

وكان تقريب الحقائق الغيبية بالأساليب البيانية عصاً يتوكأ عليها ذهن البشري في ضعفه حتى يستثير فكره وتبصر بصيرته وتدرك حواسه تلك الحقائق لذلك نجد ( القرآن يلزم الرسول ﷺ بالتبليغ لا باستجابة المتلقي ، قال تعالى : { فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ } . ولا بد أن يكون البلاغ

قد سبق في بيان لذا يتكرر وصف البلاغ بالإبانة ، قال تعالى : ﴿ فهد على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ . (٤)

(١) الصورة البيانية في شعر أبي الحسن التهامي - أحمد يحي عواف - ص ٢٥ .  
(٢) صور من الشعر الاجتماعي في العصر العباسي - ضيف الله سعد الحارثي - ( ص ٩٠ ، ٩١ )  
(٣) الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف . فالح حمد الحمداني - ص ( ٤٣ ، ٤٤ )  
(٤) النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق - أحمد رحمانى - ص ٥٨٧

إن الأحاديث النبوية عامة والغيبية خاصة في صورها البيانية وبنياتها البلاغية ( تلج بالمعنى إلى شعاب النفس فتزيده وضوحاً في خاطر وجلاء في الذهن لتستحيل أفكاره الهادية دماً خالصاً يترقرق في عروق المسلم ، ونوراً يمتد في عقله وبصره ، ونفساً يتردد في رثتيه ، وذلك بعض ما يفيض البيان الساحر والأدب الرفيع ) . (١)

( وخصوصية الصورة المجازية تتجلى في أنها لا تقود المتلقي إلى الغرض مباشرة وإنما تفرض عليه نوعاً من الانتباه واليقظة ، فيقبل المتلقي على تأمل الصورة المجازية واستنباطها ) . (٢)

( وبما أن الوظائف في الأدب الإسلامي تلتزم منهج الثنائية المتعددة المتوالدة في نفسها – كما يقول سمير الصائغ – فهي وظائف فنية محضة تتجلى في قطبين : قطب يشهد على الغيب عن طريق الدين أو الروحانية ، وقطب يشهد على فلسفة جمالية شاملة ) . (٣)

إن الصورة البيانية في الحديث الغيبي تمتاز عن غيرها بالقيام على ربط الواقع بما هو متوقع الحدوث وما هو أرضي بما هو سماوي وما هو حاضر بما هو مستقبلاً كائن موجود ، وذلك بالعمل على طرفي المعادلة المذكورة في قول أحد الصحابة ( كان رسول الله ﷺ يفرغنا ثم يملؤنا ) .

( وقد لاحظ سيد قطب وهو بصدد دراسة القرآن أن وظائف الأشياء تؤدي عن طريق جمالها وأن القصص في القرآن يجيء في السياق ليؤدي وظيفة فيه ) . (٤)

والصورة البيانية في الحديث الغيبي حافلة بوظيفتها الجمالية التي تبثها الروافد البيانية في ثنايا التعبير النبوي لتعرج بالروح عن حمأة الضلال ، وتسمو بالذهن عن ثقل وطأة الزخرف الدنيوي ، لأنه ( من المحال حين تتم العقيدة الإسلامية في قلب أن تظل قابضة سلبية في هذا القلب ، أو أن تتحول إلى عبادات وشعائر ثم تنتهي هناك . إنها لابد أن تنطلق محاولة إبداع الحياة كلها وفق التصور الإسلامي للحياة ..... تأخذ الفنون والآداب والتصورات وكل ما يصدر عن النفس البشرية من تعبير ) . (٥)

(١) البيان النبوي – محمد رجب بيومي - ٢٤١

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب – جابر عصفور – ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٣) النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق – أحمد رحمانى - ٤٣٩

(٤) المصدر السابق – أحمد رحمانى - ٤٤٥

(٥) المصدر السابق – أحمد رحمانى - ٢٤٣ .

( كان ﷺ يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين ، لأن ذلك أدعى إلى أن يفهموا مراده ويتأثروا به ، ولأن الصورة البيانية تزيد في قيمة الأثر الأدبي وترفع من شأنه وتكسو المعاني أبهة وتضاعف قواها في تحريك النفوس لها ) . (١)

( ومن مهمات الصورة الفنية أن تستشعر الحواس ملامحها وتحيط بدقائقها وينصرف الذهن إلى تشخيص الصور تشخيصاً واقعياً فإذا هي محسوسة تكاد تلمس أو ترى أو تتعرفها الحواس الأخرى حاضرة ماثلة ) (٢)

---

(١) الحديث النبوي - مصطلحة ، بلاغته ، كتبه - محمد لطفي الصباغ - ص ٦٥ .  
(٢) مشاهد القيامة في الحديث النبوي - احمد محمد العلي - ص ٣٢٣ .

## التشبيه

شبهه : ( الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً . يقال شبهه وشبهه وشبيهه . والشبه من الجواهر : الذي يشبه الذهب ) . (١)

والشبهه : ( ضرب من النحاس يلقي عليه دواء فيصفر ، وسمي شبهها ، لأنه شبه بالذهب ، وفي فلان شبه من فلان وهو شبهه وشبيهه ، أي : شبيهه . وتقول : شبهت هذا بهذا وأشبه فلان فلاناً وقال الله عز وجل : ﴿ آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ [ آل عمران ٧ ] . أي يشبه بعضها بعضاً ) . (٢)

( التشبيه باب واسع في اللغة وهو أكثر الفنون دورانا واستعمالاً في الأساليب العربية ، وكان من أوائل الموضوعات التي بحثت واهتم بها النقاد والبلاغيون ، فدار في كتبهم المختلفة وألفت فيه كتب خاصة يقول المبرد . ( والتشبيه جار في كثير من الكلام – أعني كلام العرب – حتى لو قال قائل إنه أكثر كلامهم لم يبعد ) . (٣)

( وقال ابو حامد الغزالي ( ٥٠٥ هـ ) وللتجاوز وجه كما ان للحقيقة وجهاً وينطلق من هذا قول أن الحقيقة والواقع في مقتضى الظاهر . و المجاز والتأول في خلاف مقتضى الظاهر ويزداد الأمر وضوحاً أن يضم المجاز ثلاثة مصطلحات واضحة في دائرته وهي : التشبيه والاستعارة والكناية وهي ذات تأثير على المتلقي في وسائل تعبيرية يختلف بعضها عن بعض وكلها ذات توصيل وتأثير من المتلقي بحسب الغاية والغرض والمقصد ) . (٤)

وفي حين يرى د . محمد بركات أن التشبيه من المجاز يرى د . أحمد ياسوف ( أن التشبيه ليس من اللغة الانحرافية أو المجازية فهو في الأصل لغة تقريرية بخلاف الاستعارة ) . (٥)

( والمعول عليه في الحكم على التشبيه بالجمال هو أن يستوعب احساساً مفعماً وفكراً رائعاً وأن يكون وافياً بالغاية من التعبير . والتصوير هو لب التشبيه وجوهره ونجاحه يكون بما يحققه من تأثير ولفت وسيطرة على الحس والشعور ) . (٦)

( وصياغة التركيب تقوي وتعزز الصورة التشبيهية وتزيد في بروزها وتوترها وتعطيها شحنة أكبر وهذا التركيب هو واحد في ثنائية ( التركيب والتصوير ) التي لا تنفصل خلال إبداعها وخلال تذوقها وجلي أنه قسيم كل الأنواع البلاغية .

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس – ت : عبد السلام هارون – ج ٣ – ص ٢٤٣ .

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي – ج ٣ – ص ٤٠٤ .

(٣) البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم – عبد الفتاح لاشين – ١٨ .

(٤) البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق – محمد بركات أبو علي - ٩٥

(٥) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف – أحمد ياسوف - ١٧٩

(٦) أساليب البيان والصورة القرآنية – محمد شادي - ١٧٩



( والأساليب الفنية التي حضنت فن التشبيه الحديثي كثيرة وهي قائمة في كليتها على عنصر الإفهام والتوكيد والمبالغة مما يحقق الحق والجمال والمبالغة تعني في عرف الفن النبوي الشكل الأقوى الذي يلهب المشاعر ويوغل في الأعماق ويتخذ مساحة نفسية كبرى في جوانب المتلقي ) . (١)

( ليس المقصود من الصورة التشبيهية إعطاء مبالغات ذهنية سقيمة أو كما يعبر البلاغيون بزيادة الصفة في المشبه به بل إن المطلوب أن تتعاقب الصورة وأجزاؤها مع السياق العام الذي يولد علاقة رمزية تشير إلى المتلقي تجاه نقاط تفجر كل واحدة منها طاقات فنية ذات إثارات نفسية خاصة .

وليس التشبيه إلا دعوة المتلقي إلى ما وراء الأشياء أو توجه اليد لتحضن في مقاطف مختلفة الإحياءات التي تظل تحوم فوق آفاق الصورة التشبيهية ليحاول اقتناص ما أمكنه من طيورها المختلفة والتي سيظل بعضها يرف بأجنحته مواليد ولا يستطيع أن يقبض عليها .

وقيمة التشبيه لا يكتسبها من طرفيه فقط ولا من وجه الشبه القائم بينهما بقدر استمدادها من الموقف الذي يدل عليه السياق ويستدعيه الحس الشعوري المنبث خلال الموقف التعبيري ، كذلك فإن النسق اللغوي يضيف حياة على الصورة التشبيهية ويكسبها ظلالاً إيحائية لا يستطيع التشبيه بطرفيه أو بوجهه أن يقوم بها . والصورة التشبيهية الجيدة تتعدى حدود المقارنة بين شيء وشيء وتتجاوز وجوه التشبيه التي فتن بها البلاغيون بل تتعدى حدود الاتكاء على استخلاص وجوه مشابهة وتعتمد على الانثيال العاطفي وتدفق الألوان التي تسفح ظلالاً إيحائية حيث تمتاح قيمتها من تموجات الشعور . (٢)

( ومن أصول استحسان الصورة التشبيهية : الجمع الصحيح بالعلاقة البينة بين طرفين متباعدين في الجنس .

" وليس الحذف في إيجاد الائتلاف بين المختلفات أنك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل في العقل وإنما المعنى أن هناك مشابهات خفية يدق المسلك إليها فإذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحققت الفضل " هكذا قال عبد القاهر ، فالمسألة ليست إضافات جديدة إلى الواقع ولكنها رؤية تنفذ إلى مناطق جديدة فتكشف ما استتر هناك . والجمع بين المتباعدين لا يرفع كل تشبيه يقع فيه إلى درجة الجودة ، ما لم يكن تعانقهما في النفس بمقدار تباعدهما في الحس ، ومن أسس قبول التشبيه وجودته أنه يصف لك المعاني الذهنية والقلبية في صورة حية بينة . (٣)

( وما شرفت صنعه ولا ذكر بالفضيلة عمل ، إلا لأنهما يحتاجان من دقة الفكر، ولطف النظر، ونفاذ خاطر، إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما . والمعنى أن هناك مشابهات خفية يدق المسلك إليها ، فإذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحققت الفضل . ولذلك يُشَبَّه المدقق في المعاني بالغائص على الدّر ) . (٤)

(١) الصورة الفنية في الحديث - احمد ياسوف - ١٨٠ - ١٨١ .  
(٢) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور - رجاء عبد - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ .  
(٣) التصوير البياني - محمد ابو موسى - ص ١١٩ - ١٣٥ - ١٤٣ .  
(٤) اسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - ص ١٤٨ - ١٥٢ .

( وإذا أردت تشبيه الشيء بغيره فإنما تقصد به تقرير المشبه في النفس ، بصورة المشبه به ، أو بمعناه . فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه من مدح ، أو ذم ، أو ترغيب ، أو ترهيب ، أو كبر ، أو صغر ، أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه وتراد للإيجاز أيضا والاختصار في اللفظ من تعدد الأوصاف الشبهية ، وتراد للبيان والإيضاح أيضا ) .<sup>(١)</sup>

والتشبيه لون من ألوان التعبير الإنساني الذي عرفته الأمم جميعا وامتاز في البيان العربي بأنه بداية الألوان البلاغية ، ذات الصبغة الفنية . في بدايات التأليف الفكري البلاغي . ولذا نلاحظ أن التراث العربي الذي هو مجال البيان العربي ، قد غلب عليه في التركيب اللغوي والأداء البياني في العصر الجاهلي المصطلح التشبيهي وهذا قريب من الذهنية الواقعية العربية – آنذاك . وطبقات التشبيه في معانيها محكومة بالمشبه ، والمشبه به ، وأدوات التشبيه ، ووجه الشبه . أما تشكيل التشبيه في التركيب فهو التمثيلي أو المركب ، أو التخيلي وهذه جميعها تكون صورة ويدخل في هذا ما يسمى بالتشبيه الضمني وصورته مركبة . و البلاغة القيمية إبراز طبقات المعنى التشبيهي ، تستخدم ثلاث ركائز في مفهوم البلاغة القيمية .

١- القيمة العامة وهي شرح المعنى العام .

٢- القيمة الخاصة وهي اختيار المتفنن وجهاً معيناً من عدة وجوه محتملة للمعنى في وجه الشبه .

٣- قيمة القيمة : وهي المعاني التي يستند عليها المقام التشبيهي في مشابهاً من غير الموجود في ظاهر المعنى التشبيهي من مواطن التذكير بمقابلات أو مناقضات للمعنى البارز من وجه الشبه الموجود .

ويتنوع أسلوب التأثير النفسي للتشبيه من مكان إلى آخر حسب الاهتمامات والتعريفات التي يؤمن بها شعب دون شعب آخر. وأصحاب مهنة عن مهنة أخرى . ولهذا فإن الشاهد التشبيهي إذا كان من بيئة المتفنن والمتلقي كان له سحر التأثير وإذا اختلف في بيئة أحدهما فتر التأثير وخف التوصيل . وإذا كانت المعرفة الإدراكية في المشبه به لدى المتفنن والمتلقي معلومة لديهما . كان التأثير النفسي أوضح والتكيف الاجتماعي أوفق ) .<sup>(٢)</sup>

(و التشبيه من الفنون التصويرية ، يضيف بهاء وجلالاً على الأسلوب ، ويمنحه الطرافة ، والجدة والابتكار ، ويخلع عليه القوة ، والمتعة والحركة والنشاط . و أثر التشبيه في بناء الصورة الأدبية أنه يمنحها القوة والحيوية والطرافة ، والبيان ، والإيجاز ، والمبالغة ، والخيال الخصب ، والتصوير الفني الرائع ، وقوة التأثير على النفوس ، والعواطف الإنسانية ) .<sup>(٣)</sup>

(١) الطراز - ج ١ - للإمام يحيى بن حمزة علي ابن ابراهيم العلوي اليمني - ص ١٤٢

(٢) البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق - محمد بركات أبو علي ص ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٣ .

(٣) البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان - محمد رمضان الجري - ص ١٦٣ ، ١٦٥ .

( والتشبيه : نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها . قال المبرد في الكامل : لو قال قائل : هو أكثر كلام العرب لم يبعد وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادي وفي كتاب سماه " الجمان " . والغرض منه : تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي ، وإدناؤه البعيد من القريب ليفيد بياناً . وقيل : الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار ) .<sup>(١)</sup>

و أول أسباب تأثير التشبيه أنه ينقلها – النفس – من المعقول إلى المحسوس ، ومن الفكرة إلى الفطرة ، ومن الغموض إلى البديهة . ومن شأن هذا أن يزيل ما فيها من شكوك ، ويذهب ما بها من أوهام فليس الخبر كالعيان – كما يقولون – ولا تنس أن صلة النفس بالمحسوسات أسبق من صلتها بالمعقولات . ومنها ما فيه من الجمع بين الأشياء المتباعدة ، وفي هذا السبب من الطرافة ما تستريح له النفس . ومنها أيضاً وهو ناشيء عما قبله – حاجته إلى الفكر ، وفي هذا السبب لذة تسعد بها النفس ويستريح لها القلب .

و أسلوب التشبيه مع ما فيه من إثراء أدبي ، وجمال فني ، وإبداع في التصوير ، وصورة حية وضاءة ، وإيقاظ للهمة ، وتفتيق لأكمام الأفكار ، فإنه مع ذلك كله ميدان يتسابق فيه فحول البلغاء ، فيجود هذا تارة وذاك أخرى ، كما يتسابق الرماة في إصابة الهدف لذلك نجد الشيء الواحد يظهر في صور مختلفة متعددة يبرزه كل بالصورة التي يرتأياها وإن شئت فقل التي تبدعها قريحته . يقول الشيخ عبد القاهر : " وإنه ليأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدة ويشتق من الأصل الواحد أغصانا في كل غصن ثمرة على حدة " .<sup>(٢)</sup>

( و الأصل في حسن التشبيه أن يمثل الغائب الذي لا يعتاد بالظاهر المعتاد ، وهذا يؤدي إلى إيضاح المعنى وبيان المراد . ويمثل الشيء بما هو أعظم منه في الإتصاف بالصفة ، أو أحسن منه في الصورة أو المعنى . وللتشبيه فضيلة الإيجاز ، وهو مقصد عظيم من مقاصد البلاغة ، التي قيل في أوصافها إنها " لمحة دالة " . كذلك ما يفيد التشبيه من التخيل ، وتوليد الصور ، والجمع بين المتباينات والمتباعدات التي لا تقع في الحس . وكل هذا يؤدي إلى تجديد البيان واختراع الصور التي لا وجود لها ، وأنت إذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشد ، كان أعجب إلى النفس وأطرب لها ) .<sup>(٣)</sup>

( و سبب نجاح الصورة ليس بإيراد المشبه والمشبّه به مقرونين إلى بعضهما ، وإنما بذلك الخيال المجنح الذي طار به الشاعر إلى سماوات عليا ، وبذلك العاطفة الفوارة النابضة بالحرارة وآلاء الحياة .....ومن مجموع هذه العناصر تركبت الصورة ، وظهرت حتى لتلمسها اليد ، وتراها العين . رغم أنها صورة مُتخَيَّلَة ليس إلا..... ) .<sup>(٤)</sup>

(١) الاتفاق في علوم القرآن – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – ج ٢ – ص ٨٣ .

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع – فضل حسن عباس – ص ٧٥ – ١١٦ .

(٣) علم البيان – بدوي طبانة – ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤) البلاغة العربية في ثوبها الجديد – علم البيان – بكرى شيخ أمين – ص ٦٥ .

## الاستعارة

الاستعارة : أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم ، فيكون هناك كالعارية .<sup>(١)</sup>

( الاستعارة واحدة من أصول صناعة الأدب والشعر ، ومن أبر الوسائل البيانية بالحس الخفي ، والشعور الغامض ، والفكرة المحتجبة ، من حيث إنها العون على إبراز كل ذلك والعبارة عنه ) .<sup>(٢)</sup>  
( إن الاستعارة قمة الفن البياني ، وجوهر الصورة الرائعة ، والعنصر الأصيل في الإعجاز ، بالاستعارة ينقلب المعقول محسوساً ، تكاد تلمسه اليد ، وتبصره العين ويشمه الأنف وبلاستعارة تتكلم الجمادات وتنفس الأحجار ) .<sup>(٣)</sup>

( ويحقق الأسلوب الاستعاري : المجازية والإعارة والإدعاء والمبالغة في التشبيه والاختصار ، **المجازية** : إذ يغير الدلالة فيثريها . **والإعارة** : لأن اللفظ المستعار يكون كالعارية في استخدامه الجديد مع احتفاظه بإيحاء دلالاته الأصلية **والإدعاء** : لأنه يقوم على إدخال المشبه في جنس المشبه به تصوراً لا حقيقة، **والمبالغة** : لأنه أكد في إثبات الحكم والتشديد في قوة إثباته وإيجابه ، **والاختصار** إذ الفاعل في الدلالة حينئذ المشبه به ، كما أن المذكور في العبارة أحد الطرفين ، وبذلك تعطي الاستعارة الكثير من المعاني للتفاعل بين معاني طرفي الاستعارة ) .<sup>(٤)</sup>  
( ومن أهم خصائص الاستعارة تجسيد المعنويات وتشخيص المجردات ، وخلع الحياة على ما لا حياة فيه ، وحسن البيان وتحريك المشاعر وتنبيه العقول وتنشيط الأذهان ) .<sup>(٥)</sup>  
( ترى بها الجماد حياً ناطقاً ، والاعجم فصيحاً ، والاجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جليلة ، ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد ، حتى تراها مكررة في مواضع ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد ، وشرف مفرد ، وفضيلة مرموقة ) .<sup>(٦)</sup> مثال ذلك . قول أبي تمام :

لا يطمع المرء أن يجتاب لجته      بالقول مالم يكن جسراً له العمل

(١) أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - ص ٣٠

(٢) التصوير البياني - محمد أبو موسى - ص ٣٣١

(٣) البلاغة العربية في ثوبها الجديد - علم البيان - بكري شيخ أمين - ج ٢ ص ١١١ .

(٤) الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف - فالح الحمداني - ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٥) علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان - بسيوني عبد الفتاح فيود - ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٦) أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - ص ٤٢

وقوله :

بصرت بالراحة العظمى فلم ترها تتال إلا على جسر من التعب

( أنظر إلى لفظة الجسر فترى لها في الثاني حسناً لا تراه في الأول ، ثم انظر إليها في قول ( ربيعة الرقي :-

قولي نعم ، ونعم إن قلت واجبة قالت : عسى ، وعسى جسر إلى نعم

فترى لها لطفاً وخلابة وحسناً ليس الفضل فيه بقليل ) . (١)

( والاستعارة تشكل الأشياء تشكيلاً آخر ، وتمحو طبائعها ، وتعطيها صفات وأحوالاً أخرى يفرغها الشاعر والأديب عليها وفقاً لحسه وضروب انفعالاته وتصورات ، والاستعارة تنفض عن الأشياء أوصافها الأليفة ، وتفرغ عليها أوصافاً وجدانية ) . (٢)

( فالاستعارة ليست حركة في ألفاظ فارغة من معانيها ، ولا تلاعباً بكلمات ، وإنما هي إحساس وجداني عميق ، ورؤية قلبية لهذه المشبهات التي تشكلت في الكلمات المستعارة . الاستعارة إدراك مغاير للأشياء يمنحها أوصافاً وأشكالاً وأحوالاً مغايرة ويحدث فيها ضرباً من التأويل الشعري . والمدلول الأدبي لهذا الفن هو تغيير حقيقة المشبه وتخيل أنه صار إلى غير جنسه ) . (٣)

( إن المعاني إذا أدبت في صورة تجريدية حقيقية ثبتت في الذهن والوعي مجردة من كل جميل ، فإذا ما نقلت في معرض الاستعارة والتصوير كان لها شأنها البعيد لأنها تخاطب الحس والوجدان ، وتنفذ إلى النفس من منافذ . شتى من الحواس با لتخيل والحس النفسي والوجدان ويكون الذهن واحداً من تلك المنافذ وإذا كانت الاستعارة تقوم على التشبيه وتشترك معه في إدراك ما بين الطرفين من شبه فهي تفوقه تصويراً وتأكيذاً أو تنفرد عنه بعملية خيالية هي إدعاء الاتحاد بين الطرفين والاكتفاء بواحد . فكأن المجاز هنا تندمج فيه فكرتان تدل الكلمة عليهما ..... ولهذا يسميه بعضهم الشعور المزدوج ومرجع هذا إلى المزج بين الخيال والوجدان ، وحتى يتصف المجاز بالفن الكامل ينبغي أن يكون نابعاً من مواطن

(١) دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) التصوير البياني - محمد محمد أبو موسى - ص ١٩٤ .

(٣) المصدر السابق - ص ١٩٥ - ١٩٦ .

الإحساس ، تلمح فيه نبرات النفس ، وخطرات الوجدان ، وتلمس منه صفاء الفطرة ، وهكذا كان المجاز النبوي (١) .

( أما وظيفتها فربطوها بالوظيفة اللغوية كالتشبيه ، لقد قرنوها الرماني إلى التشبيه في إخراج الأغراض إلى الأوضح ، وجعل لها العسكري وظيفة أخرى غير الشرح والإبانة هي المبالغة ، فقال : نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى ، وفضل الإبانه عنه ، وتأكيده والمبالغة فيه ، وكان ابن جني قبله قد جعل وظيفتها الأساسية المبالغة حيث قال : الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة وإلا فهي حقيقة وذلك من أجل توصيل المعنى إلى ذهن المتلقي ..... وهي في جوهرها تعتمد على التشبيه ، غير أنها تمتاز عنه بالمبالغة والإغراق في التخييل (٢) .

( والاستعارة وسيلة اكتشاف العالم الداخلي للشاعر ، وبكل ما فيه من خصوصية وتفرد وتميز ، لا تستطيع اللغة العادية التجريدية أن تعبر عنه أو توصله إلى القارئ ) (٣) .

( والاستعارة من أدق أساليب البيان تعبيراً وأرقها تأثيراً ، وأجملها تصويراً ، وأكملها تأدية للمعنى ، وهي منبثقة عن التشبيه . فهي تشبيه مضمرة في النفس وبيئة الاستعارة الأولى التي ولدت فيها ومقوماتها الأساسية هي النفس ) (٤) .

( وتحقق الاستعارة كثيراً من الأغراض التي يريدها الأديب في صناعة الكلام ، حتى لتعد من أهم أعمدة الكلام ، وعليها المعول في التوسع والتصرف ، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ ، وتحسين النظم والنثر ولولا أن الاستعارة تفيد ما لا تفيد الحقيقة من الأغراض لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً ) (٥) .

( والاستعارة لون من ألوان التصوير المعجز في القرآن ، وهي أهدى السبل التي تكشف عن معانيه وبيان مضمونه ومحتواه . وهي تركيب يحمل على تخيل صورة جديدة ، وروعها فيما تضمنته من تشبيه خفي مستور . وهي بعد حسن تصويرها وإيضاحها للمعنى وإيجازها في أدائه تجعل القارئ أو

(١) البلاغة النبوية دراسة وتحليل - صباح عبيد اسماعيل دراز - ص ١٩٦ .

(٢) الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف - فالح الحمداني - ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبدیع - فضل حسن عباس - ص ٢٣١ .

(٤) المصدر السابق - ص ١٥٨ .

(٥) علم البيان - بدوي طبانة - ص ١٩٥ .

السامع يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه ، وتصور المشهد للعين ، وتنقل الصوت للأذن فتثير شتى عواطف النفس وانفعالاتها ، وتجعل الأمر المعنوي ملموساً محسناً (١) .

(إن الاستعارة عملية خلق جديدة في اللغة ، ولغة داخل اللغة فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات، وبها تحدث إذابة لعناصر الواقع ليعاد تركيبها من جديد . وهي في هذا التركيب الجديد كأنها فتحت تجانساً كانت تفتقده . وهي بذلك تثبت حياة داخل الحياة التي تعرف أنماطها الرتيبة . وهي بذلك تضيف وجوداً جديداً ، أي تزيد الوجود الذي نعرفه . هذا الوجود الذي تخلقه علاقات الكلمات بواسطة تشكيلات لغوية عن طريق تمثيل جديد له . والبناء الاستعاري بعملية الخلق اللغوي يؤدي إلى استمرار شباب اللغة، ونضارتها . والاستعارة في حقيقتها مشاعر وأفكار يقترض بعضها من البعض الآخر بصورة متممة . وتعانق الصميم في سياقات متألّفة وليس شكلاً إضافياً أو ثوباً تزينياً للغة ) (٢) .

( إن صلة الاستعارة بالصورة هي الجزء بالكل وهما يلتقيان في أن كليهما تشكيل لغوي قائم على هدم علاقات قديمة ، وبناء علاقات جديدة بين عناصر لم تكن بينهما صلة من قبل ) (٣) .

(١) المشاهد في القرآن الكريم - حامد صادق قنبي - ص ٣٥٥ .

(٢) فلسفة البلاغة - رجاء عيد - ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث - وجدان الصايغ - ٢٦٥ .

## الكناية :

- ( الكنية على ثلاثة أوجه :- ١- أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره .
- ٢- أن يكنى الرجل باسم توفيراً أو تعظيماً .
- ٣- أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب اسمه عبد العزى ، عرف بكنيته فسماه الله بها .
- والكناية : أن تتكلم بشيء وتريد غيره . والكنى : جمع كنية من قولك كنييت عن الأمر وكثوت عنه إذا وريت عنه بغيره ) . (١) وقال قدامة :-
- ( ومن أنواع ائتلاف اللفظ و المعنى الإرداف وهو : أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دلَّ على التابع أبان عن المتبوع ) . (٢)
- ( والكنية بالضم ، والكسر في فائها ، واحدة الكنى ، واشتقاقها من الستر - يقال : كنييت الشيء ، إذا سترته ، وإنما أجري هذا الاسم على هذا النوع من الكلام ، لانه يستر معنى ويظهر غيره ) . (٣)
- ( وهي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ كقولك فلان طويل النجاد أي طويل القامة . و فرق الخطيب القزويني بينها وبين المجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه فإن المجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو قولك " في الحمام أسد " أن تريد معنى الأسد من غير تأول ، لأن المجاز ملزوم قرينه معاندة لإرادة الحقيقة ) . (٤)
- ( والكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك ، كما تقول : فلان طويل النجاد ، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه ، وهو طول القامة وسمي هذا النوع كناية ، لما فيه من إخفاء وجه التصريح ، ودلالة كنى على ذلك ، لأن : ك ، ن ، ي ، كيفما تركبت ، دارت مع تأدية معنى الخفاء ) . (٥)
- ( والكناية أبلغ من الافصاح... وليس المعنى أنك لما كنييت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشد . فليست المزية في قولهم : " جم الرماد " أنه دلَّ على قرى أكثر ، بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ ، وأوجبته إيجاباً هو أشد ، وادعيته دعوى أنت بها أنطق ، وبصحتها أوثق ) . (٦)

(١) لسان العرب لابن منظور - دار صادر - ج ١٣ - ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر - ص ١٥٥-١٥٦ .

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز - يحيى بن حمزة العلوي - ج ١ - ص ١٨٦ .

(٤) بغية الايضاح لتلخيص علوم المفتاح في علوم البلاغة - عبد المتعال الصعيدي - ج ٣ - ص ١٥٠ .

(٥) مفتاح العلوم للسكاكي ص ٤٠٢ .

(٦) دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجاني - ص ٧٠ - ٧١ .



( وهي كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز ، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز ..... والمستور فيها هو المجاز ، لأن الحقيقة تفهم أولاً ، ويتسارع الفهم إليها قبل المجاز ، لأن دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية ، وأما المجاز فإنه يفهم منه بعد فهم الحقيقة ، وإنما يفهم بالنظر والفكرة ولهذا يحتاج إلى دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ ) .<sup>(١)</sup>

( وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام فإن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات ، وقد يكون موصوفاً ، وقد يكون نسبة . \_\_\_\_\_ الكناية التي يطلب بها صفة من الصفات نوعان :

١- كناية قريبة وهي ما يكون الانتقال فيها إلى مطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه ، والمعنى المنتقل إليه نحو :-

رفيع العماد طويل النجا      دساد العشيرة أمردا

٢- كناية بعيدة وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط نحو " فلان كثير الرماد " كناية عن المضياف ، والوسائط هي : الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق ، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز ، ومنها إلى كثرة الضيوف ، ومنها إلى المطلوب وهو المضياف الكريم ) .<sup>(٢)</sup> \_\_\_\_\_ : ( الكناية التي يراد بها نسبة أمر لآخر إثباتاً أو نفياً ، فيكون المكني عنه نسبة نحو :

إن السامحة والمروءة والندى      في قبة ضربت على ابن الحشر

جعل هذه الأشياء في مكانه المختص به يستلزم إثباتها له . والكناية المطلوب بها نسبة إما أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها كقول الشاعر :

الـيـمـن يـتـبـع ظـلـه      والمجد يمشي في ركابه

وإما أن يكون غير مذكور كقولك " خير الناس مَنْ ينفع الناس " كناية عن نفي الخيرية عن ( لا ينفعهم ) .<sup>(٣)</sup>

\_\_\_\_\_ : ( الكناية التي يكون المكني عنه موصوفاً . إما معنى واحداً " كموطن الأسرار " كناية عن القلب

وإما مجموع معان كقولك : " جاءني حي مستوي القامة عريض ( الأظنا ) كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به ) .<sup>(٤)</sup>

(١) المثل السائر ٠ لابن الأثير - ج ٢ - ص ١٨٢ - ١٨٤

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع - السيد أحمد الهاشمي - ص ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٣) المصدر السابق - ص ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤) المصدر السابق - ص ٢٧٥

(ومن مميزاتها :-

١- أنها دليل على الدعوى التي تريد إثباتها .

٢- تمتاز بالإقناع لانه لا يأتيك بالدعوى إلا ومعها دليلها .

٣- نعبر بواسطتها عن كثير مما نتحاشى التصريح به .

٤- تضع لك المعاني في صورة المحسات .

٥- التعبير عن القبيح بما تسبغ الأذان سماعه .

٦- أكثر تأثيراً في النفس وأكثر تأكيداً للمعنى الذي نريد .<sup>(١)</sup>

( ترجع الأساليب البيانية ومنها الكناية إلى ظاهرة نفسية هامة في الحياة العقلية وهي : تداعي المعاني ، والتلازم بين المكنى والمكنى عنه عامل من عوامل هذا التداعي في أذهان الناس ..... وما عده المحدثون تداعي المعاني يدعى لدى الأقدمين بالتلازم الذهني . وكانت الكناية مفتاحاً للرمزية كمذهب أدبي حديث من حيث تصوير الحقائق والمعاني بشيء من الخفاء وفي هذا الخفاء يكمن السحر ) .<sup>(٢)</sup> وللكناية أسباب :-

أحدها : التنبيه على عظم القدرة ، نحو ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ [ الاعراف : ١٨٩ ] كناية عن آدم .

ثانيها : ترك اللفظ إلى ما هو أجمل ، نحو : ﴿ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ﴾ [ ص : ٢٣ ] فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب في ذلك ، لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه ثالثها : أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ، ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفشاء والرفث والدخول .

رابعها : قصد البلاغة والمبالغة ، نحو : { أمن يشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين } [ الزخرف :

١٨ ] كنى عن النساء بأنهن يُنْسَأْنَ في الترفه والتزيين الشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني .

خامسها : قصد الاختصار ، كالكناية عن ألفاظ متعددة بفظ ( فعل ) ، نحو : ﴿ لبس ما كانوا يفعلون ﴾

[ المائدة ٧٩ ] .

سادسها : التنبيه على مصيره ، نحو : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ [ المسد : ١ ] .<sup>(٣)</sup>

(١) البلاغة فنونها وأفنانها - فضل حسن عباس - ص ٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨ .

(٢) البلاغة النبوية دراسة وتحليل - صباح دراز - ص ٢١٥ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - ج ٢ - ص ٩٣ ، ٩٤ .

## العناصر الحسية في الصورة البيانية

تعلقت الذهنية البشرية منذ القدم بالتعبير البياني التشبيهي خاصة لقربه من مدارك العقل البشري ، وما يتميز به من نقل العناصر الفكرية من المجرد إلى المحسوس ، ووضع معالم تقريبية تخرجه من الغموض إلى الوضوح ، ومن البعد إلى القرب ، في بناء بلاغي حي متفاعل ، تسري فيه عناصر التأثير والتنبيه. وارتباط الصورة التشبيهية بما هو محسوس تحيط به مؤثرات شتى حضنت الفكر الإنساني منذ بدء النشأة على هذه الأرض. و ذلك فيما تبثه العناصر الحسية المشاهدة المنظورة من وسائل التقريب والإقناع . ( والصورة التشبيهية في الحديث تعتمد عنصر المشابهة الحسية من المرئيات مما يعد فضيلة له لا مأخذاً عليه ، ولم يكن هذا الصنيع يعني قطع الصلة بالشعور؛ فهي صور محافظة على حرارتها وتدفق إشعاعاتها النفسية والفنية ؛ لأنها صدرت من صندوق يحمل رسالة سماوية ولأنها بعيدة عن إفسار التقليد ومهامه الابتذال اللذين يبقيان الصورة في إطار الحواس ولا يجعلانها تتغلغل في حنايا النفس . وهي غير مغالية في تحية التفسير المنطقي والواقع لأن عناصرها من الواقع والمشاهدات ، ولأنها لا تقوم على قنص وترف ذهنيين ؛ بل واءمت بين الوضوح والتأثير الوجداني في صيغ تركيبية فنية تزيد في فاعليتها ) . (١)

( والحواس وسائط نقل للأشياء الموجودة في العالم الخارجي ، وأثبت علماء النفس أنه ليس في العقل شيء لم يكن أولاً في الحواس وأن تربيتها تربية للعقل . وكلما كانت العناية بتربية الحواس تامة كان لهذه التربية أثر كبير في الحياة العقلية للإنسان ، وبغير الإدراكات الحسية الواضحة لا يمكن تكوين صور ذهنية واضحة في النفس ) . (٢)

( والتعبير عن المعقول بالمحسوس عودة إلى طبيعة اللغة الأولى حين كانت تلتبس بالمحسوسات التباساً لا انفكاك منه ، الشعر والأدب في هذه الصورة رجعة إلى اللغة المصورة ، رجعة إلى طفولة الإنسان في حسه وشعره ولغته ) . (٣)

(١) الصورة الفنية في الحديث النبوي - أحمد ياسوف - ١٥١ .

(٢) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم - نذير حمدان - ٣٠٢ .

(٣) التصوير البياني - محمد أبو موسى - ١٥٠ .

## خصائص الصورة البيانية في أحاديث الغيب

ومنها :-

١- وضوح الصورة

٢- سهولة الألفاظ .

٣- التكامل الموضوعي البلاغي بين الصورة البيانية وسياقها .

٤- التشارب بين بلاغة البيان النبوي وروحانية الوحي بالغيب .

وستتناول الدراسة – إن شاء الله – كل خصيصة بشيئ من البحث تتبين به العقول عظمة

النبوءة وعظمة المنبئ ، وتستيقن به القلوب وقع الحدث الفعلي والزمني الذي نبأ العليم

الخبير به المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ .

## ١- وضوح الصورة البيانية :-

تقشعت بالإسلام غيوم الجهل ، وتبددت بأنواره ظلمات الوثنية ، وكذلك النبوءات الغيبية قرآنية ونبوية في صورها البيانية تقشعت بها عن الأذهان أستار الكفر والإنكار لليوم الآخر ، فعانقت النفوس الصافية والبصائر النيرة حقائق تلك النبوءات قبل أن تراها في الغيب الدنيوي ، وقبل أن تتحسسها في الغيب الأخرى . لو لم تكن هناك عقيدة إيمانية تقود تلك النفوس فتريحتها ، وتهدي تلك القلوب فترضيها ، لما سمعنا عبارة ( الجنة إني لأجد ريحها من دون أحد ) لو لم تكن الأنباء الغيبية من الوضوح والبيان بما تنساب به إلى القلوب ، وتقر به فيها ، لما تحسس ذلك الصحابي بل استشعر غيباً أخروياً وهو ما زال حياً في هذه الدنيا . ولو لم تسر أخبار الغيب سهلة طيعة إلى القلوب المطمئنة بالإيمان لما كان سؤال الصحابي عن تعاقب الخير والشر حتى يستبرئ لدينه ونفسه من تلك الفتن . فقد صدّق محمداً نبياً الفتن ، وقادة ذلك إلى تلمس الخير و البحث عنه . لو لم تقع أنباء الغيب موقعها من النفوس المؤمنة لما خشيت وقوعها ، وهابت شر فتنها ، ورغبت في خيرها وبشائرها . ولو استغلقت عليهم فهمها وبعدت عنهم تركيباً بيانياً لاندثرت بعيداً عن سرائرهم . لكننا نجد لها علوقاً بالقلوب وبالأفئس تذهل أن تصفه العقول وما ذاك إلا أنها بيان تبييني إيضاحي تنويري .

وللوضوح الذي تنعم به صور البيان الغيبية عناصر استمد بها إضاءاته من أهمها :-

١- غلبة التشبيه على غيره من روافد الصورة البيانية .

٢- دقة اختيار المشبه به .

٣- الاستعارة القريبة .

٤- الكناية المألوفة .

## أولاً : غلبة التشبيه على غيره من روافد الصورة البيانية :-

( أن الصورة التشبيهية في الحديث تعتمد عنصر المشابهة الحسية من المرئيات ، ولم يكن يعني هذا الصنيع قطع الصلة بالشعور ، فهو صور محافظة على حرارتها وتدفق إشعاعاتها النفسية والفنية ، وذلك لأنها صدرت من صندوق يحمل رسالة سماوية ، ولأنها بعيدة عن إفسار التقليد ، ومهامه الابتذال اللذين يبقيان الصورة في إطار الحواس ، ولا يجعلانها تتغلغل في حنايا النفس . وهي صور غير مغالية في تنحية التفسير المنطقي والواقع ، وذلك لأن عناصرها من الواقع والمشاهدات ، ولأنها لا تقوم على قنص وترف ذهنيين ، بل وامت بين الوضوح والتأثير الوجداني في صيغ تركيبية فنية تزيد في فاعليتها ) .<sup>(١)</sup>

( ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولاً من طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النظر والرؤية ، فهو إذن أمس بها رحماً ، وأقوى لديها ذمماً ، وأقدم لها صحبة ، وأكد عندها حرمة = وإذ نقلتها في الشيء

(١) الصورة الفنية - أحمد ياسوف - ص ١٦٩ .

بمثله عن المدرك بالعقل المحض وبالفكرة في القلب ، إلى ما يدرك بالحواس ، أو يعلم بالطبع وعلى حد الضرورة ، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم ، وللجديد الصلبة بالحبيب القديم ) . (١)  
 ( إن تمثيل المعقول بالمحسوس يؤنس النفس بالمعنى ويمكنه فيها ، وقد يزيل شكها ويصحح لها الدعوى وقد يبين لها مقدار وجه الشبه إن كانت النفس بحاجة إلى شيء من ذلك ) . (٢)  
 ( والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً ؛ ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ) . (٣)

وقد كشفت أنوار التشبيه البيانية الإيضاحية خلال دراسة الأحاديث الغيبية ، وكانت سبلاً عرجت فيها البصائر المستنيرة ، لتلتمس قبساً من نور الله ، وتجد لنفسها مخرجاً من ضنك الزخرف الدنيوي ، ووساوس الضلال الشيطانية . ويمكن أن نجد تأثير ذلك البيان التشبيهي في كل نبأ غيبي ساعد التشبيه في كشف حجه ، وبث ذخيرته ما بين التنبيه والتحذير أو الترغيب والتشويق . ومن تلك النبوءات قوله ﷺ : ( تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباداً ، كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ) (٤)

فالتشبيه هنا قائم على تقريب حال تلك الفتن المعنوية للذهن وللقلب معاً ، لتجد في طلب السلامة من شرها ، وتأخذ بأسباب الحيطة منها . فعرضُ الفتن على القلوب يقابله في الطرف الآخر عرض أعواد الحصير على صانعها عوداً عوداً . والعرض على القلوب ليس استشارة بل ابتلاء وتمحيصاً قال تعالى : ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت ٣] . وبيان حال المشبه به الذي يعرض عوداً عوداً أفاد أن تلك الفتن لا تأتي مجتمعة ملتبسة ببعضها ، وإنما تأتي في تعاقب وتتابع ، حتى يبين حال ذلك القلب إما ثباتاً وإما انحرافاً والعياذ بالله . وما تزال العناصر التشبيهية تتبع حال تلك القلوب حتى تكشف عن عاقبة أمرها ومصيرها . فبعد أن أبان عن حال عرض الفتن انتقل ليبين عن حال ذلك القلب مع تلك الفتن وأنها تنقسم إلى قسمين لا ثالث لهما ، فإما قلب تشرب تلك الفتن وبدأ في انتكاسه شيئاً فشيئاً حتى يضحي كالكوز المائل ليس له مما عَبَّ منه إلا بؤس المخبر وسوء المنظر ، فهو يقاسي الفراغ الذي لا يملؤه إلا طاعة الله ويقاسي خراب المظهر الذي لا يُحسنه إلا الصلة بالله . أما القلب الثابت على الحق ، الذي أغلق بابه دون تلك الفتن ، فيزداد ثباتاً ويزداد يقيناً ، ويحل فيه نعيم الطاعة فيكتسي من ذلك بياض الفوز والفلاح ويزيد بذلك زنة وعلواً .

(١) أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - ص ١٢٢

(٢) علم البيان في الدراسات البلاغية - الدكتور علي البديري - ص ٨٣

(٣) كتاب الصناعاتين - أبي هلال العسكري - ص ٢٤٣ .

(٤) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي - باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً - ج ٢ - ص ٣٥٣ .

## ثانياً :- دقة اختيار المشبه به .

جاء المشبه به في أحاديث الغيب الدنيوي والأخروي مما تستحضره الذاكرة ، ويعرفه الحس ، وتعدهذه الذهنية العربية خاصة والإنسانية عامة . وفي هذا نلمس حرص الرسول ﷺ على أمته ، ومبلغ رحمته بهم ، ورأفته بضعفهم حتى غدا بالبعيد كأنه قريب ، وبالذهني كأنه محسوس مرئي ، ليتقرب إلى الذهن بما ينير فيه جهالته ، ويتقرب إلى القلب بما يكسر فيه قسوته ، ويتقرب إلى النفوس بما يقيم فيها نور الهدى .

وكان المشبه به قد جاء مما عبر عنه ابن الأثير ( بتشبيهه معنى بصورة واعتبره أبلغ الأقسام الأربعة لتمثيله المعاني الموهومة بالصورة المشاهدة ) . (١)

( ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك إذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل ، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له : " أنظر هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ كذلك أنت في أمرك " كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد ) . (٢)

والعناصر التكوينية للمشبه به نجدها مما تزدهر به البيئة عامة ، مما مكن النبوءة أن ترد موارد القبول عند ذوي العقول ، وأن تقع في القلوب موقع اليقين ، وأن تكون لها من الهزات الوجدانية ما تحركها به صُعداً نحو السمو والارتقاء الإيماني .

وإذا ما تأملنا جوانب المشبه به الموجودة في أحاديث الغيب – دنيوي وأخروي – فإننا نجدها تلامس حواسنا وتخالط وجداننا وتقبل عليها أذهاننا مشربئة ، فهي من ودائع محيطنا ، ومن ممتلكات بيئتنا ، ومن ينابيع مألوفنا ، إلا أنها ارتقت بمميزات بيانها الغيبي ، وارتقت كذلك بمميزات قائلها النبي الأمي الذي كان اللسان الناطق عن الوحي المبلغ ما جاء به من عند الله .

وقد عضدت الإشارة قوامه المشبه به في التبيين والإيضاح والكشف ( وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون إظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أبين وأنور ، كان أنفع وأنجع ) . (٣)

( وكان لحركته ﷺ وإشارته موضع كبير في إجادته المعنى ، فحركته معبرة تستلقت النظر وتنبه الغافل ، وتعين على الحفظ والتذكر . إن أداء الرسول ﷺ بلغ من الجودة والتقدم مبلغاً لم يصل إليه مخلوق ، وزاد ذلك جمال أسلوب النبي ﷺ حسناً على حسن ) . (٤)

(١) المثل السائر – لابن الأثير – ص ٣٨١ .

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفاتيح في علوم البلاغة – ج ٣ – ص ١١ .

(٣) البيان والتبيين – للجاحظ – ج ١ – ص ٨٣ .

(٤) الحديث النبوي – محمد الصباغ – ص ٥٣ .

( والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط . ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت ) . ( ١ )  
ومن أحاديث الغيب التي جاءت فيها الإشارة قوله ﷺ :-

( لا إله إلا الله . ويل للعرب من شر قد أقرب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ) .

النبوءة هنا حملت خبر انفتاح فرجة في سد يأجوج ومأجوج ، وقد صحبت هذه النبوءة منذ بدء سياق ورودها إحياءات التحذير والتنبيه والخوف مما تحمله ، وقد نهض بذلك تركيبات وترتيبات الخبر المعنوية واللفظية إضافة إلى السياق ونظامه ثم أعقب ذلك الإشارة فكانت كالري يسقي الثمر فيزداد إلى نضارته نضارة .

وكأنما كانت النبوءة ذاتها دائرة محكمة السبك لا تردّها الأذهان مباشرة ، فهي نبأ غيبي ليس مما يعاينه البصر البشري العادي فتلك الرؤية لم تتجل إلا لنبي مرسل كريم أراد الله أن يكون نذير الأمة بل البشرية أجمعين . فكشف له مالا يستطيع غيره من الخلق كشفه ، ولتمكين تلك الرؤية أعقب الخبر عن الفتح بيان المقدار بالإشارة التقريبية أو الرسم التقديري . فكانت تلك الإشارة فرجة تسربت منها إلى العقل البشري والبصيرة المؤمنة إضاءات بيانية تساعده في إدراك الإحياءات السياقية وتساعده في تخيل مقدار ذلك الخطر وتقدير وقعه .

وقد جاء لفظ الإشارة هنا مسبوقاً بكلمة مثل التشبيهية التي ساعدها سياقها التركيبي في الخبر في كونها نائباً عن الفاعل – ساعدها – أن تكون مرتكزاً في هذا الخبر من ناحيتين :-

**الأولى :** كونها أداة تشبيهية تقريبية .

**الثانية :** وقوعها النحوي في السياق أضاف إليها فاعلية التنبيه للإشارة التي تلتها ، فكانت تمثيلاً إشارياً تقديرياً لا تخطئ فاعليته الإيحائية موارد القلوب الواعية والعقول الفطنة .

**ثالثاً :- الاستعارة القريبة**

( وقد جاءت الاستعارات الحديثية اسمية وفعلية ، وكانت إحدى وسائل التصوير الخيرة ، واستعانت بالمحيط البيئي والطبيعة لتجسيم المجردات ) . ( ٢ )

والغاية التقريبية في استعارات الحديث الغيبي صاحبها غاية التحذير والتنبيه في أحاديث الغيب الدنيوي، وصاحبها غاية الترغيب والترهيب في أحاديث الغيب الأخروي ، وهذا القرب لا يعني السطحية في المعنى الذي حملته الاستعارة ؛ بل يعني أن الوضوح فيها وجلاء معانيها لا يجعل التأمل الذهني يذهب

(١) البيان والتبيين – الجاحظ – ج ١ - ص ٨٥ ، ٨٧ .

(٢) الصورة الفنية في الحديث النبوي – أحمد ياسوف – ص ٢٠٨ .



بها بعيداً في أغوار الخيالات المعتمدة ، ولا ينحط بها في هواجس نفسية غامضة . وتلك النبوءات دنيوية وأخروية كانت تحوطهما الرأفة والرحمة المحمدية النبوية بالأمة التي أشفق عليها المصطفى ﷺ مما هو كائن لها ، وهذا الإشفاق وتلك الرحمة والرأفة حملتها المعاني البيانية الاستعارية بما نعمت به من خلق معالم جديدة وبث حياة حركية تلامس من الإنسان وجدانه وتهز فيه غفلته .

وذلك القرب في استعارات الحديث النبوية الغيبية هو من صميم اللغة العربية التي نزل بلسانها القرآن الكريم ، تكريماً وتشريفاً لها ، والنبي الذي أدبه ربه وعلمه شديد القوى لم يكن ينطق عن الهوى ، لذلك فإننا نجد أن القرب في أخباره الغيبية ﷺ له طابع التميز و التفرد عن سواه من لهجات البشر . وقاعدة ذلك القرب نجدها في كلام الشيخ عبد القاهر الذي سجل للعربية قواعدها وللبلاغة أصولها يقول : ( من ضروب الاستعارة أن يرى معنى الكلمة المستعارة موجوداً في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة ، إلا أن لذلك الجنس خصائص ومراتب في الفضيلة والنقص والقوة والضعف . ومثاله استعارة " الطيران " لغير ذى الجناح ، إذا أردت السرعة .

و ضرب ثان : يكون الشبه مأخوذاً من صفة هي موجودة في كل واحد من المستعار له والمستعار منه على الحقيقة . وذلك كقولك : " رأيت شمساً " .

و ضرب ثالث : وهو الصميم الخالص من " الاستعارة " وحده أن يكون الشبه مأخوذاً من الصور العقلية وذلك كاستعارة " النور " للبيان ) . ( ١ )

قال ﷺ : ( ..... يبيع دينه بعرض من الدنيا ) وفيه تشبيه الدين بالسلعة بجامع الانتهاء والانقضاء في كل ثم حذف المشبه به وجئ بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية التبعية .

وهذه الاستعارة مما يقر في الأذهان الإنسانية في كل مكان وفي كل زمان ، وهي على قرب معناها تذهب بالنفس المؤمنة مذهباً تأملياً ، تشق به ظلمات الجهل ، وترد به موارد النور الرباني ، وهي استعارة تشرق باستضاءاتها العقول ، وتنحني رغبة ورهبة مما في مكنونها من دُرر الإرشاد والتوجيه ، وما تتضمنه من إيماءات التحذير والتنبيه . يضاف إلى ذلك القرب القلبي والاقتراب الذهني ، ما نعمت به من حلى الترفع عن الإيهام والغموض ، فهي في إحياءاتها معان تفتح مغاليق القلوب ، وتنير معاقل العقول بكسر حواجز النسيان والتنكر للفطرة السوية ، وتربط على تلك القلوب الوجلة المشفقة من عذاب الله حتى لا تزل بها القدم في هاوية الضلال .

وطرفي البيان الاستعاري يستمدان قوة إحيائهما من السياق النبوي الذي يعيشان في كنفه ، فهذا البيع كان خاتمة القلب في عرصات تلك الفتن حتى تذبذب الضعف الإيماني وأصبح صاحبه يتقلب في يومه

( ١ ) أسرار البلاغة ص ٦٥-٦٢-٥٥

وليلته ما بين الكفر والإيمان حتى انتهى الأمر بذلك الضعف إلى الخسران ببيع دينه بعد أن أنهكه مرض الفتن ، فرجحت في ميزانه الخَلقي التكويني كفة الحمأ المسنون ، وانحط به ذلك الثقل إلى أسفل سافلين .

وقال ﷺ : ( إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ..... )

التصوير الاستعاري في قوله ( ضيعت الأمانة ) ، الضياع معنى معروف مألوف للمستمعين وللمخاطبين جميعاً ، وهو يمثل في العرف العربي خاصة والإنساني عامة معنى من معاني الحياة ، نتيجة ما يتسبب فيه وما ينتج عنه من عواقب مؤلمة بل قاتلة أحياناً . والأمانة أيضاً من المعاني المعروفة للإنسانية ، ولكن النظم خلق من اجتماع الضياع مع الأمانة تركيباً بيانياً فريداً جديداً بديعاً ، تقف أمامه البلاغة العربية في صمت العاجز ، وسكون المتأمل ، وحيرة المعاند ، وكبرياء الجاهل ، ولكنها تنتهي عند المؤمن برداً وسلاماً بسلاسة ولوجها وعمق معناها الذي احتضن في تلك الكلمتين معاني التشريع كاملة ، بل معاني الدين مجتمعة ، لتمثل أمام المستبصر حقائق كائنة في عالم جرّت عليه الوسائس الشيطانية أذيالها ، فضاعت الفطر في شرورها ، لتظل في ذلك تتقاذفها أمواج الضياع حتى ترديها شر مصير ، أو تقوم عليها الساعة في حين غفلة من أمرها ، فتعمها بظلمات الضالين المضيعين لحدود الله فيحشرون صماً وعمياناً قال تعالى : ﴿ ..... فإما يأتىكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً وخسرة يوم القيامة أعمى . قال رب لم تحشرني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك يجزي من أسرف ولم يؤمن من آيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ طه ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ .

والتصوير البياني الاستعاري قام على تشبيه الحدود والتكاليف الشرعية الدينية بالأمانة بجامع الحفظ ، ثم أطلق المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . والمعنى الاستعاري سار في سياق بياني إيضاحي ، لا يداخله الخيال الجامح ولا توثقه قيود الغموض ، وإنما هو نظم تركيبى انتظمت فيه عقود الحقيقة النبوية بسياج وحيي رباني . وكلما سرت بين نظامه تالألت لك منه فرائد التميز وإن كان من حقل المخاطبين القولي ، وظهرت لك منه مزايا النبوة في استحضار المستقبل من الحوادث ، وبسطها معالم بارزة للأذهان ترسم أحداثها وتعيها أتم الوعي .

وهكذا تمضي كل الاستعارات النبوية النبوية مضاءة الشموع ، مسرحة القناديل ، لا تنتظر من يضع عليها علامات الوجود وأمارات البيان ، وإنما هي في ذاتها العلامة ، وهي في ذاتها البيان .

## رابعاً :- الكناية المألوفة

( الكناية من أبداع المسالك البيانية . والطرق الأسلوبية التي يعبر بها المنشئ عن المعنى ، تعبيراً هادفاً موجزاً يخفى تحت ظلاله لطائف مراده . والرسول ﷺ يضرب المثل الكريم السخي في استعمال هذا المسلك الأسلوبي لدلالة المعاني دلالة ألطف وأكاد وأوجز من دلالة الحقيقة المحضة ) .<sup>(١)</sup>

( والكناية مظهر من مظاهر البلاغة ، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه ، وصفت قريحته ، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، والقضية وفي طيها برهانها ) .<sup>(٢)</sup>

( واستفاد النبي الكريم من عناصر البيئة في التوصيل الفني لغاية دينية هي الإقناع بالحجة ، ولغاية فنية هي تبيان نجاح الصورة في التأثير ما دامت تقدم بملامح يعهدها السامع . وانعكاس المشاهدات اليومية في الأدب دلالة راسخة على تفهم الأديب لما يحيط به ، وسيطرته فنياً على المحيط به ، واستخدامه في نتاجه ) .<sup>(٣)</sup>

عن حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ! إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال ( نعم ) فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : ( نعم ، وفيه دخن ) قلت : وما دخنه ؟ قال : ( قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي . تعرف منهم وتنكر ) فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : ( نعم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها ) فقلت : يا رسول الله ! صفهم لنا . قال : ( نعم ، قوم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ) قلت : يا رسول الله ! فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال : ( تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ) فقلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : ( فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة ، حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك ) .<sup>(٤)</sup>

في قوله ﷺ : ( وفيه دخن ) تعبير كنائي يحذر فيه الفكر ناشداً لمعانيه ، فهي كلمة جامعة اكتنزت في باطنها معاني يكشف عنها تطاول الزمن وتعاقب الدهور ، فالخير الذي به الدخن لا يزال به يخنق فيه أنفاسه ، ويسقيه سمومه ، حتى لا تبقى لذلك الخير بقية وهذا العدم يكون قبل قيام الساعة مباشرة فهي تقوم على شرار الناس .

(١) الحديث النبوي - رؤية فنية جمالية - صابر عبد الدايم - ص ٧٢ .

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع - السيد أحمد الهاشمي - ص ٢٨٠ .

(٣) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف - أحمد ياسوف - ص ٢٧٦ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ١٢ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ - باب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة - وورد في البخاري في باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ؟ - ج ١٣ - ص ٤٤٠ .

ومن اكتنازات ذلك الدخن ما ينفثه منذ وفاة رسول الله ﷺ حتى يشاء الله . وهذا النفث له في كل زمن صورة تخالف ما قبله ، وربما لا تكون هي ذاتها فيما بعده ، لكنها جميعاً تلتقي في أنها مخالفة صريحة للدين تؤدي إلى الخروج من دائرته . وهذا هو خبر المصطفى ﷺ في قوله : ( قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر ) وينتهي بهم الأمر إلى أن يكونوا ( دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها ) فالدخن انتهى إلى نار حارقة بعد أن اجتمعت فيه شرارات شروره ، والمعنى الكنائي للدخن يضم بين جنباته كل البدع والأباطيل التي يروج لها الضالون المضلون ، وهي تأخذ أشكالاً عدة وألواناً مختلفة ، بدءاً بدعوات فردية وانتهاء بشعارات جماعية هدامة ، و تتستر تلك البدع في أول أمرها فتكون بمسميات إسلامية تتخذها قناعاً تخفي وراءه خبث المقصد وسوء النية ؛ كالعلمانية ودعوات التحرر من القيود الدينية ، وهذا الاستتار تكشفه لنا النبوة في قوله ﷺ : ( نعم وفيه دخن ) فالخير موجود ولكنه سقيم . ولذلك لبست تلك البدع قناع المخادعة وتمنعت به في بداية شأنها، لكن شرها قد استطار وثار فيها بركان الرذيلة فاشتعلت نيرانها وارتفع لهبها وهذا هو تعبير النبوة بصور الحال في قوله ﷺ : ( نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ) فكلما نعم كانت إجابة لسؤال الصحابي هل بعد ذلك الخير المشوب بالدخن من شر . وهنا ترفع تلك الأباطيل قناعها ، وترفع أستارها لتكشر عن أنيابها ، وتنشر رذيلتها بضجيج صوته .

والدخن يشمل الكلمة الخبيثة كما يشمل الفعل المنحرف فهو معان متعددة تتوالد منها مع الأزمان معان جديدة مما يبرزاً تحت وطأته كل زمن من منكرات ، وما يشيع فيه من فساد . ولذلك فالدخن عام لكل المساوئ القولية والفعلية مع تغير الزمن واختلاف المكان .

وفي قوله ﷺ : ( أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ) .

الكناية هنا تحذيرية تنبيهية إلى أمر عظيم ، وحدث جلل ، يضطر الإنسان المؤمن إلى أن يسلك سبيلاً شاقاً حتى يحفظ دينه ، ويسلم من الخطوب المتداعية عليه من كل حدب ، بل الفتن المحيطة به من كل جانب . والصورة البيانية الكنائية تنطلق من مرتكزين :

**الأول : العض .**

**الثاني : أصل الشجرة .**

وهما جماع الأمر في هذه الكناية ، فاختيار العض يعني أن ذلك الإنسان قد قاوم بيده حتى ضعفت عن المقاومة فلجأ إلى العض كوسيلة مانعة له من الالتفات إلى الآثام . وأصل الشجرة فيه أن التمسك يكون

بما يتقوى به ، فلم يرد لفظ فرع أو غصن أو ساق لما تحمله هذه الكلمات من ضعف قد تخرقه الفتن المتتالية فيقع من التجأ إليه ، واعتصم به ، وتسقطه عواصف ذلك الشر في خنادق الرذيلة .  
والكنايتان في قوله ﷺ ( فيه دخن ) ( تعض على أصل شجرة .... ) هما من محيط المخاطبين القولي ومن بيئتهما المكانية والزمانية وهذا مالا تنفك عنه كنايات المصطفى ﷺ في أحاديث الغيب الدنيوي والأخروي عامة . ومما تمتاز به الكناية الغيبية أن معناها يظل مفتوحاً لاستيعاب التأويلات المختلفة التي تتجدد بتجدد وتغير الزمان والمكان ؛ ذلك أن الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات السماوية ، وهي عامة للبشرية أجمعين . قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ سبأ ٢٨ .

## ٢ - سهولة الألفاظ

( كلامه ﷺ هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد : ﴿ وما أنا من المتكلمين ﴾ [ص- ٨٦] فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التعجير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصود في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ، ويُسر بالتوفيق . وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخُطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفوز إلا بالحق ، ولا يستعين بالخداع ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في حواه من كلامه ﷺ كثيراً .<sup>(١)</sup>

( وكلامه ﷺ في باب التمكين لا يعدله شيء من كلام الفصحاء ، فلا تلمح في جهة من جهاته ثلثة يقتحم عليه الرأي منها وتنساب فيها الكلمات التي هي من لغة النقد والتزييف أو بعض هذه الكلمات ، أو أضعف ما يكون من بعضها ، إذ هو مبني على ثلاثة الخلوص ، والقصد ، والاستيفاء .

(١) البيان والتبيين - أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ج ١ - ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

١- أما الأول لأنه لم يكن في العرب ولن يكون فيمن بعدهم أبد الدهر من ينفذ في اللغة وأسرارها وضعاً وتركيباً ، ويستعبد اللفظ الحر ، ويحيط بالعتيق من الكلام ، ويبلغ من ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه ﷺ .

٢- وأما القصد والإيجاز والاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه ومن طبيعة الألفاظ في معانيها . ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام وجهتيه ( اللفظية والمعنوية ) - فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية حتى كأن الكلام لا يعدو فيها حركة النفس ، وكأن الجملة تخلق في منطقه ﷺ خلقاً سوياً أو هي تنزع من نفسه انتزاعاً ، وهذا عجيب حتى ما يمكن أن يعطيه امرؤ حظه من التأمل إلا أعطاه حظ نفسه من العجب ، وإنما تم في بلاغته ﷺ بالأمر الثالث .

٣- وهو الاستيفاء الذي يخرج به الكلام - على حذف فضوله وإحكامه ووجازته - مبسوط المعنى بأجزائه ليس فيها نقص ، ولا إحالة ولا اضطراب حتى كأن تلك الألفاظ القليلة إنما ركبت تركيباً على وجه تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه ، وطبيعته في النفس ، فمتى وعابها السامع واستوعبها القارئ ، تمثل المعنى وأتمه في نفسه ، في حسب ذلك التركيب ، فوقع إليه تاماً مبسوط الأجزاء ، وأصاب هو من الكلام معنى جموحاً لا ينقطع به ولا يكبو دون الغاية ، كأنما هذا الكلام قد انقلب في نفسه إحساساً لنظر معنوي .

ولاجتماع تلك الثلاثة في كلامه ﷺ وبناء بعضها على بعض ، سلم هذا الكلام العظيم من التعقيد والعبيء والخلل والانتشار وسلمت وجوهه من الاستعانة بما لا حقيقة له من أصول البلاغة : كالمجاز البعيد الذي يغوص إلى الأعماق الخيالية ، وضروب الإحالة ، وفساد الوضع المعنوي ، وفنون الصنعة ، وما إليها مما هو فاش في كلام البلغاء ، يعين جفاء البداوة على بعضه ، ورقة الحضارة على بعضه ، وهو في الجهتين باب واحد . (١)

وألفاظه صلوات الله عليه جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها ، وجُلُّ كلامه جار هذا المجرى . (٢)

يجمع بين الجزالة في المفردات والديباجة ، والوضوح في الدلالة ، وهو وضوح لا تحجبه مفردات غريبة ، ولا أساليب معقدة ، وجزالة لا يفارقها الوضوح والبيان ولا تنافسها جزالة في متانة التركيب ، وفخامة الإيقاع ، وعدم الابتذال . (٣)

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي - ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) المثل السائر - لابن الأثير - ج ١ - ص ٦٧ .

(٣) الحديث النبوي - محمد بن لطف الصباغ - ص ٥٩ .

( كان الرسول الأعظم حسن الترتيل سهل العبارة ، وأول صفات التعبير لديه سهولة المأخذ وقرب المتنازل ، فإذا أتى السامع حديثه ﷺ ظن لسلامته ويسره أنه مما تسهل محاكاته فإذا أراد أن يأتي بمثله طاش وحر ، وليس اليسير السهل مما يمل على التكرار ، ولكنه يتردد ويظل محتفظاً بجذته الطريفة إذ أن وراءه فكراً دقيقاً يزن الرأي السديد ميزاناً تاماً ثم يعرضه في يسر قريب المتنازل . )<sup>(١)</sup>

قال ﷺ ( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ) ، وقال ﷺ :- ( ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ) ؛ وقال ﷺ : ( أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء ) . وهذه بعض النماذج التي تسري من ألفاظها إلى النفس ريحانة القبول ، وتعلق منها بالقلب آثار الإكبار والتقدير .

فالتشبيه في قوله ﷺ ( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ) يقوم فيه الطرفان على قواعد السهولة اللفظية ، والجزالة المعنوية ، ويجتمع فيهما من عناصر البيان والوضوح ما يلجان به دخيلة القلب ومكمن النفس وجريان الأفكار في الأذهان . المشبه جاء جمعاً منكراً ليعطي دلالة كافية أن ذلك الأمر جلل ، وأنه من الكثرة وعظم الخطر في شأن كبير . لذلك بدأت النبوءة بفعل بادروا وما فيه من معنى المسابقة والمسارة فهو أدل في هذا المقام من لفظة سارعوا التي تدل على طرف واحد وهو القائم بفعل السرعة أما المبادرة فهي تومئ إلى تبادل الطرفين ذلك الفعل والتسابق فيه حتى يغلب أحدهما . جاء في لسان العرب ( بادر الشيء مبادرة وبداراً وابتدره وبدر غيره إليه يبدره عاجله ) .<sup>(٢)</sup>

والمشبه به جاء معرّفاً بالإضافة موصوفاً . وفي ذلك تتنافس آيات البيان اللفظي في اختيار كلمة ( قطع ) الحسية وإضافتها إلى الليل المعنوي ، وإتباع ذلك بصفة الظلمة التي تسدل ستار الهلع على ذلك المنظر المرعب من تداخل القطع وغلبة بعضها على بعض في الظلمة ، واشتداد وطأة ذلك الظلام كلما ازدادت منه قرباً ولوجاً فيه . والمعنى المعنوي في المشبه ( الفتن ) تتجسد فيه الحسية من تحسس القلب لتلك الفتن وتلمس آثارها في الفرد والمجتمع ، وحسية المشبه به تتجسد فيها معاني الحذر والتوقي والتحرز . والسهولة والوضوح في أحاديث الرسول ﷺ الغيبية تنافي الضعة والابتذال . فهي سهولة بيان تقصر دونها بلاغة غيره من الخلق ، هي سهولة تهز الأنفاس وبها تنجلي عن العيون غشاوة التيه ، وتفتح مغاليق القلوب ، وتستبصر البصائر ، وتستثير الأذهان ، فترتفع بذلك عن الوضاعة وتتمتع بكرائم آثارها وعظائم معانيها عن الابتذال .

(١) البيان النبوي - الدكتور محمد رجب البيومي - ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) لسان العرب - ج ١ - ص ٣٦ .

وفي قوله ﷺ: ( ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ) نجد الألفاظ : القاعد ، القائم ، الماشي ، الساعي . وقد سبقتها كلمة الفتن نكرة دالة على الكثرة والعموم ، وسبق لفظ الفتنة الفعل المستقبلي ( ستكون ) وماله من حتمية الدلالة اللغوية ، ويقين النبوة المحمدية ، والذي أضاف إلى فاعليته في اللغة الجزم بالحدث ومستقبلية وقوعه . وهذه الأسبقية للفعل الكائن من الفتن أعقبه تصوير لفظي لحالات التفاعل مع تلك الفتن وبيان تقديري وصفي لذلك التفاعل . فالكلمات : قاعد ، قائم ، ماشي ، ساعي ، لا تفق عند دلالتها العادية لهيئات الإنسان في حياته اليومية ، وإنما تأخذ أبعاداً شتى في رسم ملامح من المكني عنه المعنوي المتمثل في تصوير قدر المشاركة في الفتن . ولكن الحسية في المكني به المتعدد الأحوال لا تلبث أن تتصاعد في ذرا المعاني المعنوية حين نتأمل إحياءاتها . فالقعود والقيام كلاهما هيئة محسوسة قد يتخذها الإنسان في حال الفتنة باعتزاله موطن تلك الفتن وأصحابها ، وقد يتخذها بترك الخوض فيها والجدال حولها .

إلا أن القيام يوحي بشيء من القرب من تلك الفتن إما عن رضى عن شيء منها ، أو أن يستسيغ المرء بعضاً من منكراتها – والله أعلم – والتميز هنا لم يقع في الهيئة ذاتها ما بين القعود والقيام وإنما وقع في ذلك المعنى المعنوي المتصاعد منهما تجاه تلك الفتن .

والماشي والساعي كلاهما – أيضاً – هيئة محسوسة قد يتخذها الإنسان في حال الفتنة بتيسير بعض أمورهما إما بدعوات كاذبة أو تقديم عون مادي أو معنوي لأصحابها ، أو تسهيل ورودها على المسلمين ديارهم الأرضية والقلبية أو مخادعتهم حتى تقر بين ظهرانينهم فلا يستطيعون من شرها خلاصاً ولا من إثمها فكاكاً . وهيئة الماشي لا تفتأ بصاحبها حتى تبلغ به انحطاطية الساعي الذي تجره أذيال جريمته حتى يشرف على درك الفتنة فتهوي به في مكان سحيق . قال ﷺ: ( من تشرف لها تستشرفه ) .

والألفاظ ( قاعد ، قائم ، ماشي ، ساعي ) انتقلت من معهودها الحسي في الهيئة إلى تقديرها المعنوي في المشاركة ، فكانت بيانات كنائية تومئ إلى الحدث وتترك لك أن تتأمله وتذهب في استحضر خطره وتتبع وقعه كل مذهب .

( و ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه ، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله ، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليلا ، محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفضولة ، محذوفة الفضول ، حتى ليس فيها كلمة مفضولة ، وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم ، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره ﷺ . (١) )

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – مصطفى صادق الرافعي – ص ١٩٣ .



وفي قوله ﷺ : ( أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء ) حيثما انتقل بصرك ، واستبصرت بصيرتك ، واستنار ذهنك من ألفاظ هذه العبارة فإنك لا تجد منها إلا القريب المعهود ، والطريف الأليف . لكنك إذا أردت منها معانيها ورمت منها دلالتها النبئية رجع إليك بصرك خاسئاً أن ينظر إلى مثلها في كلام غير كلام محمد الأمين ﷺ . وانكسر قلبك وتفطر أن يبصر مثلها عند غيره من العالمين . وانحنى الذهن يقيناً بالعجز من أن يدرك غير عقل محمد بدع مثل هذا الطلع النضيد . أمام هذه الألفاظ على عرفيتها وديمومة تداولها تطأطئ البلاغة البشرية مواطن لبها .

في قوله ﷺ : ( الغر المحجلون ) تقوم المباني الاستعارية في هاتين اللفظتين قيام الخلية في التكوين الحي ، فالصورة البيانية نهض بها الحدث وهو فعل الوضوء وأسدل عليها حُلة التحجيل والغرة ليكتمل التكوين . ثم إن هذا البناء الاستعاري تعضده مفردات السياق من الضمير المنفصل ووقوع عبارة ( الغر المحجلون ) خبراً عنه وتحديد الظرف الزماني ميعاد قيام ذلك البناء بـ ( يوم القيامة ) إلى بيان السبب الذي قام به البناء وهو ما كشف عنه ﷺ في قوله ( من إسباغ الوضوء )

### ٣- التكامل الموضوعي البلاغي بين الصورة البيانية وسياقها :-

إذا كان البيان أكبر وسائله ﷺ في الإقناع والتأثير فلا بد أن تكون الأفكار التي يصورها هذا البيان من القوة بحيث ترج العقائد المتأصلة في النفوس رجا عنيفا؛ بل تحطمها تحطيمًا لتبنى مكانها عقائد أخرى تكون على أتم ما يرجى لها من التأصل والرسوخ .

نطالع أفكار محمد التشريعية ، وأهدافه الخلقية ، وأحاديثه الإنسانية ، وأخباره الغيبية ، فنجد ما لا يؤلف في عصره ولا يعهد في قومه . وإذا كان للتشريع والآداب الخلقية ، والأحاديث الغيبية أمكنتها الفسيحة في كتب العلماء والمحدثين ، فإن المحلل الأدبي ينظر إليها من الوجهة الفنية فيجدها من ناحية الفكرة ذات قوة غالبية نفاذة تنبئ عن عقلية دقيقة واعية . على أن روعة هذه الأفكار تزيد قوة وجلالة إذا نظر الناقد إلى سياقها وطريقة عرضها . الفكرة الدقيقة لدى محمد تأتي في مساق واضح سهل ، وهي على دقتها النفاذة لا تتعدى في كثير من أحوالها حديثا سيق في مجلس على ملا من الناس ففهمه الجميع .<sup>(١)</sup>

من خصائص أسلوب الحديث : الأصالة ، ويراد بالأصالة في الأسلوب بناؤه على ركنين أساسيين : من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة ، وتلك هي الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ .

أما خصوصية اللفظ فهي دلالاته التامة على المعنى المراد ، ووقوعه الموفق في الموقع المناسب ، وآية مطابقته لمعناه ومبناه أنك لا تستطيع أن تبدله ولا أن تنقله . والخصوصية في اللفظ أصل الدقة في التعبير ، والوضوح في المعنى ، والصدق في الدلالة . والكلمة في الجملة ، كالقطعة في الآلة إذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة ، والنظام المطلوب تحركت الآلة وإلا ظلت جامدة .

أما الركن الآخر : طرافة العبارة فأسوة الابتكار في حكاية الخبر ، وتصوير الفكر ، وتقويم الموضوع ، وهيات أن تجد الجملة المبتكرة التي تنثير الإعجاب ، وتحدث الأثر ، وتحرك الفتنة إلا إذا وجدت الكلمة الخاصة التي تحدد الفروق وتجدد العلاقة وتبعث الحركة . وبخصوصية الكلمة ، وجدة العبارة ، يتحقق الطبع في الأسلوب . ويتجلى لنا في الحديث الطبع الذي هو سمة الأصالة ونتيجتها ، الطبع الصافي الذي يورث الأسلوب الدقة والحيوية والوضوح والروعة .<sup>(٢)</sup>

والسياق ذو الأثر البالغ في فقه المعنى واستنباطه نوعان كليان :

**الأول :** سياق مقال مائل في تركيب النص وقرائنه البيانية الملفوظة والملحوظة ، والعلائق بين عناصر بنيته في ظرفها الخاص المحدود ، وظرفها العام الممدود عبر التاريخ الوجودي للنص في جنسه القولي.

(١) البيان النبوي - محمد رجب البيومي - ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) الحديث النبوي - محمد بن لطفي الصباغ - ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

لأن الكلمة في بنية النص ليست لبنة في جدار بل هي خلية حية في جسد تام . فهي تستمد حياتها ووجودها الوظيفي من علائقها بما شاكلها في تشكيل البنية وتمده هي أيضاً بذلك ، ومن ثم كان السياق ومنهج الاعتلاق وحركته بين العناصر في بنية النص هو الذي ينفث في الكلمات قيمتها الدلالية ، وهذا يجعل البناء اللغوي للمعنى وفقاً لسياقة العام والخاص بناءً متنامياً ينمو من داخله .

فالأشياء في البناء اللغوي عناصر تتفاعل لا أجزاء تتجاور ، وإدراكنا لثمارها إنما يتم من خلال إدراكنا للعلائق الجووانية فيما بين هذه العناصر . وهذه العلائق ذات أنماط ووظائف متعددة : منها علائق نظامية ممتدة على المستوى الأفقي للبناء على نحو ما نراه في علائق بنية الآية القرآنية ، وبنية الجملة والعبارة في الحديث النبوي ، ومنها علائق نظامية ممتدة على المستوى الرأسي للبناء على نحو ما نراه في علائق بنية السورة كلها ثم القرآن كله وما نراه في علائق بنية الحديث كله ونظائره في بابه .

و السياق المقامى وهو واقع حضاري اجتماعي للنص مائل في عالمه الخارجي الذي ينبعث فيه . والواقع الحضاري لأى نص إبداعي بله الاعجازي مضمار رحاب يستوعب كل ما يتعلق بمصدره ومستقبله وظرفه الزماني والمكاني ، فهو أفق مفتوح وليس إطاراً محدوداً ، ومن ثم كان من الجدير بالعناية في فقه المعنى في بيان النبوة الوعي البالغ بدقائق حركة الحياة زمن الوحي في الجزيرة العربية وما حولها . وكذلك معرفة خصائصه الذاتية والدعوية ، وخصائص منهجه ﷺ في تقويم حركة حياة الصحابة من حوله والأمة من بعدهم ، ودفع تلك الحركة إلى آفاق أسمى وأرحب . وكذلك معرفة خصائص الصحابة من حوله وأدبهم في تلقى بيانه ولقائيتهم في إدراك دقائق ذلك البيان ولطائفه وحكمه بما جمع الله - عز و علا - في صدورهم من بلاغة التلقى الأمثل وعزيمة الامتثال والتسليم لما قضى به الله - جل جلاله - ورسوله ﷺ .

والسياق المقامي يكشف وجوه المعنى في النسق اللغوي ولا يحصرها ، يهدى إلى دلالات متعددة متنامية متصاعدة ، ولا يأسر البنية اللغوية والنسق البياني في دلالة ، فالعناية به قائمة إلى التفاعل مع السياق المقالى لفتح طاقاته الدلالية وليس لحبسها في سرادقات الموروث المعجمى لعناصره الافرادية والتركيبية ، فنحن بالسياق المقامى ذى الأنحاء المتعددة نطلق النص ونحرره من سطوة الاسقاط الدلالي لىتمتع بحرية الايحاء وفاعليته ، نحن لا نعتني بالسياق المقامى لنتحدث عنه وإنما لنفقهه . والحديث إنما يكون في النص نفسه ماثلاً في بنيته اللغوية ونسقه البياني لنفقه ما هو مكتنز فيه من إشارات ، إذ النص ليس وجوداً لغوياً منفصلاً عن سياقه الحضاري فهو سليله مثلاً هو قائم فيه .<sup>(١)</sup>

(١) فقه بيان النبوة - محمود توفيق محمد سعد - ص ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ .

المعنى والمبنى يمتزجان في الحديث النبوي الشريف ، والفكر والأسلوب يتعانقان في هذا البيان المشرق. ليقدم للبشرية المنهج الإسلامي السديد المنبثق من هدى القرآن العظيم .

فمنابع الجمال الفني في الحديث النبوي تصدر عن توفيق الحق سبحانه وتعالى لحبيبه محمد ﷺ وتتبع كذلك من توقيف ومصدر إلهي . لأنه لا ينطق عن الهوى وفي تجليات التوقيف والتوفيق تضيئ النشأة النبوية التي أراد لها الله أن تكون في أصفى البيئات وأنقاها لغة وسلوكاً وقيماً .

إن جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي تتعدد وجوهاً ، وتتنوع طرائفها ، ولكن الأثر الباقي في النفس الإنسانية المؤمنة برسالة الإسلام والتي تعمق فيها الإحساس بعظمة الشخصية المحمدية وعبقريتها، هذا الأثر الباقي هو الإحساس بجمال المنطق وحلاوة التعبير وشرف المعنى وصحته ، وسمو قصده وحكمته .

ومن خصائص وسمات الجمال في " الحديث النبوي " : أنه ينأى عن المحاجة العقلية الباطلة ، وأنه يجادل الخصم بما يعرف ، ويأتي إليه من جهة فهمه ، حتى يكون الإقناع أكثر تأثيراً في النفس . ويبقى تفرد الحديث النبوي بخصوصية العموم والشمول وتميزه بالعاطفة الإنسانية المتزنة الثابتة التي تقدم في إطار صورة أدبية دالة موحية ، موشاة بألفاظ رائقة ومعان فائقة ، وآفاق شائقة .<sup>(١)</sup>

قال ﷺ : ( يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة )

النبوة هنا بيان بياني بلاغي تقريرى تقوم فيه البينات البيانية بتقرير حال تنتهي إليها شردمة في آخر أزمان هذه الأمة . والتعبير البياني يصور منذ بداية النبوة تلك الحالة ويتتبع أحداثها حتى يرصد خاتمها. والصورة البيانية في هذا الخبر كناية كانت أم تشبيهاً لم تأت عرضاً يمكن أن تزيله خبرية الحدث ، وإنما نجد أن الصورة البيانية هي قلب الحدث النابض ، وهي رواء الخبر الذي يمد كل عنصر من عناصره بمداد الحيوية والتفاعل . ولا يمكن فصل الخبر النبوي هنا عن صورته لأنهما كيان واحد إن اجتث أحدهما مات الآخر عقبه . فالمضمون هنا لب الخبر ، والصورة ثمرته ، ولا يمكن أن يقاس بعد الأثر الإيحائي إلا بمقياس المداد التصويري البياني الذي عانقت فيه آيات الجزم الحدتي ينابيع الصفاء النفسي ، والاطمئنان القلبي فيسهل نفوذه بعد ذلك إلى الفكر ليستيقن به الغيب الموعود فتنساب منه لطائف التصديق بما جاءت به النبوة ، والخبر الذي حملته هذه النبوة عن انقطاع الصالحين من الدنيا بتدرج يحو معه كل خيرية حتى لا يتبقى على الأرض إلا بقايا أفسدتها الوسواس الشيطانية ، وتلاعبت بها الهواجس والرزايا فاننتقلت بطغيانها من كرامة الإنسانية إلى حقل البهيمية الذي ترعى فيه حنظل غوايتها .

(١) الحديث النبوي - رؤية فنية جمالية • صابر عبد الدايم - ص ٢١ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٤٧ ، ٦٥ .

الصورة البيانية في هذا الخبر هي ذاتها المعنى في هيئة تدنيه من الأفهام ، وفي تركيب لا يمكن أن يؤدي ذلك المعنى إلا به . حتى تكتمل فيه آيات الصدق والقبول ، وتقوم به براهين الحتمية والوقوع . لن تهتز الأنفس ولن تقشعر القلوب من النبأ لو أنه ورد بسياق خبري بعيد عن التصوير البياني كما اهتزت واقتشعرت وأيقنت وتخيلت بل استحضرنا ذلك عند وروده في طيات البيان البلاغي . فالتصوير لم يقف عند الحد البلاغي في قانون اللغة وإنما خطا إلى المهمة الإبلابية النبوية الوحيية الربانية .

والصورة في النبأ السابق ليست طارئة على المعنى وإنما هي لبنة لو لم تقم لما استقام البناء البياني واستوى على قواعده . وهكذا تمضي كل صورة بلاغية نبوية في تأدية دورها الإبلابي في الرسالة المحمدية كمرتكز تنطلق منه على مر الأزمان وتغير المكان هدايات الخير الرباني الذي تفتقت كنوزه لهذه الأمة ببعثة المصطفى ﷺ وتتابع تفيض خيريتها بسنة النبي الأمي الذي بلغ ما أوحى إليه ممزوجاً بحرصه وخوفه وشفقته على أمتة . فجاءت نبوءاته قلباً نابضاً يشيع في النفوس الحياة المستقيمة ، لتسكن الأجساد طمأنينة العاقبة الحسنى . فالنبوة ليست قالباً بلاغياً جامداً ، وإنما هي ذلك النبض الذي يسري في نفوسنا التسليم به واعتقاد كينونته ، وما ذاك إلا أنها بلاغة في الرسالة وليست رسالة بلاغة .

قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ [ الشورى - ٥٢ ] ، ذلك التشارب هو طمأنينة القلوب ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [ الرعد - ٢٨ ] وهو ذكرى أولى الألباب ﴿ إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب ﴾ [ الزمر - ٢١ ] .

قال ﷺ : ( يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم ) ، جاء في هذه النبوءة لفظ العرق ، وهو معنى معروف للمخاطبين لكن سياقه اللغوي الذي ورد فيه ، وسياقه البياني البلاغي لا يأتلفان مع ذلك المعروف بل ينقسمان تجاهه إلى قسمين تبعاً لحالة المخاطب الإدراكية وقدرته البصيرية في الاستنارة بنور الإيمان .

**الأول :** موقن مصدق مشفق وجل ، تنتابه هزة الصحو الإيمانية وتعلوه حتى يحل به سلام الطمأنينة بالوعد الرباني .

**والثاني :** منكر معاند مكابر مستبعد أن يكون هذا الحدث لغرابته لمعروفة وتنافره مع مألوفه اللذين سيطرا عليه حتى ألجما فيه فطرته السوية فصمت آذانه ، وعميت بصيرته ، واجتالته جاهليته . فهو يتخبط فيها حتى يلقي وعيده الرباني . نجد أن كلمات النبوءة التصويرية ليست مما ينكره المعاند ، وإنما المنكر عنده هو الهيئة المتكاملة من البناء التصويري . فهو لا يجد متسعاً في ذهنه الدنيوي الذي أسرته طينة الأرض بعد أن عطل الغرور فيه روحانيته - لا يجد متسعاً - لقبول ذلك التصوير الغيبي الأخرى . أما المؤمن فإن فطرته السليمة وقلبه المطمئن وذهنه المنتفع بالذكرى هو بوابة مفتوحة لاستيعاب تلك النبوءة وتمهيد القرار لها في نفسه لتسري حياة طيبة في جسده . ثم إن المؤمن يعلم أن ذلك النبأ لا يستحيل على قدرة الخالق ، وهو أيضاً لا يأخذ النبأ صورة بيانية بلاغية قد ترصد حدثاً ما ، وإنما يسري إليه متكامل مبنى ومعنى ، ويعيش في كنفه متأملاً فلا يلبث أن تقوم فيه رغبة الخلاص من هول ذلك الموقف فيجد ويجتهد للعمل الذي - بمشيئة الله - يكون نجاة له وخلصاً .

والمؤمن في كل ذلك لو لم تستقر فيه آية التصديق بالنبوة والوحي والرسالة لما امتاز عن ذلك المنكر المعاند ، ذلك أن النبوءة هنا هي تركيب بياني بلاغي تبيني محمدي إلا أن أسسه ورأس أمره وحي منزل من العزيز الكريم . وإذا لم تدرك العقول وتتقبل النفوس هذين الأمرين معاً فإنها لن تهتدي السبيل المستقيم .

قال ﷺ : ( ضرس الكافر أو ناب الكافر ، مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث ) .

قال تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾ [ السجدة - ٢١ ]

هذا النبأ العظيم الذي يقف أمامه الضعف البشري بصرأ وبصيرة لا منفذ له إليه إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب . فالخلقة تبلغ عظماً تقصر الأبصار أن تدركه ، والبصائر أن تتخيله بعيداً عن التصديق والتسليم بحقيقة الجنة والنار وما فيهما . ولا يمكن أن تكون ذهنية محمد ﷺ هي من أبدع هذا الخبر وأتم فيه صورته دون الوحي . قال تعالى : ﴿ وما كنت ترجو أن يلتقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴾ [ القصص - ٨٦ ] ، وقال تعالى : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً . إلا رحمة من ربك إن فضلنا كان عليك كبيراً ﴾ [ الإسراء - ٨٦ - ٨٧ ] .

فمحمد بشر إلا أن اصطفاؤه للرسالة هياه أتم تهينة ليكون مبلغ خاتمة الرسالات السماوية . وامتن عليه الخالق بكرامة النبوة والرسالة التبليغية ، أما معانيها فهي توقيف رباني ليس له منه إلا التبشير والتحذير . لذلك إذا لم تتحرك في النفوس روحانيتها ولم تهز القلوب شفتتها من عذاب الله فإنها لن تستشعر حقيقة هذه النبوة وستعرض عنها .

وأمام الأنباء الغيبية النبوية تقف الأنوار الإيمانية ممسكة زمام الحدث من ميلاده الوحي حتى نشأته في الحكمة المحمدية قال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ [ النساء - ١١٣ ] .

وهكذا تتجلى هذه الخصيصة وتتوضح آياتها برهاناً ساطعاً أن الغيب المستتر عنا اليوم هو حقيقة الغد المرتقب . قال تعالى : ﴿ ولنعلمن نبأ بعد حين ﴾ [ ص - ٨٨ ] .

والخصائص في الصورة البيانية الغيبية لا تنفصم عراها عن بعضها ولا تنفك وحداتها ، فهي نسيج متكامل لا تزال تظله العناية الربانية وإن كان منطوقه بلسان بشر إلا أنه نبي كريم ﴿ وما ينطق عن الهوى

- إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ﴾ [ النجم - ٣ ، ٤ ، ٥ ] .

وقد حفلت أساليب الحديث الغيبي بعناصر تشويقية ، زادت البيان بياناً ، وازداد بها الخبر غزارة وعمقاً وبعد أثر ( إذ نجد النبي ﷺ ينبه المخاطب ويشوقه إلى المعنى ويهيئه لتلقيه والإصغاء إليه بطرق شتى ، كالاستفهام ، والقسم ، وأدوات التنبيه ، والإيضاح بعد الإبهام ، والنفي ، والشرط ، والتقديم ، والوعد ، والدعاء ، والوعيد والإنذار ، والأحوال المشاهدة ، والقصص ، والتمثيل . والنبي ﷺ يريد بذلك أن تتمكن تلك المعاني التي شوق إليها في النفوس وتقر بالوجدان ، فيشتد الحرص على امتثالها وتحقيق ما يكمن وراءها من أغراض ) . (١)

تنزهت الصورة البيانية في الحديث الغيبي خاصة عن الاستعانة بالمداد الفني من التنقيح والتصحيح وكذا ذهن ..... الخ . ذلك أنها جاءت على لسان النبي المصطفى ﷺ تقطر منها بواعث الحكمة ، وتلفها هالات اليقين ، جاءت لتفرغ أنسها في النفوس لتسكن وفي القلوب لتطمئن ، وهي في ذلك تستمد حياتها من عظمة الرسالة وخلودها ، ومن صدق القائل وتحقق وقوعها ، فتظل تعمل على بعث الحركة الذهنية والقلبية في المخاطب .

وذلك أنها تتمتع بمزايا شتى قل أن تجتمع في غيرها ، بل إننا نستطيع القول بأنها لا تجتمع في غيرها من كلام البشر ، ومن تلك المزايا :-

- ١- النفاذ إلى أعماق النفس المؤمنة .
- ٢- البناء البياني المتماسك الراسخ الذي تحلق عبره البصيرة إلى عوالم الغيب .
- ٣- امتزاج الصورة البيانية بالذات المحمدية ، والتي حرصت على النقل الأمين للأمور الحادثة في الزمن القادم .
- ٤- وضوح القوة ، وصدق الخبر ، وعمق الحقيقة في الأسلوب النبوي الكريم .
- ٥- خصوصية الصورة البيانية بخصوصية الذات المحمدية .
- ٦- بعدها عن الزخرف اللفظي والمحسن المعنوي المقصود .
- ٧- صفاء ذهن المحمدي ونقاءه كان له انعكاس واضح في أسلوبه البياني الذي حفل بقراءة بواطن الأمور ، واستشفاف حقائقها ، واستجلاء كنهها .
- ٨- تفرد القول النبوي بمميزات لا تحيط بها قدرة بشرية عند غيره في استيفاء للفكرة ، وبسط للمعنى ، ودقة في اللفظ ، وسلامة في التركيب ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ [المائدة-٥٤]

(١) التشويق في الحديث النبوي - بسيوني عبد الفتاح - ( ٧ ، ٩ )



﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ . [النساء ( ١٣ )] .

- ٩- استمرارية التفاعل مع النبوءة مع التغير الزمني وتجدد الفكر البشري .
- ١٠- المسحة الإيحائية التي تعيش في ظلها معاني وألفاظ النبوءة .
- ١١- اتحاد التفاعل الفكري والبلاغي بين الصورة البيانية والسياق الذي ترد فيه .
- ١٢- خصوصية الكشف عن الجمال اللفظي والمعنوي في الصورة البيانية النبوية لا تتم إلا بالقراءة النصية الجامعة بين المفهوم الديني والقالب التعبيري .
- ١٣- ارتقاء الصورة البيانية النبوية عن الإبهام والإيهام والجموح والتذبذب مما يعتري الأذهان البشرية .
- ١٤- اتساع مداخل النص النبوي وسرعة انفتاحه في مصب الدراسة والبحث .
- ١٥- رقي الصورة البيانية النبوية في مدارج الجزم واليقين الذي يستقر في القلوب ويعرج بالنفوس .
- ١٦- طواعية الصورة البيانية للتدرج في البيان لينا وشدة وإيضاحاً وتقريباً .
- ١٧- استقراء البصيرة المؤمنة للصورة البيانية النبوية هو ملاك شأنها وجماع أمرها .
- ١٨- انسيابية التعبير النبوي في لفظه ومعناه وسياقه تخوّله الولوج إلى القلوب فيمتص منها قرح التعلق بالدنيا وزينتها .
- ١٩- إضاءات الصورة البيانية لا تبصرها البصائر المظلمة لذلك فهي لا تأتلف إلا مع النور الإيماني وإن كانت تدق منبه الإنذار وتذك باب الغفلة .

## **المبحث الثاني**

### **وظائف الصورة البيانية :-**

**ومنها : ١- تقريب حقائق الغيبيات إلى الأذهان .**

**٢- تفصيل ما أجملته الصورة القرآنية من حقائق وصور غيبية .**

**٣- الترغيب والترهيب .**

**٤- التأثير الوجداني ( النفسي ) .**

وسنتناول كل وظيفة – إن شاء الله – بشيء من البحث عسى أن نستطيع أن نقدم إرشاداً إلى بعض ما

حملته من بشارات ، وما حملته من نذر ، لعلنا أن نتذكر أو نخشى ؛ فنشد زمام الأهبة والاستعداد لعل الله

بمنه وكرمه أن يتفضل علينا بالهداية والرشاد ومن ثم الفوز والفلاح إن الله على كل شيء قدير .

## ١- تقريب حقائق الغيبيات إلى الأذهان :

( إذا كانت صور عالم الغيب تقرب للإنسان ما يعجز عن رؤيته أو إدراكه فإن صور عالم الشهادة تجلو له ما يدركه وتزين له صالح العمل وتنفره من المقابح ، وتتغور في أعماق الدنيا لتصف له معنى الحياة والموت وقيمة الإنسان في سعيه من أجل حياته الدنيا والآخرة ) . (١)

( والصورة الفنية في البيان النبوي صورة تجسد للسامع مالا يرى في هيئة يكاد يراها أو يتحسسها وبكل جوارحه ، كما أن أثرها العميق في النفس يجعلها أشد قرباً من أي استجلاب لمعنى يطيف بذهن شاعر أو أديب وهو يعتمد بريشته إبراز ملامح رسمه وتلوينه . ) (٢)

قال ﷺ : ( إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأزر الحية في جحرها ) .

الإسلام معان إيمانية تتجسد في الأفعال والأقوال المتبعة لأوامره والمجتنبه لنواهيها ، وهو يقترب من الحسية كلما دخلت تلك الأفعال والأقوال القلوب وخالطت الأنفس ، وجرت في الجسد منها حياة تنقله من ضيق الجهل وضنك الضلال إلى سعة العلم بالله ، ورحاب رحمته وامتنانه بفضلها . فإذا ما تباعدت تلك المعاني الإيمانية عن واقعها الحسي ووقعها التأثيري فقد اغتربت الأصول الدينية ، واغتربت معها النفوس الروحانية ، ولم يبق إلا ثقل الطين تتخبط في وعاء الغي ، وتتحطم في ذلك الإنسان عرى الاستقامة وتنهار بنية تميزه ، وتتساقط لبنات تقويمه وقوامه وتغدو فطرته على عروشها خاوية ، قد جردها طغيانه من كنز الإيمان . وهذه الغربة روحية ، تزيد كلما ضعفت عزة الإسلام في النفوس حتى تضج فيهم صيحات البعد عن الدين تحت أي شعار كانت ، وهنا تتمثل عياناً الغربة الفعلية للإسلام .

ودائرة الغربة التي بدأت حلقتها بظهور الدين ، كانت بداية تأسيس في مكان وزمان عمه الجهل الوثني ، وما زالت تلك الحلقة تمد باعها وتتسع أقطارها ويشد عضدها حتى بلغت أشدها واستوت أثمارها على سوقها في ظل ممدود من الرعاية الربانية وماء مسكوب من تبليغ محمد رسالته السماوية إلا أن تلك الحلقة اشتدت الوطأة عليها فأخذت تستحكم في إغلاق طرفيها بعد ما أصابها من الرزء ما انتقص به من قوتها . والمعنى النبوي يزيد عمقا كلما ازدادت فيه بحثا حتى لا تجد لنفسك منه مخرجاً إلا وقد فتح أمامك معلم آخر ، لكن بلاغة التبليغ المحمدي المستقاة من الرؤوف الرحيم الذي يعلم مقاييس العقول ، ومقادير الأفهام أوردت الخبر في صورة بيانية تأسر للمؤمن ما تفرق من المعاني ، وتجمع له ما تشتت من تغيرات الأزمنة والأمكنة ، في بيان تشبيهي شد زمام الصلة بين المبدأ والمنتهى ، لتتقرب حالة الغربة الدينية وتتمثل للبصيرة قبل البصر ، فيؤخذ بعوامل السلامة ما أمكن ، ولتستشعر النفوس المطمئنة أن اللطف الرباني هياً البيان النبوي ليكون حلقة الوصل بينها وبين الغيب الذي أراد الله أن

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ص ٤٨٧ .

(٢) مشاهد القيامة في الحديث النبوي - الدكتور أحمد محمد عبد الله العلي - ص ٣٢٣ .

تعلمه . ولولا هذا البيان لما استطاع العقل البشري أن يستوعب هذه النبوءة ولا أي نبوءة أخرى تحمل من الغيب ما لا يستطيع تلمس كنهه .

فالإيمان مع البيان البلاغي لا ينفكان حتى تصير الأمور الغيبية في هيئة المنظور المحسوس ، لطفاً بالبشرية المتهتدية التي إذا قالت لها الألوهية أمراً قالت سمعاً وطاعة . قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ . كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ . لَا فَرْقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا غَيْرَ ذَلِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [ البقرة – ٢٨٥ ] .

وقد تعاقب في النبوءة السابقة البيان التشبيهي في صورتين:-

الأولى : بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ .

الثانية : وهو يآرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها .

وهو بيان تشبيهي إيضاحي لحال الإسلام في آخر الزمان ، فحال الغربة أيا كان نوعها قلة أتباع ، أو عدم تطبيق ، أو غلبة شعارات هدامة لمبادئه ، أو ضعف في نفوس أصحابه ، أو تعطيل لنشره وقيام دولته ..... إلخ ، ستختلف عن حال غربته في البداية ، لأنها كانت في طور التأسيس وأما غربته في آخر الزمان فهي في حال الهدم والتدمير والخراب . وتلك الغربة هي أمر ممتد حتى يشاء الله .

والصورة الثانية : نجد فيها الفعل يآرز مسنداً إلى فاعله الإسلام مما يدل على الخطر الذي أحاط به ، إذ لم ترد العبارة أن أصحابه هم من يآرزون ، وإنما الإسلام ذاته فهو أمر عظيم قد حل حتى أحال الدين فاعلاً يطلب الاستقرار والأمان ، والإسناد هنا لا يقف عند المعنى اللغوي بل يتخطاه إلى الدلالة البلاغية التي تكشف عن هول المصائب . ثم جاء الظرف لتحديد المكان الذي سيتم الالتجاء إليه والاعتصام به ، وهو ( بين المسجدين ) وهنا تنوير وحيي نبوي أضاء ظلمة الغربة ، فالمسجدين في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة هما مبدأ حلقة الدين وهما منتهاها . ولمزيد من البيان جاء التشبيه في قوله ﷺ : ( كما تأزر الحية في جحرها ) . الغربة تعدت الأنفس والقلوب وتعدت الأزمنة والأمكنة لتعم غرابة الكلمات بل غربتها بكثرة تداول غيرها .

وقد جاءت مناسبة للغربة الدينية ، فهي تشف عن معنى الاغتراب ومبلغه ، وتشف عن كثرة الأعداء والاعتداء ، وتشف عن البلاء الذي التهم الدين من قلوب أصحابه ، وتناثرت فيهم أشلاؤه حتى أمسى في مكن لا يجد له أماناً في غيره ولا ناصرين له إلا فيه .

والصورتان البيانيتان وردتا بأداة التشبيه الكاف لتربط غربة المعنى بالواقع المحسوس . ففي الصورة الأولى نجد أن العلم بغربة الإسلام في بدايته تقرب إلى الذهن معنى غربته في آخر العهود والأزمان . وكما تحلت قلوب ناصريه في البداية بالشهادة في سبيل الله ، واليقين بما عنده في الدنيا واستبشروا

ببيعهم الله أنفسهم أنهم هم الفائزون . كذلك تحلت قلوب ناصريه في النهاية بشرف الاستمساك بتعاليمه ، والالتزام بقوانينه ، والذب عن حياضه ، واعتزال مناوئيه ، وقد يكون بالاستشهاد . وكل ذلك يبلغون به طوبى ربهم ورضوانه قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَّآبٌ ﴾ [ الرعد -

٢٩ ] . وفي الصورة الثانية نجد الكاف كذلك رابطة بين حالتين الالتجاء الديني والتجاء الحية إلى جحرها . وهذه الرابطة تقف عند حد البيان الشكلي التقريبي دون أن تصل إلى طرفي التشبيه في الخصائص والصفات . فالمشبه به هنا اختير بعناية محمدية نبوية بلاغية ربانية موحاة تنقل غيب الحال في المشبه إلى حالة حسية مأخوذة من حال المشبه به لا من ذاته - والله أعلم - حتى تستطيع الأذهان استيعاب النبوة والتفاعل معها تمكينا ومؤازرة وبحثاً عن النجاة .

وكما كان التصوير البياني التشبيهي في الحديث السابق آية إظهار الغيب المستتر ، فقد كانت الإشارة النبوية قلم المداد الوحي لتقريب حقيقة قرب الساعة . قال ﷺ : ( بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى ) فإذا كانت بعثة محمد ﷺ محسوسة معلومة لأنه محسوس معلوم مشاهد . أما الساعة فهي مستترة عن العقول ، معنوية في الأفهام ، ولا تتمكن في القلوب إلا بالإيمان الراسخ والإسلام المتين . لذلك حفت الرحمة النبوية تلك القلوب والأنفس فبادرتها بالحسية التامة في المشبه به ، وذلك في ضم إصبعيه والإشارة بهما مما ساعد في تمكين المعنى وإحاطته باليقين .

( كذلك نجد الإشارة باليد إلى الفم : وقد استعمل رسول الله ﷺ هذه الإشارة عندما كان يتحدث عن موقف الناس يوم القيامة وعن مكان ارتفاع بحيرة العرق بالنسبة إلى أجسامهم .

- عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى

تكون منهم كمقدار ميل " . " فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق : فمنهم من يكون إلى كعبيه ،

ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إجماعاً " . قال : فأشار

رسول الله ﷺ بيده إلى فيه ) . (١)

وقال ﷺ : ( ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم ، قالوا والله ، إن كانت

لكافية يا رسول الله ، قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها ) .

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي - محمد الصباغ - ص ٥٢٨ .

النبوءة تتحدث عن بيان مقدار حرارة نار جهنم ، وتقديم المقياس العددي للكشف والإيضاح عن ذلك . وقد ورد الإخبار عن مقدار حرارة نار الدنيا بأنها جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . وأن تلك النار الجهنمية قد تفوقت على حرارة نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً كل جزء منها مثل حر نار الدنيا – أعاذنا الله منها – والبيان البلاغي ليس منفصلاً عن البيان الخبري ، فكلاهما يقيمان أود النبوءة وتسري فيها منهما بيانية المعنى وبلاغة المبنى . والتشبيه ورد باللفظ في آخر النبوءة لكنه كان إحياء منذ بدايتها ولو لم يكن كذلك لما لاحظ الصحابة رضوان الله عليهم عظم المفارقة الحرارية بين نار الدنيا ونار جهنم، حينما قال ﷺ : ( ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم ) . فقد فطنت سلائقهم ، وعقلت عقولهم ، وأبصرت بصائرهم أن هذا القول تقريب لحقيقة الحرارة الجهنمية وبيان لمقدارها . وما كان ورود قوله ﷺ : ( فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها ) إلا تأكيداً لذلك الخبر ، ويدلنا على ذلك ورود لفظ التوكيد ( كلها ) ومجئ كلمة مثل التشبيهية التي هي ( أداة تشبيه للتنظير بين المفردين ولا تركيب في طرفي التشبيه معها ) .<sup>(١)</sup> مما أفاد أن التسعة والستين جزءاً من نار جهنم هي كل متحد لا تتفصل أجزاءه وإن اختلفت دركاته وتباينت ألوان عذابه . وهكذا نهضت الصيغة البيانية التشبيهية بوظيفة التقريب للغيب في هذه النبوءة التي لا يعلم مجراها ومرساها إلا خالقها الله العلي الكبير .

## ٢- تفصيل ما أجملته الصورة القرآنية من حقائق وصور غيبية :-

( إن الإيمان باليوم الآخر هو عبارة عن التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكون ويكون انتهاء هذه الحياة الدنيا بكاملها ، وابتداء حياة أخرى وهي الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مدهشة ، من بعث الخلائق ، وحشرهم ، وحسابهم ومجازاتهم .

هذا الإيمان ليس واجباً فحسب بل هو أحد أركان ستة عليها تبنى عقيدة المؤمن ، فلا تتم إذا عقيدته إلا به ، ولا تصح إلا عليه ، قال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ [ البقرة- ١٧٧ ] ولأهمية هذا المعتقد في حياة المؤمن ، ولآثاره الكبرى في استقامة الفرد وصلاحه عني القرآن الكريم به عناية لا تقل عن العناية بالإيمان بالله سبحانه وتعالى فقد ذكره في عشرات السور منه ، وفي مئات الآيات ، مرة بوصفه ، والحديث عنه كقوله تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة

(١) من قضايا البلاغة والنقد – عبد العظيم إبراهيم المطعني – ص ٦١ .

فيومئذ وقعت الواقعة، وانشقت السماء، فهي يومئذ واهية، والمملك على أرجائها وتحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴿ [ الحاقة : ١٣ - ١٧ ] .

ومما يؤكد أهمية هذا المعتقد ، ويجعله كالصمام لحياة الاستقامة والطهر ، والخير هو ذكره مقروناً بالإيمان بالله تعالى ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [ البقرة ٦٢ ] (١)

( إن الحشر عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء في ساحة واحدة تدعى عرصات القيامة وذلك لفصل القضاء ، وهو الحكم فيما بينهم من أجل مجازاتهم . قال تعالى : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ [ الأنبياء ١٠٤ ] .

وقال الرسول ﷺ في الصحيحين : " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد " (٢)

( قال رسول الله ﷺ : ( إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها " وأقروا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة ﴾ [ الواقعة ٣٠

— ٣٤ ] . ويحدث ابن عباس عن هذا الظل فيقول : ( الظل الممدود ) شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج أهل الجنة ، وأهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله تعالى ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا ) . (٣)

وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبوئتهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ﴾ [ العنكبوت ٥٨ ] . وقال تعالى : ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾ [ الزمر ٢٠ ] .

وقال ﷺ : ( إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء ) .

(١) عقيدة المؤمن - أبي جابر الجزائري - ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢) المصدر السابق - ص ٢١٩ .

(٣) المصدر السابق - ص ٢٣٥ .

( قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكواظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ [ آل عمران - ١٣٢-١٣٦ ] . وقال ﷺ : ( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل ) . (١)

( لأحاديث الرسول عن اليوم الآخر وما أعقبه من جنة ونار أهمية بالغة في الدراسات الأدبية المقارنة ، لأن العربية لم تعرف قبل القرآن وصفا كاشفا لليوم الآخر ، وما يتخلله من حساب وميزان ، وصراط ، ثم ما يترتب على ذلك من نعيم وعذاب ! وجاء الحديث النبوي ليوضح ما أجمل القرآن وليسهب في ذكر اليوم الآخر إسهابا يقربه من العقول ، ويجعله حقيقة واقعة لدى قوم ينكرون البعث ويقولون فيما حكى عنهم القرآن ﴿ أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباءنا الأولون قل نعم وأتم داخرون فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون ﴾ [ الصافات ( ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ) ] . كان على رسول الله مع هذا الإنكار الجاحد أن يجعل من قضية البعث مجالا للتأكيد والتثبيت ، ومن وسائل ذلك أن يستعرض مواقف القيامة موقفا ، يبدأ من النفخ في الصور وينتهي بوصف مقاعد الجنة ومهاوى النار ! ولا بد أن يكون لهذا الاستعراض أدواته البيانية من وضوح الفكرة ، وإبرازها في صورة رائعة مؤثرة ، وإجادة تصوير الموقف المنتظر وتوشيته بأزهى الألوان والأصباغ مما ألهمه نبي الإسلام بإعداد الله وتوجيهه ، لذلك جاءت الثروة النبوية من حديث القيامة قيمة جزيلة النفع ! ) . (٢)

(١) الحديث النبوي - محمد بن لطف الصباغ - ص ١٠٧ .

(٢) البيان النبوي - محمد رجب البيومي - ص ١٤٣ .



### ٣- الترغيب والترهيب :

( إذا مثلت الشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه ، وذلك أؤكد في طرفي الترغيب فيه ، أو التنفير عنه ، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيلاً حسناً يدعو إلى الترغيب فيها ، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيلاً قبيحاً يدعو إلى التنفير عنها ، وهذا لا نزاع فيه ) . (١)

( وفي الترغيب والترهيب تحقيق الخوف والرجاء حتى يبقى الإنسان مرتبطاً بربه يرجو رحمته ويخشى عذابه ، فمهما أحسن وغره إحسانه يذكر الترهيب والوعيد فيقف عند حده وإن أساء وأياسته إساءته ذكر الترغيب ورجا عفو ربه فيبتعد شبح القنوط عنه ويتجدد نشاطه ، ويواصل مسيرته ، وهكذا تكون عاطفة الترغيب والترهيب من أهم العواطف التي تتمتع بنفوذ كبير وسلطان عظيم على القلب ) . (٢)

( ولدى تحليل النفس الإنسانية وملاحظة المؤثرات فيها ، ندرك أنها تتأثر بمؤثرات تنفذ إلى ثلاثة أركان فيها ، إذا تأثر واحد منها التأثير المراد منه ، حصل لديها الاقتناع بالقضية المقصود إقناع الإنسان بها .

#### الأول – الركن العقلي :

لقد وهب الله عز وجل الإنسان قدرات فكرية عقلية يدرك بها حقائق الأشياء ، إذا أدركها ولم يكن في نفسه معارض من أهوائه وشهواته لما أدرك اقتنع بها ، فعمل بمقتضاها . (٣)

#### (الثاني : الركن العاطفي :-

وقد وهب الله الإنسان في داخل نفسه مركزاً عاطفياً قد يتغلغل إلى عمق قلبه ، وهذا المركز إذا تأثر بما يجذبه اندفع الإنسان إليه ، وانعطف نحوه بمشاعر سعيدة قوية ، قد لا يستطيع تحليلها فكراً ، وإذا تأثر بما ينفره ، ابتعد الإنسان عنه ، وكرهه مع مشاعر اشمئزاز قوية ، قد لا يستطيع تحليلها فكراً ) . (٤)

( الثالث = الركن الذي فيه محور الطمع بمحاب النفوس والخوف من مكارها :

وفي تكوين نفس الإنسان داخلياً جهاز يشتمل على محورين :

(١) المثل السائر – لابن الأثير – ج ١ – ص ٣٧٨ .

(٢) تقنين الدعوة – محمد السيد الوكيل – ص ٢٠٤ .

(٣) فقه الدعوة إلى الله – ج ١ – ص ٦١٣ .

(٤) المصدر السابق – ج ١ – ص ٦١٤ .

• محور الطمع بما يحب الإنسان لذات نفسه ، أو لمن أو لما يحب في العاجل أو الآجل .

وتدور حول هذا المحور دوائر الأهواء والشهوات واللذات .

• ومحور الخوف مما يكره الإنسان لذات نفسه ، أو لمن أو لما يحب في العاجل أو الآجل .

وتدور حول هذا المحور دوائر الآلام و المكاره ومخالفات الأهواء والشهوات واللذات .

والدخول إلى داخل نفس الإنسان للتأثير في هذا الركن من أركانها ، يكون بترغيب الإنسان فيما تحب نفسه وتشتهي من لذات وزينات ومجد ، من مُعَجِّل في الحياة الدنيا أو مُؤَجِّل إلى يوم الدين ، ويكون بترهيب الإنسان وتخويفه مما تكره نفسه وتنفّر منه من آلام ، وأنواع عذاب وحرمان من محابها ، من معجل في الحياة الدنيا ، أو مؤجل إلى يوم الدين .

وتكون قمة التأثير في الإنسان بمحاصرته عن طريق أركان نفسه الثلاثة ( ١ ) .

( والترغيب والترهيب كان من أساليب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يبين هذا القرآن الكريم فيقول : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ . [ الانعام ٤٨ ] ، ﴿ مرسلنا مبشرين للذين آمنوا ، وبمشركين لهم عذاب عظيم ﴾ . [ النساء ١٦٥ ] . ويقول عن رسول الله ﷺ : ﴿ يأياها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [ الاحزاب ٤٥ ] ، ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ [ سبأ - ٢٨ ] .

والأصل في الترغيب : أن يكون في نيل رضاء الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة ، وكسب ثوابه في الآخرة والفوز فيها ، والأصل في الترهيب أن يكون بالخوف من غضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة ( ٢ ) .

( فالترهيب ليس يأساً أو قنوطاً أو رهبة تشل التفكير ، وإنما هو تحذير من الأخطاء ودلالة على الصواب ، وترشيد للأعمال حتى تتطلق الطاقات القوية إلى الغاية بغير تعويق أو عقبات .

كما أن الترغيب ليس هو من أحلام اليقظة ولا من الوعود المعسولة ، وإنما هو تنشيط للهمم ، وتشجيع للطاقات ، وشحذ للعزائم ، فهو كالجائزة للمتسابقين في مضمار الإحسان والإنتاج والاجتهاد ، وهذا هو

(١) فقه الدعوة إلى الله - عبد الرحمن حسن الميداني - ج ١ - ص ٦١٥ .

(٢) الدعوة إلى الله - - توفيق الواعي - ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

طريق المتقين وأسلوب الدعاة العاملين الفاقهين وصدق الله : ﴿إِنَّمَا كَانُوا إِسْمَارَعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [ الأنبياء - ٩٠ ] .<sup>(١)</sup>

قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [ النحل ١٢٥ ] .

( والموعظة الحسنی فی الاصطلاح الدعوي ترادف النصيحة ، ولها أشكال عديدة ، منها :-

١- الإشارة اللطيفة المفهومة .

٢- التعريض والكناية المؤدية والتورية .

٣- الترغيب والترهيب ) .<sup>(٢)</sup>

( فالموعظة تدور في فلك الترغيب حول محور الطمع في النفس ، وتدور في فلك الترهيب حول محور الخوف في النفس . أما الموعظة الحسنة يكون في مضمونها القائم على الحق والخير والنصح المفيد ، وبيان العواقب بصدق ، وفي أسلوب عرضها الذي لا تنفر منه النفوس ، والحسن في أسلوب العرض يتنافى مع الفظاظ والغلاظة ويتنافى مع السباب والشتائم والأقوال الجارحة ومن الحسن في أسلوب العرض الاهتمام بالجماليات الأدبية التي نبهت عليها علوم البلاغة ، وأشادت بها كتب الأدب .

أما الترغيب من ركني الموعظة الحسنة فيكون ببيان العاقبة الحميدة التي ترغب فيها النفوس ، لمن استجاب لما دعت إليه الموعظة الحسنة . والعاقبة الحميدة لاتباع سبيل الله هي الظفر بسعادة النفس في الحياة الدنيا ، ونجاتها من كثير من الشرور والآلام المشقية المعذبة لها ، والظفر بسعادة الآخرة في الخلود بجنت النعيم ، على ما وصف الله عز وجل في كتابه ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وأما الترهيب من ركني الموعظة الحسنة فيكون ببيان العاقبة الوخيمة التي تكرها النفوس وتنفر منها ، لمن لم يستجب لما دعت إليه الموعظة الحسنة - والعاقبة الوخيمة لعدم اتباع سبيل الله ، أو للانحراف عنه ، هي تلقي العقوبات الربانية المعجلة أو المؤجلة الأليمة بحسب البيانات التي جاء بها الوعيد في

(١) الدعوة إلى الله - - توفيق الواعي- ص ٢١٤ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة - محمد أبو الفتوح - ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأشدّها الخلود في نار جهنم بعذاب أليم على الكفر بالشرك فما هو أشد منه كفرًا ، وعلى الجرائم التي يرتكبها الطغاة البغاة المجرمون ) . (١)

#### **٤- الإقناع العقلي والتأثير الوجداني ( النفسي ) :-**

( الإنسان بمقتضى الفطرة التي فطره الله عليها له موجّهات داخلية ذاتية ثلاثة ، هي العاملة المؤثرة في توجيه إرادته لاختيار سلوك معين مع حركة اختياراته في مسيرته في حياته وهي ما يلي :

الموجه الأولي : فكر الإنسان الواعي ، القادر على إدراك حقائق الأمور التي تُهمّه في الحياة ، وعلى استبصارها بالتأمل والنظر والتفكير .

والمسلّك الدعوي الأول ، وهو مسلّك الحكمة ، هو المسؤول عن توصيل الحقيقة التي يراد الإقناع بها إلى هذا الموجه ، وهو الفكر الواعي .

الموجه الثاني : الطمع بما ترغّب فيه النفس ، من مُسعدات وسارّات ومُفرحات ولذات من منافع ومكاسب وأرباح عاجلات أو آجلات .

وسياسة التّربّيب الذي هو أحد ركني الموعظة الحسنة ، تدور في محور حول هذا الموجه الداخلي الذاتي ، وهو ( الطمع ) . وهي المسؤولة عن اختيار الوسيلة التي تؤثر فيه تأثيراً إيجابياً نافعاً .

الموجه الثالث : الخوف مما تكرهه النفس ، من مُشقيّات ومُكدرّات ومحزنات وآلام وأضرار وخسارات عاجلات أو آجلات .

وسياسة الترهيب الذي هو أحد ركني الموعظة الحسنة ، تدور حول هذا الموجه الداخلي الذاتي وهو ( الخوف ) وهي المسؤولة عن اختيار الوسيلة التي تؤثر فيه تأثيراً إيجابياً نافعاً ) . (٢)

( و من الملاحظ أن الله عز وجل فطر النفوس الإنسانية على الحرص الشديد على السعي لما تصيب منه لذة أو منفعة أو ربحاً أو شيئاً مما تحبه وتهواه كالجاه والملك العظيم والنعيم الباذخ إلى غير ذلك مما يُرضي دوافع النفس وأهواءها وشهواتها ، وعلى الحرص الشديد على الابتعاد عما ينالها منه ألم أو مَضَرّة أو خسارة أو شيء مما تكرهه وتنفر منه ، كالعذاب والذل والمهانة والخزي إلى غير ذلك مما

(١) فقه الدعوة إلى الله - عبد الرحمن حسن الميداني- ج ١ - ص ٦٣١ ، ٦٣٢ .

(٢) المصدر السابق - ج ١ - ص ٦٣٢ ، ٦٣٣ .

يناقض أهواءها وشهواتها . والمطلوب إيصال المدعو إلى الوثوق بصدق ما يقدم له من وعد مؤجل يثواب عظيم جداً على سعي يتحمل به مشقة حالية ، أو مخالفة شهوة ، أو هوى ، من رغائبها العاجلة ذات القيمة القليلة بالنسبة إلى الموعود به ، والوثوق بصدق ما ينذر به من وعيد على المعصية ومخالفة الأوامر والنواهي .

فإذا وثق بصدق الوعد والوعيد ، ولم يكن فاقداً الاعتدال النفسي بسبب ثورة انفعالية غَشَّتْ على بصيرته وأخَلَّتْ بتوازنه ، فإن من طبيعة دوافعه الفطرية أن يتحرك فيه محور الطمع ، موجهاً إرادته مع دفع قوي للسعي الحثيث في السبيل الذي يحقق له المطموع به ، من الخير العظيم الذي تضمنه الوعد ، وأن يتحرك فيه محور الخوف ، موجهاً إرادته بدفع قوي للابتعاد بشدة عن السبل التي تجلب له ما يكره من عذاب أليم ، أو خسارة أو مضرة مَخُوف منها ، من كل شر تضمنه الوعيد على المخالفة والعصيان وسلوك سبل الضلالة ) . (١)

( و من المعلوم أن القلب هو وعاء العاطفة ، يبقظته تنشط وبخموله تكسل ، ولتحريكه تتبع ، وإلى ميله تميل ، والقلب البشري إنما سمي قلباً لكثرة تقلبه وتحوله ، فهو مصدر الحب والبغض ، وهو محل الإيمان والكفر ، وهو سر النشاط والخمول ، وبه يكون الإقبال والإدبار ، ومنه يكون الإقدام والإحجام ، فهذه حاله دائماً يتحول من الشيء إلى ضده ، وينقلب من النقيض إلى النقيض . وليس هناك مفاتيح أقرب إلى تحريك القلوب من إثارة العواطف الكامنة في حناياها وقد علم بالتجربة أن أقوى العواطف لتحريك القلوب والاستيلاء عليها هي عاطفة الحب ثم عاطفة الترغيب والترهيب ) . (٢)

قال ﷺ : ( يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أفتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان ، مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقولون : بلى ، قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية ) .

التصوير البياني التشبيهي في قوله ﷺ : ( فتندلق أفتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ) تنطلق من كلماته آيات التحذير والتفكير ، كما تنطلق منها آيات التوجيه والإرشاد ، فأيات التحذير والتفكير

(١) فقه الدعوة إلى الله - عبد الرحمن حسن الميداني - ج ١ - ص ٦٣٥ .

(٢) تقنين الدعوة - محمد السيد الوكيل - ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

تتكشف معالمها من تتبع ما آل إليه حال الأمر بالمعروف التارك له ، والناهي عن المنكر الفاعل له .  
وانبسط المعنى على مهاد بلاغي بياني تشبيهي ، لتتضح صورة العقابة المشينة التي تنتظره في الدار  
الآخرة . وكأنما الصورة البيانية في اندلاق الأقتاب والدوران بها ، وتشبيه ذلك بدوران الحمار بالرحى  
تقدم إحياءاتها البيانية التصويرية في قالب التنفير والتحذير الذي يلج النفس والقلب والعقل ؛ فتتخذ منه  
إليها دعوة النصح والتوجيه والإرشاد بضرورة المطابقة العملية للنصيحة القولية وذلك لا يتم إلا  
بالتصديق القلبي والقبول النفسي .

والتصوير البياني يسري أثره وتقوم فاعليته في النبوءة السابقة في جميع كلمات النبوءة ( يؤتى ، فيلقى ،  
فتندلق ، فيدور ، فيجتمع ، فيقولون ، فيقول ) إلا أن المرتكز الذي تتمحور حوله تلك الجوانب البيانية  
يقوم في قوله ﷺ : ( فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ) وحركة الدوران توحى  
بإقترابه القولي من المعروف والخير واجتنابه له ، وتوحى بنهي القولي عن المنكر وإتيانه الفعلي له ،  
كما أن اندلاق أقتابه يوحي بأن ذلك المعروف والخير لم تبصره بصيرته ولم يخالط فيه نفسه ولا قلبه ولم  
يكن له سبيل إلى عقله . أما المنكر الذي كان ينهى عنه ويأتيه فذلك عاقبة الجهل الذي غطى فيه عقله  
وأذهب عنه بصره حتى عاد كحملة التوراة الذين لم يحملوها قال الله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم  
يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ [ الجمعة - ٥ ] ، وهناك ( ثلاثة شروط أساسية أولى لكل داع إلى أمر ،  
أو ناصح به ومرشد إليه :-

- ١- شرط الإيمان بما يدعو إليه أو ينصح به ويرشد إليه .
  - ٢- شرط الأداء الفعلي لما يدعو إليه أو ينصح به ويرشد إليه .
  - ٣- شرط البصيرة . بما يدعو إليه أو ينصح به ويرشد إليه ) .<sup>(١)</sup>
- وإذا اختلف شرط منها اختلف الميزان الاعتقادي الدعوي مما ينتج عنه آفات العقابة السيئة وسوء المنقلب .  
وقد نهضت الصورة البيانية بجميع جوانبها متحدة مع مرتكزها التصويري باستثارة الذهن والقلب  
والنفس والحواس مجتمعة وذلك نابع من صيغ الأفعال المبنية للمجهول وإحياءاتها ، ومن تعبير فعل  
الاندلاق للأقتاب وما في ورودهما بهاتين الكلمتين من خصوصية الغرابة المتوائمة مع غرابة حال

(١) فقه الدعوة إلى الله - عبد الرحمن حسن الميداني - ج ١ - ص ٢١٢ .

المخبر عنه . ومن اجتماع أهل النار وسؤالهم له . وكأنما قد أصابه عذاب انفرد به عن غيره وتفرّد به بخصوصية وقوعه فيه . وما يعقب تلك الاستثارة من خوف ورهبة ونفور مما يوقع الإنسان في مثل هذا الحال المهين والعذاب المشين .

قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكُتُبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [ البقرة - ٤٤ ] .

( وقد دل الحديث الصحيح وألفاظ الآية على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه ، وإنما ذلك لأنه كالمستهين بحرّمات الله تعالى ، ومستخف بأحكامه وهو من لا ينتفع بعمله قال رسول الله ﷺ : ( أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ) . (١)

( قال أبو العتاهية :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى      وريح الخطايا من ثيابك تسطع

وقال أبو الأسود الدؤلي :-

لاتنه عن خلق وتأتي مثله      عار عليك إذا فعلت عظيم  
وابداً بنفسك فانهها عن غيرها      فإن انتهت عنه فأنت حكيم  
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى      بالقول منك وينفع التعليم (٢)

والصورة البيانية بمرتكزها البلاغي البياني وسياقها التركيبي تقيم في النفس عوامل الترهيب والخوف التي تأخذ فيها مسارات الألم والحذر والنفور ؛ فتحمل النفس السوية والفطرة السليمة على دفع الضرر المحيط بها ، وهكذا كان عامل الترهيب في النبوءة السابقة دافعاً قوياً لاجتناب الوقوع في مثل ذلك العمل الذي أخبرت به النبوءة.

(١) الجامع لأحكام القرآن ( تفسير القرطبي ) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - ج ١ - ص ٤٠٩ .

(٢) المصدر السابق - ج ١ - ص ٤١٠ .

قال ﷺ : ( إن أهل الجنة ليترءون الغرفة في الجنة كما ترءون الكوكب في السماء ) .

الصورة البيانية في هذه النبوءة جاءت بتشبيه ترائي أهل الجنة للغرف فيها بترائي أهل الدنيا للكوكب في السماء ، دلالة على تفاوت الدرجات وعظم ما بينها . وذلك الترائي جاء مؤكداً بأن واللام والجملة الاسمية ، وقام المشبه به بدور فاعل في زيادة التوكيد لحال تلك الرؤية تقريباً للأذهان أن تعي ، وللأبصار أن تتخيل ، وللبصائر أن تدرك . وفي هذا التشبيه نجد بواعث الترغيب الكامنة في المشبه به تؤتي أكلها رطباً ندياً حتى تجد الأنفس ، وتجتهد القلوب ، وتهتدي العقول بنور المسارعة إلى سبل السلام المؤدية إلى درجات تلك الغرف بل المؤدية إلى أرفع درجاتها .

والعامل الترغيب هو المسير للذات البشرية إذا فقه القلب ، ووعاه العقل ، فنشرق به النفس وتطلق بشاراتها المستنيرة بنور العقيدة الصحيحة السليمة التي لا تبرح بذلك الإنسان حتى تقفه على هدى وبصيرة من ربه ، وكلما ازداد نور العقيدة في قلبه ازداد العامل الترغيب في النفس ولوجاً مما يساعد الإنسان على الترقى الروحاني نحو الدرجات العلا .



## الـخاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة المساهمة في تمهيد سبيل الدراسة البيانية البلاغية في البيان النبوي ، وكانت البذرة التي حرصت على زرعها في هذا السبيل هي دراسة النبوءات النبوية الغيبية – دنيوية وأخروية – دراسة بيانية بلاغية موضوعية إذ إن خاصة المعاني والتراكيب فيها تقيم أود الحياة الإنسانية وتستنقذها من الغفلة التي تهيم عليها بضلال أصحابها سبل السلام . وكانت الصورة البيانية هي المداد الذي نشر مع الخبر الغيبي آيات البشارة والتحذير وذلك لما لها من التأثير في إيراد الخبر وإيصاله للقلب والعقل ( ففي ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني ، وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم ، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب )<sup>(١)</sup> .

والنبوءات الغيبية – دنيوية وأخروية – كانت نبعاً يفيض منه التصوير البياني تنويراً وترشيداً وتقريباً لحال العالم الدنيوي الذي لا بد في لحظة ما ستقف به قاصمة تنهي فيه استقامته وتبدأ معها مساراته نحو الدار الآخرة – تلك الدار التي حملت لنا عنها النبوءات النبوية الأخروية وصفاً تفصيلياً لما تضمنته آيات الذكر الحكيم ، وكانت بنياتها البلاغية لا تنفك عنها عناصر الصورة البيانية التقريبية المصحوبة بعوامل تحقيق الرجاء والخوف من خلال البث العقلي العاطفي معاً .

( فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كئود ، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ، ثقیل الأعباء محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء . ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف )<sup>(٢)</sup>

(١) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي – ج ١٩ – ص ٩٩ .  
(٢) إحياء علوم الدين – الإمام أبي حامد الغزالي – ج ٤ – ص ١٩٤ .

وكان من جنى هذه الدراسة ما يلي :-

١ - التحقق الفعلي للنبوة النبوية .

٢ - إن الإبداع التركيبي للعبارة كان بلاغة محمدية استقت المعنى من الوحي والمبنى من النبوة وتكليف الرسالة .

٣ - بُعد الأثر الإيحائي وغازرة المعاني التي تتفتح بين يدي الدارس للحديث الغيبي .

٤ - ملامسة النص الخارجية دون الولوج إلى نواة تكوينه لا يحقق الغرض المرجو من الصياغة والمعنى .

٥ - لا يقف الحديث الغيبي عند حد التقييم النهائي أو الجزم بانتهاء الاحتمالات الواردة فيه والتي تتحملها معانيه .

٦ - الحديث الغيبي بحر الإنذار النهائي للفناء بدت شطآنه بمبعث النبي ﷺ ثم أخذت تعلو أمواجه ولن تزال حتى تقوم الساعة .

٧ - استحضار حقيقة الإيمان بالغيب ومعايشتها هي مفتاح دراسة الصورة البيانية الغيبية .

٨ - ارتداد البصر خاسئاً وهو حسير إذا لم تكن البصيرة المؤمنة هي الباحثة في إبداعات البيان النبوي في الحديث الغيبي .

٩ - إن التذبذب بين الحرفية للمعنى النبوي والإيحاء مما يضعف النتيجة .

١٠ - إن الغفلة والتهيه والحيره مما يعيق الاستنتاج المضى لجوانب النبوة في الحديث الغيبي .

١١ - وضوح الصورة البيانية الغيبية . بما تضمنته من عناصر بنائية أسهمت في البيان الخبري والبلاغي ومن ذلك : كثرة ورود التشبيه ، والدقة في اختيار المشبه به ، والاستعارة القريبة ، والكناية المألوفة .

١٢ - ما نعمت به الصورة البيانية الغيبية من سهولة اللفظ التي جمعت إليها عمق المعنى وبعد تأثيره العقلي والنفسي .

١٣ - الارتباط الوثيق بين بنيات الصورة البيانية الغيبية وسياقها مما مكن فيها عاملي التأثير والإيحاء .

١٤ - ما تشربه البيان النبوي من الفيض الإلهي وروحانية الوحي جعل لزاماً له عوامل التصديق والتحقق والمضاء .

# فهرس الأحاديث

قال رسول الله ﷺ :

الحديث	رقم الصفحة
( بعثت أنا والساعة كهاتين )	٢٤
( لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ..... )	٢٥
( هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن ..... )	٢٨
( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم..... )	٣١
( لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على..... )	٣٤
( ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها ..... )	٣٤
( منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً ومنهن..... )	٣٦
( تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، ..... )	٣٧
( إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله..... )	٣٨
( الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت..... )	٣٩
( بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى..... )	٤٥
( إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز..... )	٤٥
( يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها ..... )	٤٧
( أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال..... )	٥٠
( إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة..... )	٥٥
( بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابي فقال..... )	٥٥
( إذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاؤكم ، وأموركم..... )	٥٦

٥٧	كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت.....)
٥٧	قال حذيفة بن اليمان : قلت : يا رسول الله ! إنا كنا بشر فجاء الله... إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون.....
٥٨	( أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن.....)
٦٣	قال : قلت : يا رسول الله هل بعد هذا الشر خير.....
٦٥	( إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته .....).
٦٧	( إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً.....)
٦٩	( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )
٧٠	( وأهوى بيده قبل العراق ، يخرج منه قوم يقرءون القرآن.....)
٧١	( يوشك ، إن طالت بك مدة ، أن ترى قوماً.....)
٧٣	( إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا.....)
٧٥	( صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم.....)
٧٥	أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول : .
٧٧	بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قُمصٌ.....
٧٧	( لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم.....)
٧٩	( أنه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد.....)
٨١	( من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد.....)
٨١	( ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ.....)
٨١	( إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون.....)
٨٣	( يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة.....)
٨٤	( يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون.....)
٨٦	( إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل.....)
٨٨	

٨٩	( إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه..... )
٩٠	( إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر..... )
٩٢	( يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة..... )
٩٣	( ألا وإن في الجسد مضغة. إذا صلحت صلح الجسد كله ..... )
٩٣	قال " كيف بكم وبزمان " أو " يوشك أن يأتي.....
٩٤	( يخرج الدجال في أمتي فيمكت أربعين – لا أدري : أربعين..... )
٩٦	( إن الله يبعث ريحاً من اليمن ، الين من الحرير..... )
٩٨	( والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن..... )
٩٩	( سلوني فهابوه أن يسألوه ، فجاء رجل..... )
١٠٠	( لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش .. وتهلك الوعول..... )
١٠١	( إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال..... )
١٠٢	( رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل..... )
١٠٢	( غلظ القلوب والجفاء في المشرق ، والإيمان في أهل الحجاز )
١٠٦	( يحشر الناس يوم القيامة على أرض..... )
١٠٩	( تدنى الشمس ، يوم القيامة من الخلق..... )
١١٠	( يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب..... )
١١٢	( أنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن..... )
١١٣	( كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان..... )
١١٣	( يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب..... )
١١٥	( هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله !... )
١١٥	إن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله !.....
١٢٧	( يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته..... )

١٣١	( أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً..... )
١٣٣	( هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس..... )
١٣٧	( وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتهم الله تبارك..... )
١٣٩	( حَرَّمَ اللهُ عَلَى النار أن تَأْكُلَ أثر السجود فيخرجون من..... )
١٣٩	( فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد )
١٣٩	( أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، )
١٤٠	( يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعالب قلت : وما الثعالب..... )
١٤١	( يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه..... )
١٤٣	( السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله..... )
١٤٤	( بينا أنا نائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني..... )
١٤٤	( أنا فرطكم على الحوض ، من ورد شرب ومن شرب..... )
١٤٥	( حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من..... )
١٤٧	( أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر..... )
١٤٨	( لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون أمشاطهم..... )
١٥١	( يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء..... )
١٥٢	( ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف..... )
١٥٣	( إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار..... )
١٥٤	( إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب... )
١٥٥	( إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد..... )
١٥٦	( أما ترضون أن تكونوا ريع أهل الجنة ؟..... )
١٥٨	( ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من..... )
١٥٨	( إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار..... )

١٥٩	( يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق..... )
١٦٢	( إن أدنى أهل النار عذاباً ، ينتعل بنعلين..... )
١٨٦	( تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً..... )
١٨٨	( لا إله إلا الله . ويل للعرب من شر قد أقترب..... )
١٩١	كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير..... )
١٩٥	( بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم..... )
١٩٦	( ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم..... )
١٩٧	( أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء )
٢٠٠	( يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى..... )
٢٠٢	( يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب..... )
٢٠٣	( ضرس الكافر أو ناب الكافر ، مثل أحد ، وغلظ..... )
٢٠٧	( إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً..... )
٢٠٩	( بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى )
٢٠٩	تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق..... )
٢٠٩	( ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من..... )
٢١٠	( ناركم هذه التي يوقد ابن آدم..... )
٢١١	( إن في الجنة شجرة يسير الراكب في..... )
٢١١	( إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في..... )
٢١٢	( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ،..... )
٢١٧	( يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق..... )
٢١٩	( أشد الناس عذاباً يوم القيامة..... )
٢٢٠	( إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة..... )

# فهرس الآيات

قال تعالى :-

الآية	رقم الصفحة
﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ..... ﴾ [ البقرة - ٢٥٧ ]	د
﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ [ الحاقة - ١٢ ]	د
﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ..... ﴾ [ التوبة - ١٠٩ ]	د
﴿ منكبين فيها على الأرائك لا يرونها فيها ..... ﴾ [ الانسان (١٣-٢٢) ]	٢١
﴿ ما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [ الجاثية ٢٤ ]	٢١
﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما ..... ﴾ [ الفرقان ٢٧ ]	٢٥
﴿ وأن الساعة آتية لا ريب ..... ﴾ [ طه (١٥) ]	٢٥
﴿ قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ..... ﴾ [ الكهف ٩٤-٩٨ ]	٢٦
( الخيئات للخيئين ) [ النور - ٢٦ ]	٢٧
﴿ فترى الودق يخرج من خلاله ﴾ [ الروم - ٤٨ ]	٣٠
﴿ إذا أخرج يدك من مكانها ..... ﴾ [ النور ٤٠ ]	٣٢
﴿ من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ [ النور ٤٠ ]	٣٢
﴿ هو الذي يصلي عليكم ..... ﴾ [ الأحزاب ٤٣ ]	٣٢
﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ..... ﴾ [ يونس ٢٦ ]	٣٣
﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم ..... ﴾ [ الرعد ٣١ ]	٣٣
﴿ وأسرؤا في قلوبهم العجل ﴾ [ البقرة ٩٣ ]	٣٩
﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ [ البقرة ١٠ ]	٤٠
﴿ ومن يتقلب على عقبيه فلن يضر ..... ﴾ [ الزخرف ٧٦ ]	٤١



٤١	﴿ إن عبادي ليس لك عليهم..... ﴾ [إبراهيم- ٤٧]
٤١	﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم..... ﴾ [المائدة- ١٠٥]
٤٣	﴿ ومن يبدل الكفر..... ﴾ [البقرة- ١٠٨]
٤٣	﴿ إن عبادي ليس لك عليهم..... ﴾ [الحجر- ٤٢]
٤٣	﴿ فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [الأنعام- ٤٨].
٤٣	﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ [النور- ٣٥]
٤٣	﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله..... ﴾ [لقمان- ٢٢]
٤٤	﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول..... ﴾ [إبراهيم- ٤٧]
٤٤	﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم..... ﴾ [الزخرف- ٦٨-٦٩]
٤٤	﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ [يس- ٥٢]
٤٤	﴿ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ﴾ [الأحزاب- ٢٢]
٥٠	﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض..... ﴾ [الأحزاب ٧٢]
٥٠	﴿ عالم الغيب فلا يظهر على... ﴾ [سورة الجن ( ٢٦ - ٢٧ )]
٥١	﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ [الفتح ١١]
٥١	﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف ٥]
٥٢	﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ﴾ [الفتح ٤]
٥٢	﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكرى... ﴾ [الرعد ٢٨]
٥٣	﴿ أولئك الذين طبع الله على... ﴾ [النحل- ٨].
٥٣	﴿ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ [آل عمران- ١٥٦]
٥٣	﴿ فاعتبرهم فاقاً في قلوبهم إلى يوم القيامة ﴾ [التوبة- ٧٧]
٥٣	﴿ ألا بذكرى الله تطمئن القلوب ﴾ [٢٨- الرعد]
٥٣	﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً..... ﴾ [الزمر- ٢٣]

٥٤	{ فطرت الله التي فطر الناس عليه... } [الروم- ٣٠]
٥٤	{ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } [الرعد- ١١]
٥٤	{ لقد جفتم شيئاً إذا تكاد السموات... } [مريم ٨٩- ٩٠]
٦٠	: { ألا بدرك الله تطمئن القلوب } [الرعد ٢٨]
٦٠	{ ولا أقسم بالنفس اللوامة } [القيامة- ٢]
٦٠	{ لا تبقي ولا تذر لواحده للبس } [المدثر ٢٨- ٢٩]
٦١	{ ومن ينسج خيوط الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر } [النور- ٢١]
٦١	{ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون... } [الصف- ٢، ٣]
٦١	{ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى... } [البقرة- ١٧٥].
٦٢	{ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم... } [ابراهيم- ٢٢].
٦٣	: { وإن هذه أمكم واحدة وأنا ربكم فاتقون } [المؤمنون ٥٢]
٦٣	{ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم... } [الصف- ٨]
٦٣	{ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا... } [البقرة- ١١، ١٢]
٦٧	{ تشخص فيه الأبصار * مطعين متعبي... } [إبراهيم ٤٢- ٤٣]
٦٧	{ إن زلزلة الساعة شيء عظيم } [الحج ١].
٦٨	{ فإذا ما ابتلاه ربه فأكرمهم ونعمهم فيقول ربني أكرم من } [الفجر- ١٥]
٦٨	{ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلازلاً شديداً } [الأحزاب- ١١]
٧٢	{ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً... } [الكهف- ١٠٣- ١٠٤]
٧٣	{ ومن الناس من يقول آمنا... } [البقرة- ٨، ٩، ١٠]
٧٦	{ كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران } [الأنعام- ٧١]
٧٦	{ فصب عليهم ربك سوط عذاب } [الفجر- ١٣]
٧٧	{ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم... } [الأعراف- ٢٦]

٧٨	﴿ وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا .... ﴾ [الأعراف ١٧٥-١٧٦]
٨٤	﴿ فأصبح يقلب كفيه ﴾ [الكهف- ٤٢]
٨٤	﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ [الأنعام- ١٢٥]
٨٤	﴿ كالذي اسهوت الشياطين في الأرض حيران ﴾ [الأنعام- ٧١]
٨٦	{ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } [النساء- ٥٩]
٨٨	﴿ من كان حياً يخفق القول على الكافرين ﴾ [يس - ٧٠].
٨٨	﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم .... ﴾ [البقرة- ٣١]
٨٨	﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق .... ﴾ [العلق- ١- ٥]
٩١	﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينوا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾ [النمل ٤]
٩١	﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة- ١١]
٩١	﴿ يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ [الرعد- ٣٩]
٩٣	﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين .... ﴾ [الكهف- ١٠٤-١٠٧]
٩٥	﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ [الزلزلة ٧-٨]
٩٥	﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً ... ﴾ [الحشر- ٢١]
٩٥	﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتشق الأرض وتخر الجبال هدأ ﴾ [مريم- ٩٠]
٩٥	﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ [ص- ١٨]
٩٥	﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير ﴾ [سبأ- ١٠]
٩٦	﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجريتم بهم بريح طيبة ﴾ [يونس- ٢٢]
٩٨	﴿ وأقسطوا إن الله يحب المتقطين ﴾ [الحجرات- ٩]
١٠٤	﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب ..... ﴾ [الحشر : آيه ٢٢]
١٠٥	﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .. ﴾ . [البقرة ٢، ٣، ٤، ٥]
١٠٧	﴿ يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا .... ﴾ [الأنبياء آيه ١٠٤]

١٠٧	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لَهَا وَحَقَّتْ ..... ﴾ [ الإنشقاق - ١-٥ ]
١١٠	﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ..... ﴾ [ غافر - ١٧ ]
١١٢	﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .. ﴾ سورة المؤمنون ( ١٠٢-١٠٣ ) [
١١٢	﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [ الحجرات - ١٣ ]
١١٣	﴿ وَالْوِزْنُ يُوقَدُ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ..... ﴾ [ الأعراف ٨ ، ٩ ]
١١٤	﴿ فَيَغْضِبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [ البقرة - ٢٨٤ ]
١١٤	﴿ قَدْ خَسَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى ..... ﴾ [ الأنعام - ٣١ ]
١١٤	﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ ..... ﴾ [ النحل ( ٢٢-٢٥ ) ]
١١٨	﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيَّاهُ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا ... ﴾ [ مريم ( ٧١ - ٧٢ ) ]
١٢٤	﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ ﴾ [ المؤمنون - ٧٤ ]
١٣٥	﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيَّاهُ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا ... ﴾ [ مريم ٧١-٧٢ ]
١٣٥	﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ ﴾ [ آية ٧٤ المؤمنون ]
١٣٧	﴿ وَمَنْ يَأْتِهِمْ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ..... ﴾ [ طه ( ٧٥ - ٧٦ ) ] .
١٤١	﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [ الانفطار - ٦ ]
١٤٢	﴿ فَلَا تَعْرِكُمْ الْهَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَغْنَمْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [ لقمان - ٣٣ ]
١٤٢	﴿ ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اخْتَلَفْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هَزْوَاً وَغَرَّكُمْ الْهَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [ الجاثية - ٣٥ ]
١٤٢	﴿ وَغَرَّكُمْ الْإِيمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [ الحديد - ١٤ ]
١٤٢	﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْ عَذَابِي .. ﴾ [ الحجر ٤٩-٥٠ ]
١٤٧	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى ..... ﴾ [ الزمر - ٧٣ ]
١٤٧	﴿ إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ [ الإنسان - ٢٢ ]
١٤٨	﴿ إِنْ لَكَ إِلَّا جُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعْرِى وَأَنْتَ لَا ..... ﴾ [ طه ١١٨-١١٩ ]
١٥١	﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [ الجمعة ٤ ]

١٥٣	﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في ..... ﴾ [ الواقعة - ١٠ ، ٢٧ ]
١٥٣	﴿ وبشر المخبيين الذين إذا ذكر ... ﴾ [ الحج - ٣٤ - ٣٥ ]
١٥٣	﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ [ النور - ٣٧ ]
١٥٣	﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أُنهِم إلى ربهم راجعون ﴾ [ المؤمنون - ٦٠ ]
١٥٤	﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ [ النور - ٣٧ ]
١٥٤	﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [ النحل - ٥٠ ]
١٥٤	﴿ لا يسخر قوم من قوم ﴾ ﴿ ولا نساء من نساء ﴾ [ الحجرات - ١١ ]
١٥٥	﴿ أولئك تجزئون العزفة بما صبروا ..... ﴾ [ الفرقان ٧٥-٧٦ ]
١٥٥	﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ..... ﴾ [ العنكبوت - ٥٨ ]
١٥٥	﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف ..... ﴾ [ الزمر - ٢٠ ]
١٥٦	﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ [ الحج - ٤٧ ]
١٦٠	﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر ..... ﴾ [ الصف - ٦١ ]
١٦٠	﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ [ الطارق - ١٧ ]
١٦٠	﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ [ الزخرف - ٧٦ ]
١٦٨	﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن ..... ﴾ [ الشورى ( ٥٢ ، ٥٣ ) ]
١٧٢	﴿ آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ [ آل عمران ٧ ]
١٨٢	﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ [ الاعراف : ١٨٩ ]
١٨٢	﴿ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ..... ﴾ [ ص : ٢٣ ]
١٨٢	{ أو من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين ﴾ [ الزخرف : ١٨ ]
١٨٢	﴿ لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ [ المائدة ٧٩ ]
١٨٢	﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ [ المسد : ١ ]
١٨٦	﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [ العنكبوت ٣ ].

١٩٠	﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن .. ﴾ طه ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧
١٩٣	﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ سبأ ٢٨
١٩٣	﴿ وما أنا من المنكلفين ﴾ [ص - ٨٦]
٢٠٢	﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ... ﴾ [الشورى - ٥٢]
٢٠٢	﴿ ألا بدكر الله قطمناً القلوب ﴾ [الرعد - ٢٨]
٢٠٢	﴿ إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب ﴾ [الزمر - ٢١]
٢٠٣	﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب ... ﴾ [السجدة - ٢١]
٢٠٣	﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴾ [القصص - ٨٦]
٢٠٣	﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ... ﴾ [الإسراء - ٨٦ - ٨٧]
٢٠٣	﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ... ﴾ [النساء - ١١٣]
٢٠٣	﴿ ولنعلمن نباءه بعد حين ﴾ [ص - ٨٨]
٢٠٣	﴿ وما ينطق عن الهوى - إن هو إلا ... ﴾ [النجم - ٣ ، ٤ ، ٥]
٢٠٤	﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ [المائدة - ٥٤]
٢٠٥	﴿ وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ [النساء ( ١٣ )]
٢٠٨	﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ... ﴾ [البقرة - ٢٨٥]
٢٠٩	﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾ [الرعد - ٢٩]
٢١٠	﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ... ﴾ [البقرة - ١٧٧]
٢١٠	﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ... ﴾ [الحاقة : ١٣ - ١٧]
٢١١	﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والناصري ... ﴾ [البقرة ٦٢]
٢١١	﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ [الأنبياء ١٠٤]
٢١١	﴿ وظل ممدود ، وما مسكوب ، وفاكهة كثيرة ... ﴾ [الواقعة ٣٠]
٢١١	﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غراً ... ﴾ [العنكبوت ٥٨]

٢١١	﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية... ﴾ [ الزمر ٢٠ ]
٢١٢	﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة... ﴾ [ آل عمران - ١٣٢-١٣٦ ]
٢١٢	﴿ أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو... ﴾ [ الصافات ( ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ) ]
٢١٤	﴿ وما فرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ . [ الانعام ٤٨ ]
٢١٤	﴿ مرسلنا مبشرين للنااس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [ النساء ١٦٥ ]
٢١٤	﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً... ﴾ [ الاحزاب ٤٥ ]
٢١٤	﴿ وما أرسلناك إلا كافة للنااس بشيراً ونذيراً ﴾ [ سبأ - ٢٨ ]
٢١٥	﴿ إلهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً... ﴾ [ الأنبياء - ٩٠ ] .
٢١٥	﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة... ﴾ [ النحل ١٢٥ ] .
٢١٨	﴿ مثل الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ [ الجمعة - ٥ ]
٢١٩	﴿ أأمرؤن الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [ البقرة - ٤٤ ]

# المصادر والمراجع

## القرآن الكريم

- ١ الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – عبد القادر القط – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ط٢، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٢ الإتيقان في علوم القرآن – تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ - ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم – دار الكتب العلمية – ٢٠٠٢ م – ١٤٢٤ هـ .
- ٣ إحياء علوم الدين – للإمام أبي حامد محمد محمد محمد الغزالي – متوفى سنة ٥٠٥ هـ - تحقيق محمد محمد تامر – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤ م – دار الافاق العربية .
- ٤ الأدب الإسلامي أصوله وسماته – محمد حسن بريغش – مؤسسة الرسالة – ط٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٥ الأدب في عصر النبوة والراشدين – صلاح الدين الهادي – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧١ م .
- ٦ الأدب وفنونه – عز الدين اسماعيل – دار الفكر العربي – القاهرة .
- ٧ أساليب البيان والصورة القرآنية . دراسة تحليلية لعلم البيان – أ . د محمد إبراهيم شادي . دار والي الإسلامية – ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
- ٨ أسرار البلاغة – تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي – المتوفى سنة ٤٧١ هـ - قرأه وعلق عليه – محمود محمد شاكر – دار المدني بجده – ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- ٩ اسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ..... ومنهاجاً – عبد الغني محمد سعد بركه – مكتبة وهبة – ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .



- ١٠ - إعجاز القرآن - تأليف الإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - المتوفى سنة ٤٣ هـ - ١٠١٣ م - قدم له وشرحه وعلق عليه - الشيخ محمد شريف سكر - دار إحياء العلوم - بيروت
- ١١ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
- ١٢ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة - تأليف عبد المتعال الصعيدي - مكتبة الآداب - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ١٣ - البلاغة بين عهدين في ظلال الذوق الأزلي وتحت سلطان العلم النظري - تأليف د . محمد نايل احمد - دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٩٤ م .
- ١٤ - البلاغة التطبيقية - دراسة تحليلية لعلم البيان - محمد رمضان الجربي- منشورات ELGA - ٢٠٠٠م - ط١ ، ١٩٩٥ م - ط٢ ، ١٩٩٩ م .
- ١٥ - البلاغة العربية في ثوبها الجديد - علم البيان - بكري شيخ أمين - دار العلم للملايين - ط١ ، ١٩٨٢ م - ط٢ ، ١٩٨٤ م .
- ١٦ - البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق- محمد بركات حمدي أبو علي - دار وائل للنشر والتوزيع - ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- ١٧ - البلاغة عرض وتوجيه وتفسير - محمد بركات أبو علي - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمّان - ط١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٨ - البلاغة فنونها وأفنانها - علم البيان والبدیع - فضل حسن عباس - دار الفرقان للنشر والتوزيع - ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - ط٦ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ١٩ - البلاغة النبوية - دراسة وتحليل - صباح عبيد اسماعيل دراز - جامعة الأزهر - القاهرة - رسالة دكتوراه- ١٩٨٣ م .
- ٢٠ - البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم - عبد الفتاح لاشين دار الفكر العربي - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

- ٢١ البيان النبوي . د . محمد رجب البيومي . دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع . ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٢٢ البيان والتبيين - تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق : حسن السندوبي - دار إحياء العلوم - ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٢٣ الدين الشهير بابن حمزة الحسيني الحنقي الدمشقي - تحقيق : الحسين عبد المجيد هاشم - مكتبة الثقافة الدينية - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٢٤ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور - محمد الطاهر ابن عاشور - مؤسسة التاريخ - بيروت - لبنان - ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٢٥ التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه - بسيوني عبد الفتاح فيود - مطبعة الحسين الإسلامية - ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٢٦ التصوير البياني - دراسة تحليلية لمسائل البيان - محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - ط ٤ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- ٢٧ التصوير الفني في الحديث النبوي . محمد الصباغ - المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى . ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٢٨ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي - ٦٠٤-٥٤٤ هـ - تحقيق : عماد زكي البارودي . المكتبة التوفيقية - ٢٠٠٣ م .
- ٢٩ تقنين الدعوة - مراحلها ومناهجها واستمراريتها من القرن الأول إلى القرن السادس - محمد السيد الوكيل - دار المجتمع - ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- ٣٠ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمد خلف الله - محمد زغلول سلام - دار المعارف - ط ٤ .

- الجامع لأحكام القرآن ( تفسير القرطبي ) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . ٣١  
تحقيق : عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي . ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - السيد أحمد الهاشمي - دار الكتب العلمية ببيروت ٣٢  
- لبنان - ط٦ .
- الحديث النبوي - رؤية فنية جمالية - صابر عبد الدايم - دار الوفاء - الاسكندرية - ط١ ، ٣٣  
٢٠٠٠ م .
- الحديث النبوي - مصطلحه ، بلاغته ، كتبه - محمد لطفي الصباغ - المكتب الإسلامي - ط٦ ٣٤  
، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
- الحيوان - تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق : عبد السلام هارون . ٣٥
- الخطاب الشعري العربي الحديث - جودت كساب - مؤسسة حماد للدراسات الجامعية والنشر ٣٦  
والتوزيع - ط١ ، ٢٠٠٢ م .
- دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - زاهر عواض الألمعي - ط٢ ، ١٤٢٢ هـ - ٣٧  
٢٠٠١ م .
- دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث - بدوي طبانه - مكتبة ٤٠  
الانجلو المصرية - ط٧ ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- دراسات في النقد العربي - عثمان موافي - دار الوفاء - الاسكندرية - ٢٠٠٤ م . ٤١
- دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده - محمد غنيمي هلال - دار نهضة مصر للطبع ٤٢  
والنشر .
- دراسة في البلاغة والشعر - محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - القاهرة - ط١ ، ١٤١١ ٤٣  
هـ - ١٩٩١ م .
- الدعوة إلى الله - الرسالة - الوسيلة - الهدف - توفيق الواعي - دار اليقين - ط٢ ، ١٤١٦ هـ ٤٤  
- ١٩٩٥ م .

- دلائل الإعجاز – تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني  
 ٤٥ النحوي – المتوفى سنة ٤٧١ هـ - قرأه وعلق عليه محمد محمد شاكر – مطبعة المدني –  
 بمصر – دار المدني . بجد ط ٣ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – محمد علي بن محمد – علان بن ابراهيم البكري  
 ٤٦ الصديقي المكي – ٩٩٦ – ١٠٥٧ هـ - اعتنى به صالح بنعثمان اللحام – دار ابن حزم للطباعة  
 والنشر – ط ١
- روائع من أقوال الرسول ﷺ - دراسات لغوية وفكرية وأدبية – عبد الرحمن حسن حبنكة  
 ٤٧ الميداني – دار القلم – دمشق – ط ٥ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- سنن الترمذي – الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة – ٢٠٩ – ٢٩٧ هـ -  
 ٤٨ حقق أصوله وفرع أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس – الأشراف الشيخ  
 خليل مأمون شيحا – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- شرح أحاديث من صحيح البخاري . دراسة في سمت الكلام الأول – د. محمد أبو موسى  
 ٤٩ مكتبة وهبة – القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- شعراء السعودية المعاصرون التاريخ والواقع – أحمد كمال زكي – الرياض – دار العلوم –  
 ٥٠ ط ١ – ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- الشعر العربي المعاصر – قضايا وظواهره الفنية والمعنوية – عز الدين إسماعيل – المكتبة  
 ٥١ الأكاديمية- ط ٥ ، ١٩٩٤ م .
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين – محمد مجيد السعيد – العراق – وزارة الثقافة والإعلام  
 ٥٢ – دار الرشيد – ١٩٨٠ م .
- الشعرية – قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي – أحمد جاسم الحسين – الأوائل للنشر  
 ٥٣ والتوزيع – ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي التوفى سنة ٦٧٦ هـ المسمى المنهاج شرح  
 ٥٤

- صحيح مسلم بن الحجاج - تحقيق : الشيخ خليل مأمون شيحا - دار المعرفة - بيروت - لبنان  
- ط ١٠ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- الصناعتين - الكتابة والشعر - تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري -  
٥٥ تحقيق علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت -  
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث - رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير -  
٥٦ وجدان الصايغ - دار الفارس للنشر والتوزيع - ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف - د . فالح حمد أحمد الحمداني . مؤسسة الوراق -  
٥٧ ط ١ ، ٢٠٠١ .
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب - جابر عصفور - دار الكتاب المصري  
٥٨ - دار الكتاب اللبناني - ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف - أحمد ياسوف - دار المكتبي - سورية - ط ١ ،  
٥٩ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- الصورة الفنية في شعر امرئ القيس ومقوماتها اللغوية والنفسية والجمالية - سعد أحمد محمد  
٦٠ الحاوي - دار العلوم - ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- الصورة والبناء الشعري - محمد حسن عبد الله - دار المعارف .  
٦١
- صور من الشعر الاجتماعي في العصر العباسي - ضيف الله سعد الحارثي - جامعة أم القرى  
٦٢ - معهد البحوث العلمية وإحياء التراث - ١٤٢٧ هـ .
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - للإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم  
٦٣ العلوي اليمني - تحقيق : عبد الحميد هنداي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط ١ ،  
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم - نذير حمدان - دار المنارة - جدة - السعودية - ط ١ ،  
٦٤ ١٤١٢ هـ -

- ١٩٩١ م .
- ٦٥ العقيدة في ضوء الكتاب والسنة - اليوم الآخر ، الجنة والنار - د. عمر سليمان الأشقر . دار النفائس - الأردن ط١٢ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٦٦ عقيدة المؤمن - أبي بكر جابر الجزائري - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- ٦٧ علم البيان - دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية بدوي طبانة - دار الثقافة - بيروت - لبنان
- ٦٨ علم البيان - دراسة تحليلية لمسائل البيان - بسيوني عبد الفتاح فيود - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - ط٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ٦٩ علم البيان في الدراسات البلاغية - علي البدري - دار الكتاب الجامعي - ط٢ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٧٠ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - لأبي علي الحسن بن رشيق - تحقيق : عبد الحميد هنداوي - المكتبة العصرية صيدا - بيروت - ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ٧١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري . للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني المتوفي سنة ٨٥٥ هـ عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده اغا الدمشقي دار إحياء التراث العربي .
- ٧٢ عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي . مع تعليقات الحافظ شمس الدين ابن القيم الجوزية . تحقيق : عصام الصبابطي - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ٧٣ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ( ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ ) تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز - محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث القاهرة .

- ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ٧٤ فصول في النقد العربي وقضاياها - محمد خير شيخ موسى - دار الثقافة - ط ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٧٥ فقه بيان النبوة منهجاً وحركة - محمود توفيق محمد سعد - مطبعة الأمانة - مصر - ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م
- ٧٦ فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالعرف والنهي عن المنكر - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق - ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٧٧ الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى - فتحية محمود فرج العقدة - دار العلوم - ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٧٨ فلسفة البلاغة بين التقني والتطور - رجاء عيد . الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية - جلال حزي وشركاه .
- ٧٩ فن الشعر - إحسان عباس - ط ١ ، ١٩٩٧ م
- ٨٠ الفن ومذاهبه في الشعر العربي - شوقي ضيف - دار المعارف - ط ١١ .
- ٨١ الفوائد - للعلامة الإمام شيخ الإسلام ابن عبد الله محمد بن أبي الدمشقي المعروف " بابن قيم الجوزية " ت ٧٥١ هـ - تم التحقيق والإعداد : بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - الرياض .
- ٨٢ في تشكّل الخطاب النقدي - مقاربات منهجية معاصرة - عبد القادر الرباعي - الأهلية للنشر والتوزيع - ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- ٨٣ في النقد الأدبي الحديث - مدارسه ومناهجه وقضاياها ودراسات نقدية تطبيقية - محمد صالح الشنطي - دار الأندلس للنشر والتوزيع - حائل - ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٨٤ قضايا ودراسات في النقد - كيلاني حسن سند - دار الثقافة - القاهرة - ١٩٧٩ م .
- ٨٥ لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي

- المصري - دار صادر - بيروت - ط ١ ، ٢٠٠٠ ، ط ٢ ، ٢٠٠٣ ، ط ٣ ، ٢٠٠٤ .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - تأليف أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد  
الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي - المتوفى سنة ٦٣٧ هـ - تحقيق : محمد محيي الدين ٨٦  
عبد الحميد . المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
- المختصر الوجيز في علوم الحديث - محمد عجاج الخطيب - مؤسسة الرسالة ط ١ ، ١٤٢١ هـ ٨٧  
- ٢٠٠١ م .
- المدخل إلى علم الدعوة دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها  
ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل - محمد أبو الفتح البيانوني - مؤسسة الرسالة - ٨٨  
ط ٣ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة السيوطي شرح وتعليق : محمد جاد المولى بك - محمد  
أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي . المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٤١٢ هـ - ٨٩  
١٩٩٢ م .
- المشاهد في القرآن الكريم - دراسة تحليلية وصفية - حامد صادق قنبي - مكتبة المنار . ٩٠
- مشاهد القيامة في الحديث النبوي . د . أحمد محمد عبد الله العلي دار الكرامة للتراث - دار ٩١  
الوفاء للطباعة والنشر - ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م - ط ٢ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق . عبد السلام محمد هارون ٩٢  
- دار الجيل - بيروت .
- مفتاح العلوم للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي المتوفى ٦٢٦ هـ - ٩٣  
ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١  
، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم . الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم ٩٩  
القرطبي - ٥٧٨ - ٦٥٦ هـ - تحقيق : محيي الدين ديب مستو - يوسف علي بديوي - أحمد



- محمد السيد - محمود إبراهيم بزّال - دار ابن كثير ، دمشق - بيروت . ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٩٤ من قضايا البلاغة والنقد - عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني - مكتبة وهبة - ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٩٥ من كنوز السنة - دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف - محمد علي الصابوني - عالم الكتب - ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٩٦ منهاج البلغاء وسراج الأدباء - صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني المتوفى بتونس في ٢٤ رمضان ٦٨٤ - ٢٣ نوفمبر ١٢٨٥ - تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجه - دار الغرب الإسلامي - ط ١ ، تونس ١٩٦٦ م - ط ٢ ، بيروت ١٩٨١ م - ط ٣ ، بيروت ١٩٨٦ م .
- ٩٧ المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي - عبد الفتاح محمد أحمد - دار المناهل للطباعة والنشر - ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٩٨ الموازنه بين شعر أبي تمام والبحتري - لأبي القاسم الحسن ابن بشر الامدي - ٣٧٠ هـ - تحقيق : احمد صقر - ط ٢ - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٩٩ النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الإشارية - دراسة نظرية وتطبيقية - أحمد الطريسي - الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر - القاهرة - ٢٠٠٤ م .
- ١٠٠ نظرية الأدب - رينيه ويليك - أوستن وارين - ترجمة محيى الدين صبح - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨٧ م .
- ١٠١ نظرية الشعر في النقد العربي القديم - عبد الفتاح عثمان - مكتبة السباب - ١٩٩٨ م .
- ١٠٢ النظرية النقدية عند العرب - هند حسين طه - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية - دار الرشيد للنشر - ١٩٨١ م .
- ١٠٣ النقد الأدبي الحديث - محمد غنيمي هلال - نهضة مصر للطباعة والنشر .
- ١٠٤ النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق - د . أحمد رحمانى - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ١٠٥ النقد التطبيقي والموازنات - محمد الصادق عفيفي - مؤسسة الخانجي - القاهرة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- ١٠٦ نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر - تحقيق : كمال مصطفى - مكتبة الخانجي - ط٣ .
- ١٠٧ النقد في رسائل النقد الشعري حتى نهاية القرن الخامس الهجري - حسين علي الزعبي - دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان - ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ١٠٨ النقد والدراسة الأدبية - حلمي مرزوق - دار الوفاء - ط١ ، ٢٠٠٤ م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر - للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير. ( ٥٤٤-٦٠٦ هـ ) تحقيق . الشيخ خليل مأمون شيحا - دار المعرفة . بيروت - لبنان . ط١
- ١٠٩ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- وحدة القصيدة في النقد العربي الحديث - بسام قطوس - دار الكندي للنشر والتوزيع - ط١ ،
- ١١٠ ١٩٩٩ م .



# مخطوطات

١	التشبيه في الحديث الشريف - أسلوبه وخصائصه البلاغية عبد العزيز حسن عثمان خضر - جامعة الأزهر - رسالة ماجستير - ١٩٨٠ م .
٢	الصورة البيانية في شعر أبي الحسن التهامي - دراسة بلاغية نقدية - أحمد يحيى إبراهيم عواف - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - رسالة ماجستير - ١٤٢٦ هـ - ١٤٢٧ هـ .
٣	الصورة الشعرية عند ابن خفاجة - بسيم عبد العظيم عبد القادر - جامعة عين شمس - رسالة ماجستير ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
٤	الصورة الفنية في شعر الشماخ بن ضرار . رزوق يوسف - جامعة الاسكندرية - رسالة ماجستير - ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
٥	الصورة الفنية في شعر إلياس أبو شبكة . عصام موسى ماشه - جامعة الاسكندرية - رسالة دكتوراه - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
٦	الصورة الفنية في شعر حسان بن ثابت ودلالاتها الحضارية - عيبر عليوة إبراهيم - جامعة الزقازيق - رسالة ماجستير ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
٧	الصورة الفنية في شعر ظافر الحداد - عبد الغفار عبد العزيز عبد الغفار عطية - جامعة الاسكندرية - رسالة ماجستير - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

# الفهرس

## الصفحة

## الموضوع

أ - س	المقدمة
١٧ - ١	التمهيد
٢٣ - ١٨	الفصل الأول - أحاديث الغيب الدنيوي
٢٤	المبحث الأول - بدء منذرات الساعة في الظهور
٤٥	المبحث الثاني - تمام الدائرة الدينية وبدء تباعد أطرافها
٥٠	المبحث الثالث - بدء الانزياح الديني والخراب الدنيوي
٧١	المبحث الرابع - ظهور أصناف من الضلال
٨١	المبحث الخامس - حال الإمارة في آخر الزمان
٨٨	المبحث السادس - اقتراب العهد الأخروي ونزول أولى آياته
١٠٥ - ١٠٣	الفصل الثاني - أحاديث الغيب الأخروي
١٠٦	المبحث الأول - من أهوال العرض والحساب
١١٢	المبحث الثاني - الميزان الأخروي
١١٥	المبحث الثالث - رؤية الله والجسر والشفاعة
١٤٣	المبحث الرابع - الحوض
١٤٧	المبحث الخامس - من أحوال الجنة وأهلها
١٥٨	المبحث السادس - من أحوال النار وأهلها



### الفصل الثالث – خصائص الصورة البيانية ووظائفها .

أصول وفروض .....	١٦٧-١٨٣
المبحث الأول – خصائص الصورة البيانية في أحاديث الغيب .....	١٨٤
١- وضوح الصورة .....	١٨٥
٢- سهولة الألفاظ .....	١٩٣
٣- التكامل الموضوعي البلاغي بين الصورة البيانية وسياقها .....	١٩٨
٤- التشارب بين بلاغة البيان النبوي وروحانية الوحي بالغيب .....	٢٠٢

### المبحث الثاني – وظائف الصورة البيانية ..... ٢١٧ |

١- تقريب حقائق الغيبيات إلى الأذهان .....	٢٠٧
٢- تفصيل ما أجملته الصورة القرآنية من حقائق وصور غيبية .....	٢١٠
٣- الترغيب والترهيب .....	٢١٣
٤- التأثير الوجداني ( النفسي ) .....	٢١٦

### الخاتمة ..... ٢٢١ |

### فهرس الأحاديث ..... ٢٢٣ |

### فهرس الآيات ..... ٢٢٨ |

### المصادر والمراجع ..... ٢٣٦ |

### مخطوطات ..... ٢٤٧ |

### الفهرس ..... ٢٤٨ |